ديوان الرجز والحداء

ابراهيم حامد الخالدي

ديوان الرجز والحداء

دراسة أدبية وتاريخية لحداء الإبل والخيل
في التراث الفصيح والعامي

إبراهيم حامد الخالدي

ديوان الرجز والحداء

دراسة أدبية وتاريخية لحداء الإبل والخيل

في التراث الفصيح والعامي

تأليف

إبراهيم حامد الخالدي

الكويت - 2015

ديوان الرجز والحداء / دراسة أدبية وتاريخية لحداء الإبل والخيل في التراث الفصيح والعامي
إبراهيم حامد الخالدي
التصميم: ستوديو سيماء
الإخراج: محمد السالم

الطبعة الأولى: أكتوبر 2015
ISBN : 4 - 04- 90 -99966 - 978
رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية- دولة الكويت
2015/672

جميع الحقوق محفوظة

هاتف/ واتس آب: 96566560700+
البريد الإلكتروني: dar.masarat@hotmail.com
تويتر: @darmasarat1
انستغرام: dar_massarat

© Masarat Publishing & Distribution
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم،،

الحمد لله رب العالمين. حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. عدد الأيام والسنين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وقائد الغر المحجّلين: سيدنا محمد بن عبد الله الهاشميّ القرشيّ الصادق الأمين، وعلى آله الكرام المطهرين، وصحبه أجمعين.

أما بعد،،

ذات ضحى..

تردّد في آفاق الصحراء الممتدة صوت فارس، وزعيم شجاع. يهتف بكوكبة مميزة من الفرسان تحفّ به قائلاً:

يا اهل الرمك كلٌّ يجيب (احداه)　　أنتم وراكم ما (اتحَدون)؟

ترى (الحدا) لاهل الرمك مشهاه　　فكّاكة التالي نهار الكون[1]

ذاك هو (أخو هملا).. الشيخ هذال بن فهيد الشيباني العتيبي، وتلك هي أنشودته التي كانت بحقٍّ دعوة أصيلة للاهتمام بهذا الجانب المميز من إرثنا الأدبي الضارب في أعماق التاريخ العربي، وشكلت - بالنسبة لي على الأقل - حثاً مستمراً للتعرف عن قرب على نمط شعري بالغ الخصوصية![2]

(الحداء): أغنية راعي الإبل إذ يسوقها إلى المراعي العشيبة، ويرشدها إلى الموارد العذبة، ويحثها على الإسراع في سيرها.

---

(1) الحداوي للأمير محمد الأحمد السديري، ج2، ص123.

(2) أذكر هنا بصفة خاصة صوت أبي - يرحمه الله تعالى -، وهو يتغنى بالحداء أثناء قيادته للسيارة، فمنذ صغري تعودت أذناي على التنغم بالأحديات، وعنه رويت بعض الأحديات الجميلة التي ذكرتها في هذا الكتاب.

سلوة المسافر في وحدته وسط المفازات الواسعة.

(زاد الركب) في هدأة الصحراء، وأغنية الراحلين الشجيّة.

أرجوزة المقاتل في ساحات الوغى، وحين البأس!

- هكذا بدأ الحداء رحلته في أدبنا العربي، واستمر حتى يومنا هذا فتياً غضاً، وإن تعددت أنواعه، وتنوعت أغراضه، وتمازجت صنوفه.

(الحداء): أهزوجة الفرسان على صهوات خيلهم، وأغنيتهم النافرة بالحماس والرجولة، وحكاية الدم والقتام، وشرارة التزاوج بين السنابك والحصى.

- هكذا أصبح تعريفه في عهود البداوة الأخيرة.

(الحداء): النمط الشعري الوارف الألوف الذي أعاد الشعر إلى ثوبه الفضفاض، وشروطه المتساهلة، وحضنه الواسع، فأنشده حتى من لم يكن يهتم بقول الشعر، ومن لا يتقنه، وصار بحقّ أغنية العرب الجامعة التي لا يترنم بها الشعراء وحدهم، فشملت كل راجز، وقارض!

ومن خلال هذه (الدراسة/ الديوان) سيصطحبنا «الحداء» في رحلته الطويلة في تاريخ الأدب العربي لنتعرف على بدايته الأسطورية[1]، وتماهيه الواضح مع (بحر الرجز) أحد أشهر بحور الخليل، ونستمع إلى أقدم نماذجه، ويطوف بنا عبر العصور حتى نصل إلى عهد البداوة الأخيرة التي انتقل بها الحداء من ارتباطه الوثيق بالجمل (سفينة العرب الأثيرة) ليرتبط بحيوان آخر كانت له عند العرب مكانة مميزة أيضاً، ونعني الحصان، فتحول مسماه من (حداء الإبل) إلى (حداء الخيل)، وإن بقي على صلة خاصة برفيقه القديم (الجمل) كما سنرى في فصول قادمة.

ونرى كيف استغل العلماء هذا البحر السهل (الرجز) في نظم أرجوزاتهم التعليمية لتسهيل صعوبات المعارف على تلاميذهم، وتسييل جمودها، وهي أراجيز تعد بالألوف لعل أشهرها (ألفية ابن مالك) في النحو.

وقد كان الاهتمام بشعر الحداء والأراجيز قديماً قدم التدوين الأدبي العربي، منذ أن

(1) ألقيت محاضرة عن الرجز والحداء في رابطة الادباء الكويتيين في 23 مارس 2010م، وكان التفاعل الذي وجدته من الجمهور، والتشجيع من أدباء كبار كالدكتور خليفة الوقيان، دافعاً مهماً لي لإكمال البحث في هذا الموضوع.

جمع راوية العرب الأصمعي كتاب (الأراجيز)، وتبعه الصاحب بن عباد بكتاب مشابه، ولكن كلا الكتابين لم يصلا إلينا.[1]

وفي وقتنا المعاصر اهتم عدد من الباحثين المجدّين بجمع (حداء الخيل العامي) كما عرفه العرب الأواخر، وخاصة من أهل البادية، ومن أشهر هذه الكتب التي أفردت لهذا الموضوع:

- كتاب الحداوي: تأليف الأمير محمد الأحمد السديري، وهو عن عبارة كراسة مخطوطة السديري، بالإضافة إلى تسجيلات صوتية، وقد صدر هذا الكتاب أخيراً بعد طول انتظار محققاً بجهود الأخ الباحث سليمان الحديثي في حوالي خمسمئة صفحة، وهو المرجع الأهم لكل باحث في هذا الموضوع، وكان المصدر الأهم لي في هذا الكتاب.

- حداء الخيل: تأليف الدكتور سعد الصويان، ويتكون من 70 صفحة من القطع الصغير.

- الفنون الشعبية: تأليف عبد الله الدويش، وفيه جزء مختص بالحداء في 20 صفحة.

- حداء الخيل: تأليف أحمد فهد العلي العريفي في 123 صفحة.

- أحديات وألقاب من قبيلة حرب وغيرها: تأليف فايز بن موسى البدراني، وهو خاص بالحداء عند قبيلة حرب.

- أحديات وألقاب من قبيلة عتيبة: تأليف تركي بن مطلق القداح، وهو خاص بالحداء عند قبيلة عتيبة، وفيه أمثلة لأحديات غيرهم.

- التغرودة: تأليف الدكتور غسان الحسن، وهو خاص بهذا الفن القريب من الحداء بشكل يلفت النظر، وهو نمط شعري مشهور في دولة الإمارات وسلطنة عمان.[2]

(1) اطلعت على بحث صغير (لا يتجاوز ست صفحات بالبنط العادي) منشور إلكترونياً على شبكة الإنترنت بعنوان: (رحلتي مع الأراجيز بصحبة الأستاذ أمجد طرابلسي رحمه الله) للدكتور عبد الهادي دحاني أستاذ فقه اللغة والقراءات القرآنية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة شعيب الدكالي، وقد ذكر في مقدمته: «الرجز فن شعري لم يفرد كباقي الفنون الشعرية بمؤلفات متخصصة، ولم يحظ بديوان أو مجموع شامل يضم أراجيز حقبة معينة أو إنتاج طائفة من الرجاز باستثناء بعض المحاولات البسيطة المتمثلة في جمع (عزت حسن) لأراجيز العجاج، وما قام به (توفيق البكري) من تأليف لما سمّاه بمجموع أراجيز العرب، والذي لم يتجاوز فيه جمع بعض من أراجيز العجاج ورؤبة، ويبقى الرجز مع ذلك في حاجة ماسة إلى الجمع والتدوين، ناهيك عن الدراسة التي لازالت إلى يومنا هذا نادرة ندرة كبيرة في هذا الميدان». وحديثاً طبع كتاب صغير حمل عنوان «معجم الرجاز».

(2) أشير هنا إلى مقالات نشرها الأستاذ أحمد محارب الظفيري عن فن الحداء في جريدة الوطن الكويتية، ثم أعاد نشرها في مجلة الكويت (يناير 2012م) بعنوان «حداء الإبل.. أصل أراجيز العرب وأهازيجهم»، وقام من خلالها بعقد مقاربات موفّقة بين الحداء لدى العرب في العصرين البعيد والقريب، وفيها معلومات جيدة خاصة فيما يتعلق بشعر الهوبال.

هذه أشهر الكتب والدراسات التي وصلتنا عن موضوع (حداء الخيل)، أو كان الحداء محور بحثها، أو أحد مكونات عناوينها، ولكن هناك الكثير من الكتب التي يجد فيها الباحث اهتماماً بهذا اللون الشعري المميز، ولعل أبرزها مجموع بحوث أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في كتبه المتعددة، ونجد لدى موسيل في كتابه عن قبيلة الرولة كماً لا بأس به من الأحديات، كما ذكر فهد المارق بعض أحديات الملك عبد العزيز، وكذلك نجد لدى الباحثين الذين اهتموا بالتأريخ لبعض القبائل العربية اهتماماً بهذا الجانب، فأوردوا بعض الأحديات ضمن تراث القبائل، كما نجد لدى: «عباس العزاوي، وأحمد وصفي زكريا، وأحمد محارب الظفيري، وطلال الشمري، وعبد الله بن عبار، ومشعل الجبوري، وشاهر الأصقه، وعبد العزيز السناح، وحمدان المطيري، وسلطان السهلي، وخالد القريشي، وبروس إنغام، وشباط الظفيري، ومحمد العصيمي، ومنصور الحاتم»، وغيرهم.

وتماشياً مع ما تقدمه التكنولوجيا الحديثة من خدمات جمة الفائدة للباحث، لم أهمل في كتابي هذا احتفاء كثير من المواقع الالكترونية في منتدياتها بفن الحداء نظراً لكون نصوصه غالباً ما تصلح لاستخدامها كشواهد لأحداث تاريخية مهمة، ولذا رجعت إلى كثير منها بحذر، وانتباه لما يحفل به عالم الإنترنت من تجاوزات وخلط، ونوهت بأسماء كثير من تلك المواقع رغم إقراري بتحسس كثير من الباحثين من اعتماد هذه المواقع كمراجع بحثية، ولكنني لم أجد بأساً من الاستفادة مع ما تقدمه من نصوص يصعب العثور عليها في مراجع البحث التاريخية، ولعلنا نعاملها معاملة الروايات الشفاهية.

وإضافة إلى ذلك، فقد حرصت على الاستفادة من بعض الرواة ومراسلاتي مع الباحثين في إثراء البحث بالنصوص، والمعلومات المبتغاة.

وبتظافر هذه الجهود أرجو أن أكون قد وفّقت لأن أقدم للمكتبة الأدبية هذا العمل ليكون بحقّ دراسة أدبية لشعر الحداء منذ العصر الجاهلي حتى العصور الأخيرة، متمنياً أن يكون الجهد الذي بذلته قد أحاط بالموضوع من معظم جوانبه.

وقد قسمت الكتاب إلى بابين حسب موضوعات البحث، وذلك على الشكل الآتي:

- الباب الأول: حداء الإبل، وينقسم إلى فصلين: (الحداء والرجز.. تعريفه ونشأته ومشروعيته - الحداء والرجز في العصور الأدبية المتعاقبة).

- الباب الثاني: حداء الخيل، وينقسم إلى فصلين: (حداء الخيل.. تعريفه وأوزانه وأغراضه

وأساليبه - موضوعات متعلقة بالحداء).

والآن أترككم مع (ديوان الرجز والحداء) معتذراً عن أي تقصير أو خطأ، وراجياً من القارئ الكريم التواصل بيننا على العناوين الكترونية لأي إضافة أو تعليق أو تصويب لتفاديه في الطبعات اللاحقة - إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين.

إبراهيم

الكويت في يوم الخميس 8 رمضان 1436هـ (25 يونيو 2015م)

الباب الأول:

حداء الإبل

الفصل الأول:

الحداء والرجز..
تعريفه، ونشأته، ومشروعيته الدينية

أولاً: تعريف الحداء

الرجز.. لغة، واصطلاحًا:

من المعتقد أن الحداء هو أول ما عرف العرب من فنون الشعر، وأن غناءه هو أول ما عرفوا من ضروب الغناء!

ولعل بساطة موسيقى الحداء، وعفوية نظمه، وتعالقه الواضح ببحر الرجز (أسهل البحور الشعرية، وأكثرها اضطراباً)، وارتباطه اللصيق بتفعيلة مستفعلن (إحدى أكثر تفعيلات العروض زحافات، وعللاً)... هو ما جعلهم يذهبون إلى الرأي القائل بأولية الحداء، فالبدايات عادة ما تكون: بسيطة، وعفوية، وسهلة، ومضطربة!

وقبل أن نشرع في الحديث عن تفصيلات ذلك، ودلائله، ودلالاته نستهل أمرنا بالبحث عن تعريف واف للحداء، ونبدأ بما ورد في معاجم اللغة العربية لمعرفة الأصل اللغوي لكلمة (الحداء)، فلو بحثنا في تلك المعاجم عن تعريف أصيل للحداء لوجدنا آراء كثيرة لعلماء اللغة، ولكنها متسقة، ومتوافقة إلى حد كبير.

فقد ذكر الزمخشري في (أساس البلاغة) في مادة (حدو) ما يأتي: «حدا الإبل حدواً، وهو حادي الإبل، وهم حداتها، وحدا بها حُداء: إذا غنى لها، وما أملح حداءه، وبينهم أحدية يحدون بها أي أغنية، ومن المجاز: يقال للسهم إذا مرّ.. حداه ريشه، وهداه نصله، وحدوته على كذا: بعثته، والشمال تحدو السحاب، وهي حدواء.

قال العجاج: حدواءَ.. جاءتْ من جبال الطور

وطلع حادي النجم: أي الدبران، وتحدّى أقرانه. إذا باراهم، ونازعهم الغلبة، وتحدى رسول الله ﷺ العرب بالقرآن، وتحدّى صاحبه القراءة والصراع.. لينظر أيهما أقرأ وأصرع، وأصله في الحداء: يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان، فيتحدى كل واحد منهما صاحبه.. أي يطلب حداءه».[1]

(1) أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، ص77.

وذكر الخليل في معجمه (العين): «حَدا يحدو حَدْوا، وأعرفه حُداءً، ممدود - إذا زَجَز الحادي خلف الإبل، وحَدَا يَحْدُو حَدْواً.. إذا تبع شيئاً».[1]

وجاء أيضاً في (لسان العرب) لابن منظور: «حَدا الإبل، وحَدَا بها يَحدو.. حَدْواً، وحِدَاءً (ممدود): زَجَرَها خلفَها، وساقَها، وتَحادَت هي: حَدَا بعضُها بعضاً.

قال ساعدة بن جؤية:

أَرقــتُ لـه حتَّى إذا مـا عُـروضُـه تَـحـادَتْ، وهاجَتْها بُـروق.. تُطيرُها

ورجلٌ حادٍ وحَدَّاءٌ».[2]

وجاء في جمهرة اللغة لابن دريد: الحُداء: حُداء الإبل. قال الراجز:

فـغـنِّـهـا، وهـــي لـــك الـــفِـــداءُ إنّ غـنـاءَ الإبـــل.. الـــحُـــداءُ[3]

وقال العلماء: «الإبل تزيد في نشاطها وقوتها بالحداء، فترفع آذانها، وتلتفت يمناها ويسراها».

ومن هنا نجد أن معنى الحداء في اللغة هو (السَوْق).. مصدر (ساق.. يسوق)، وبه سمي الحداء (حداء) لأنه يساعد على سوق الإبل.

وذكر الفراهيدي أن الحادي إذا أراد حداء الإبل.. قال: (هيد.. هيد)، ثم زجل بصوته كما في قول الكميت:

مـعـاتـبـة لـــهـــنّ.. حـــلا وحـــوبـــاً وجـــلّ غـنـائـهـنّ: هـيـا وهـيـد[4]

وقال الصاحب بن عباد: «يقولون في زجر الإبل.. هيدِ هيدِ، وهييدِ هييد، وهادياً هادياً، وهدْ هدْ».

هذا.. ما وجدناه في بعض أمهات المعاجم اللغوية، ولو تحدثنا عن الحداء في وقتنا

(1) العين للخليل الفراهيدي، ص177.
(2) لسان العرب لابن منظور، نسخة الكترونية.
(3) جمهرة اللغة لابن دريد، نسخة الكترونية.
(4) العين للفراهيدي، ص1027. وما تزال هذه المفردة مستخدمة لدى رعاة الإبل، وجعلت مفردة (هيدو) شعاراً لمنتخب الكويت لكرة القدم في مونديال كأس العالم سنة 1982م رداً على من عيّر الكويتيين بكون العرب مجرد رعاة للإبل لا أكثر.

المعاصر، وكيفية نطقه بلهجاته العامية، لوجدنا أنه يسمى (الحِدا) بكسر الحاء المهملة، ومد الدال، وحذف الهمزة تخفيفاً، وواحدته تسمى (حداة بكسرة الحاء، وحدوة بفتح الحاء)، وتجمع على (حداوي)، وقائله (حادي)، فهو (يحدي، ويحدى.. بياء ممدودة، وياء مقصورة، ويقال أيضاً يحتدي).

أما إذا شئنا الفصحى كما استقرت في لغة الباحثين المعاصرين، فهو (حداء)، وواحدته (أحدية)، وجمعها (أحديات)، وقائلها (حادٍ)، فهو (يحدو).

* * *

العلاقة بين الرجز والحداء:

هذا، وكان العرب في الجاهلية فيما يبدو لا يعدّون (الرجز) من بحور القصيد اللائقة بالمحترفين لقرض الشعر كالكامل، والبسيط، والطويل، وكانوا يفرقون بين القريض (القصيد)، وبين الرجز، كما في قول الأغلب بن عمرو العجلي المتوفى سنة 21هـ:

أرجـــــزاً.. تـريـد أم قـريـضـا؟ كـلـيـهـمـا.. أجـيـدُ مـسـترضـيـا

ويروي قول الأغلب بصياغة أخرى هي:

أرجـــــزاً.. تـريـد أم قـصـيـدا؟ لقد طـلـبـتَ.. هـيّـنـاً.. مـوجـودا[1]

وروي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتب إلى المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) واليه على الكوفة أن: «استنشد من قبلك من شعراء مصرك... ما قالوا في الإسلام؟»، فأرسل إلى الأغلب العجلي، فأنشده البيت السابق.

ومن دلائل تفريقهم بين الرجز والقصيد المبسوط (المطوّل) قول الإعرابي السلمي عندما علمه النبي ﷺ سورتي (الحمد لله، وقل هو الله أحد)، فقال: «يا رسول الله.. ما سمعت في البسيط، ولا في الرجز أحسن من هذا».[2]

وكذلك قول الوليد بن المغيرة في وصفه للقرآن في حديثه لكفار قريش: «والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن.. والله ما يشبه

(1) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، نسخة الكترونية.
(2) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس لمحمد دياب الأتليدي، نسخة الكترونية.

الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه. مغدق أسفله، وإنه ليعلو، وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته».[1]

ورغم ذلك الفصل بين الرجز والقريض كان لبعض الرجّاز (قائلي الرجز) مكانة أدبية متميزة عند العرب لحلاوة أقوالهم، وعذوبة التغني بها، فعندما قيل ليونس النحوي (أحد العلماء): من أشعر الناس؟، فقال: العجاج، ورؤبة!، فقيل له: ولم؟، وهل نعن الرجاز!، فقال: هم أشعر من أهل القصيد.[2]

وعلى النقيض من ذلك، نقرأ قولاً للعين المنقري، يهجو به الرجاز رؤبة بن العجاج:

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رؤب، والحيّة الصمّاء، والجبل
أبالأراجيز.. يا ابن اللؤم.. توعدني وفي الأراجيز خلت اللؤم والفشل[3]

ومن الواضح أن بحر الرجز كان الغالب على نظم الحداء منذ الجاهلية، وبطريقة مقاربة لما كان سائداً في بادية الجزيرة العربية حتى وقت قريب، فينقل صاحب الأغاني عن ابن حبيب قوله: «كانت العرب تقول الرجز في الحرب، والحداء، والمفاخرة، وما جرى هذا المجرى».[4]

وبين بحر الرجز والحداء علاقة وطيدة منذ أقدم العصور، فذكر ابن حجر في (فتح الباري): «أما الرجز، فهو بفتح الراء والجيم بعدها زاي، وهو نوع من الشعر عند الأكثر، وقيل: ليس بشعر، لأنه يقال راجز لا شاعر، وسمي رجزاً لتقارب أجزائه، واضطراب اللسان به، ويقال رجز البعير: إذا تقارب خطوه، واضطرب لضعف فيه، وأما الحداء فهو بضم الحاء وتخفيف الدال المهملتين. يمدّ ويقصر: سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، والحداء في الغالب إنما يكون بالرجز، وقد يكون بغيره من الشعر، ولذلك عطفه على الشعر والرجز، وقد جرت عادة الإبل أنها تسرع السير إذا حدي بها».[5]

و(الرجز) بحر يعتمد لبنة (مستفعلن) وحدة لبنائه، ولسهولة النظم على هذا البحر سموه قديماً (حمار الشعراء)، ولكثرة العبارات التي يمكن قولبتها من خلاله وكثرة زحافته

(1) تاريخ الإسلام لشهاب الدين الذهبي، نسخة الكترونية.
(2) الشعر عند البدو لشفيق عبد الجبار الكمالي، ص75.
(3) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، نسخة الكترونية.
(4) الأغاني للأصفهاني، نسخة الكترونية.
(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، مج3، ص222.

وعلله، صار هذا البحر شائع الاستخدام، حتى ذكروا أن قائل الرجز لا يعد شاعراً، إن هو اكتفى بالبيت والبيتين.

ويكفينا مثالاً على ذلك أن قاله من لم يعلمه الله الشعر وما ينبغي له ﷺ، فقد جاء في الحديث الشريف عند البخاري أن رجلاً سأل البراء (رضي الله عنه): يا أبا عمارة.. أتوليت يوم حنين؟!، فقال البراء: أما أنا... فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان القوم، فرشقتهم هوازن بالنبل، فانهزموا، وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء، وهو يقول:

أنـــا الـــنـــبـــيّ لا كـــذب أنـــا ابـــن عـــبـــد المـــطـــلـــب[1]

وما أراه هنا أن الرجز شعر موزون، ولكن ارتجال الشطر والشطرين منه يسهلان على كل عربي بليغ، ولا يعدّان من الشعر المعتبر من فنون النظم الذي نزه عنه نبينا الكريم ﷺ.

وجدير بالإشارة مادمنا نتحدث عن يوم (حنين)، أنه في المعركة ذاتها كان الفارس الهوازني المسنّ (دريد بن الصمة) على الطرف الآخر بعد أن خرج للقتال مكرهاً، وقال: (هذا يوم لم أشهده، ولم يفتني)، ومضى يرتجز على نفس الوزن قائلاً:

يـــا لـــيـــتـــنـــي فـــيـــهـــا.. جَـــذَع أخـــــبُّ فـــيـــهـــا، وأدع
أقـــــود وطـــفـــاء الـــزمـــع كـــأنـــهـــا شـــــاةٌ صـــــدع[2]

ويذكر الكمالي أن كلمتي «رجز وحداء» كانتا مترادفتين في أذهان العرب إذ أنهم يطلقون على الحداء اسم الرجز، فهما اسمان لمسمى واحد.[3]

وتجدر الإشارة هنا إلى ما ذكره جرجي زيدان في (تاريخ الآداب) من أن حداة الإبل كان عندهم ضربان من الرجز، والأول هو (المشطور)، ويكون لمشي الجمال الهوينا، كما في قول أحدهم:

دع المطايا تنسمُ الجنوبا إنّ لها لنبأً عجيبا

والثاني هو (المنهوك)، إذا أراد الحادي أن تسرع الجمال في السير، ومنه قول أحدهم:

(1) فتح الباري لابن حجر، مج2، ص627. وهذا القول النبوي من مجزوء الرجز.
(2) السيرة النبوية لابن هشام، نسخة الكترونية.
(3) الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، ص75.

أعـــطـــيـــتـــهُ.. مـــا ســـألا حـــكّـــمـــتـــهُ.. لـــو عـــدلا
قـــلـــبـــي بـــــه.. في شـغـلٍ لا مـــــلّ ذاك الـشـغـلا
قـــيّـــده الـــحـــبّ كـما قـيّـد راعٍ.. جـمـلا[1]

تأثير الحداء في الإبل:

يقول أبو حامد الغزالي: «الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخفّ معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه، فترى الإبل إذا طالت عليها البوادي، واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال، إذا سمعت منادى الحداء تمدّ أعناقها، وتصغى إلى الحادي ناصبة آذانها، وتسرع في سيرها، حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها، وربما تتلف أنفسها من شدة السير، وثقل الحمل، وهي لا تشعر به لنشاطها».[2]

وحكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي، فقال: كنت في البادية، فوافيت قبيلة من قبائل العرب، فأضافني رجل منهم، وأدخلني خباءه، فرأيت في الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد، ورأيت جمالاً قد ماتت بين يدي البيت، وقد بقي منها جمل، وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه.

فقال لي الغلام: أنت ضيف، ولك حق، فتشفّع في حقي إلى مولاي، فإنه مكرم لضيفه، فلا يرد شفاعتك في هذا القدر، فعساه يحل القيد عني.

قال: فلما أحضروا الطعام امتنعت، وقلت: لا آكل ما لم أشفّع في هذا العبد.

فقال: إن هذا العبد قد أفقرني، وأهلك جميع مالي.

فقلت: ماذا فعل؟

فقال: إن له صوتاً طيباً، وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال، فحمّلها أحمالاً ثقالاً، وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاث ليال في ليلة واحدة من طيب نغمته، فلما حطت

(1) تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان، ص56.
(2) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، كتاب آداب السماع والوجد، نسخة الكترونية.

أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد، ولكن أنت ضيفي، فلكرامتك قد وهبته لك.

قال الدينوري: فأحببت أن أسمع صوته، فلما أصبحنا، أمرته أن يحدو على جُميل يستقي الماء من بئر هناك، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل، وقطع حباله، ووقعت أنا على وجهي، فما أظن أني قط سمعت صوتاً أطيب منه.[1]

الحداء في الشواهد الشعرية:

وأختم تعريف الحداء بذكر نماذج مما قاله شعراء العرب عند ذكرهم للحداء، وتبيين أثره، وضربه مثلاً لمعانيهم.

ونبدأ مع قول الحطيئة:

فَلَم أَشتُم لَكُم حَسَباً، وَلَكِن حَدَوتُ.. بِحَيثُ يُستَمَعُ الحُداءُ

وقال النابغة الشيباني:

كَأَنَّ دِفافَ مَأدُبَةٍ وَعُرسٍ وَرَجّازٍ يُجاوِبُهُ الحُداءُ
وَنوحَ مَآتِمٍ وَحَنينَ عودٍ يُجاوِبُها مِنَ النَعَمِ الرُغاءَ
عَلى أَعجازِهِ إِذ لاحَ فيهِ سُيوفُ الهِندِ أَخلَصَها الجِلاءُ

وقال ذو الرمة:

حَداها جَميعُ الأَمرِ مُجلَوَّذُ السُرى حُداءً إِذا ما استَسمَعَتهُ يَهولُها

وقال القطامي:

جعلتْ تميل خدودها آذانها طرباً بهنّ إلى حداء السوق
كالمنصتات إلى الغناء سمعنه من رائعٍ لقلوبهنّ.. مشوق

وقال المتنبي:

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، نسخة الكترونية.

كَفانا الرَبيعُ العيسَ مِن بَرَكاتِهِ فَجاءَتهُ لَم تَسمَع حُداءً سِوى الرَعدِ

وقال الشريف الرضي:

وَأَعجَلَكَ الصَريخُ إِلى المَعالي كَما يَستَعجِلُ الإِبِلَ الحُداءُ

وقال الشريف الرضي أيضاً:

أَنشَدتُها، فَحَدا سَمعي غَرائِبُها إِلى الضَميرِ حَداءَ الرَكبِ لِلبُدُنِ

وقال ابن الرومي:

بهائمُ لا تُصغي إلى شَدْوِ مَعْبدٍ وأمَّا على جافي الحُداءِ، فتَطربُ

وقال أبو تمام:

وَخُذهُم بِالرُقى إِنَّ المَهاري يُهَيِّجُها عَلى السَيرِ الحُداءُ

وقال الطغرائي:

لِمَنْ في عِراصِ البيدِ نُوقٌ مَطَاريبُ يُدَرِّسُها رجعَ الحداءِ الأعاريبُ

وقال مهيار الديلمي:

إذا أطربَ الإبْلَ الحُداءُ، فإنني إليكم متى غنّيتُ، فالجودُ مُطربي

وقال ابن حمديس:

دَعُونا نُسايِر حادِياً قادَ نحوها مسامعَنا منه الحداءُ المُنَغَّمُ
فَما هَذِهِ الأَحداجُ إِلاّ قُلوبنا حَبائِبُنا فيها سَرائِرُ تُكْتَمُ

وقال ابن حمديس أيضاً:

كأنّ حُداءَ العيس في السير نعيها وقد سُقِيَتْ سمّاً من البين ناقعا

وقال ابن نباتة السعدي:

مَن لا يُمِلُّ عَطاؤُه أبداً حتى تَمَلَّ حُداءَها الإبِلُ

وقال نظام الدين الأصفهاني:

لَمّا قَرعَ السمَع غِناءُ الشادي وارتجَّ بِصَوتِهِ فَضاءُ الوادي
أَصغَيتُ لَهُ، فَطابَ وَقتي، فَعَدا عَن لحن سماعه حِداءُ الحادي

وقال الإمام الشوكاني:

فَلا حَمَلَتْ هوادِجَها الهوادي ولا سَمِعَت تراجِيعَ الحدَاءِ
تَخُبُّ بِكلِّ عامِرَةٍ وقَفْر وتَخْتَرِقُ الْمَوامِي للثَّنائِي

وقال حسين الكركي:

إني أحنُّ إلى منازل أسرتي شوق المطيّ إلى الحداء المطربِ

وقال خليل ناصيف اليازجي:

تُغني الرِكابَ عن حُداءِ الحادي تَقومُ للرَكبِ مقامَ الزادِ

وقال جواد الشبيبي:

ذكر الذين تريّفوا والسحب حول الحي هتنُ
والعيس أطربها الحداء وخيلهم للسبق تعتنُ

وقال محمد سعيد الحبوبي:

غراءُ معربة المتون حدا بها لحماك حاديها حداء النوق

وقال أحمد شوقي:

وَسَفينٌ طَوراً تَلوحُ، وَحيناً يَتَوَلّى أَشباحَهُنَّ الخَفاءُ
نازِلاتٌ في سَيرِها صاعِداتٌ كَالهَوادي يَهُزُّهُنَّ الحُداءُ

وأخيراً نختم بقول علي محمود طه:

أوحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ، وألهمتْ فُرسانهم تحت الوغى الإنشادا[1]

(1) لاستخراج هذه الأبيات استعنت بآلية البحث عن المفردات في الدواوين والكتب في «الموسوعة الشعرية» التي نشرها في قرص مدمج المجمع الثقافي بأبي ظبي.

ثانياً: نشأة الحداء

نقل المسعودي في (مروج الذهب) عن ابن خرداذبه قوله: «كان الحداء في العرب قبل الغناء. ثم اشتق الغناء من الحداء»، مقرراً وجود ثلاثة أجناس للغناء عند العرب متفرعة من الحداء، أو لاحقة عليه، وهي:

- النصب، أو غناء الركبان والفتيان.

- السناد، وهو الغناء الثقيل ذو الترجيع.

- الهزج، وهو الغناء الخفيف الذي يرقص عليه، ويمشى عليه بالدف والمزمار، فيطرب سامعه.[1]

ويعد الحداء ضرباً من النوع الأول المسمّى بالنصب، وكان الغناء عند الفرس، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحداء والنشيد، وكانوا يسمونه (الركبانية)، وأول من نقل الغناء الأعجمي إلى العرب (سعيد بن مسجح) من أهل مكة، ومن أهل المدينة (سائب خاثر)، وأول من صنع الهزج (طويس).[2]

ويتفق مؤرخو الأدب على حكاية أسطورية بدأ معها الحداء، وتناقلها العرب قبل الإسلام، ووردت في أثر نسب للنبي ﷺ، وقد حكم الشيخ الألباني على القول بأن أصل الخبر المنطوق بلسان النبي ﷺ موضوع في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة).

والنص الموضوع هو قولهم بأن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم، فسلم عليهم، فقال: أن حادينا نام، فسمعنا حاديكم، فملت إليكم، فهل تدرون أنّى كان الحداء؟

قالوا: لا، والله.

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي المسعودي، نسخة الكترونية.
(2) نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، نسخة الكترونية.

قال: إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته، فوجد إبله قد تفرقت، فأخذ عصا ضرب بها كف غلامه، فعدا الغلام في الوادي، وهو يصيح: (يا يداه.. يا يداه)!

فسمعت الإبل، فعطفت عليه، فقال مضر: (لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الإبل، واجتمعت، فاشتق الحداء).

وقال الألباني في (السلسلة الضعيفة والموضوعة) أن الحديث السابق (موضوع). رواه ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) من طريق أبي البختري وهب عن طلحة المكي عن بعض علمائهم: «أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم، فسلم عليهم، فقال، فذكر الحديث».

قلت (والكلام للألباني): وهذا مع إرساله موضوع، والمتهم به أبو البختري هذا، وهو وهب بن وهب المدني القاضي. قال ابن معين: «كان يكذب عدو الله!»، وقال أحمد: «كان يضع الحديث وضعاً»، وذكر ابن الجوزي في مقدمة (الموضوعات) أنه من كبار الوضاعين، فالعجب منه كيف يروي له في هذا الكتاب (تلبيس إبليس) الذي أكثر قرائه لا علم لهم بالحديث ورجاله؟!، وقد ساق الذهبي في ترجمة أبي البختري هذا أحاديث كثيرة. ثم قال: «وهذه أحاديث مكذوبة».

ولكن الشيخ الألباني لم ينف الخبر جملة وتفصيلاً بل صحّح بعض ما فيه من طرق أخرى حيث يقول: «الموضوع في هذا الحديث إنما هو ما عدا الجملة الأولى منه، فإن لها شاهداً مرسلاً قوياً»، والصياغة التي يصححها الألباني ما ذكره ابن سعد في (الطبقات)، وهو كالآتي: أخبرنا الفضل بن دكين أبو نعيم: أخبرنا العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال: (كان النبي ﷺ في سفر، فبينا هو يسير بالليل، ومعه رجل يسايره إذ سمع حادياً يحدو، وقوم أمامه، فقال لصاحبه: لو أتينا حادي هؤلاء القوم، فقربنا حتى غشينا القوم، فقال رسول الله ﷺ: ممن القوم؟

قالوا: من مضر.

فقال: وأنا من مضر... وَنِيَ حادينا، فسمعنا حاديكم، فأتيناكم.

ورواه ابن الأعرابي في حديث سعدان بن نصر، وهذا سند صحيح. رجاله كلهم ثقات من رجال مسلم، لولا أنه مرسل، ولكن جاء نحوه من طريق آخر، فقال ابن سعد: أخبرنا عبد

الوهاب بن عطاء العجلي: أنبأنا حنظلة بن أبي سفيان الجمحي عن طاووس قال: (بينما رسول الله ﷺ في سفر إذ سمع صوت حاد، فسار حتى أتاهم، فقال: من القوم؟. قالوا: مضريون، فقال ﷺ: وأنا مضري.

فقالوا: يا رسول الله.. إنّا أول من حدا.. بينما رجل في سفر، فضرب غلاماً له على يده بعصا، فانكسرت يده، فجعل الغلام يقول، وهو يسير الإبل: وا يداه وا يداه!، وقال: هيبا هيبا، فسارت الإبل).

قال الألباني: «وهذا مرسل صحيح أيضاً، ورواه ابن الأعرابي عن عكرمة مرسلاً بسند صحيح أيضاً، وهو يبين أن الأصل في قصة الحداء موقوف، فرفعه ذلك الكذاب أبو البختري».

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في (البداية) عن علماء التاريخ أنهم قالوا: «كان مضر أول من حدا، وذلك لأنه كان حسن الصوت، فسقط يوماً عن بعيره، فوثبت يده، فجعل يقول: وا يداه.. وا يداه، فأعنقت الإبل لذلك، وهذا مخالف لهذا المرسل. والله أعلم».[1]

انتهى كلام الشيخ الألباني، ومنه نستنتج الآتي:

- إن نسبة القول بذكر قصة أصل الحداء إلى النبي ﷺ كذب لا يصح، ولكن المرجح أن النبي سمع الحادثة من القوم المضريين كحادثة قديمة من حوادث الجاهلية، فلم يعلق عليها، ولا أنكرها.

- إن نسبة الحادثة إلى رجل بعينه هو (مضر بن نزار) غير متحققة، فالقوم قالوا للنبي أن من اشتق الحداء هو رجل منهم، ولم يذكروا أنه جدهم مضر نفسه.

- أن الحادثة مضطربة في تبيين الشخص الذي صاح (وا يداه).. هل هو الرجل أم غلامه؟، ولكنها تتفق في أن الرجل صاحب الإبل هو الذي اكتشف تأثير الحداء في الإبل، فاشتقه.

- إن نسبة القصة إلى (مضر) الذي يبعد عن العصر النبوي بحوالي الألف عام موجودة في كتب التاريخ، وبالتالي فهي بعيدة بعداً كافياً لجعلها من الأساطير، ودخول الوهم إليها، وتظل من الأخبار التي تحكى، فلا تصدق، ولا تكذب.. كما فعل خير الخلق حين استمع إليها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن علاقة الجد (مضر بن نزار) بالإبل قوية، فقد أوردت أساطير

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لناصر الدين الألباني، نسخة الكترونية.

الجاهلية حكم الأفعى الجرهمي له بميراث الإبل دون أخوته في قصة طريفة أوردها الميداني في (مجمع الأمثال)، وهي كالآتي:

«أن نزاراً لما حضرته الوفاة جمع بنيه (مضر وإياداً وربيعة وأنماراً)، فقال: يا بَنيّ، هذه القبة الحمراء - وكانت من أدَم - لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخِباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم - وكانت شمطاء - لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون، فأتوا الأفعى الجرهمي، ومنزله بنجران.

فتشاجروا في ميراثه، فتوجَّهوا إلى الأفعى الجرهمي، فبينا هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلأ قد رُعي، فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور.

قال ربيعة: إنه لأزور.

قال إياد: إنه لأبتر.[1]

قال أنمار: إنه لشَرود.

فساروا قليلاً، فإذا هم برجل ينشد جمله، فسألهم عن البعير.

فقال مضر: أهو أعور؟، فقال نعم.

قال ربيعة: أهو أزور؟، فقال: نعم.

قال إياد: أهو أبتر؟، فقال: نعم.

قال أنمار: أهو شَرود؟، فقال: نعم.. هذه والله صفة بعيري، فدلوني عليه.

قالوا: والله ما رأيناه!

قال: هذا - والله - الكذب، وتعلَّق بهم، وقال: كيف أصدِّقكم، وأنتم تصفون بعيري بصفته؟

فساروا حتى قدموا نجران، فلما نزلوا... نادى صاحب البعير: هؤلاء أَخذوا جَمَلي، ووصَفوا لي صفته ثم قالوا لم نره، فاختصموا إلى الأفْعَى، وهو حكم العرب.

(1) الأزور: الذي اعوجّ صدره أو أشرف أحد جانبي صدره على الآخر، والأبتر: المقطوع الذنب.

فقال الأفعى: كيف وصفتموه، ولم تروه؟

قال مضر: رأيته رَعَى جانباً، وترك جانباً، فعلمتُ أنه أعور.

وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثَر، والأخرى فاسدته، فعلمت أنه أَزوَر لأنه أفسده بشدة وطئه لازوراره.

وقال إياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بعره، ولو كان ذَيَّالا لمَصَع به.

وقال أنمار: عرفت أنه شَرود لأنه كان يرعى في المكان الملتفُّ نبته ثم يجوزه إلى مكان أرقَّ منه، وأخبث نبتاً، فعلمت أنه شَرود.

فقال للرجل: ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه!

ثم سألهم: من أنتم؟، فأخبروه، فرحَّب بهم.

ثم أخبروه بما جاء بهم، فقال: أتحتاجون إليَّ، وأنتم كما أرى؟

ثم أنزلهم، فذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر، وجلس لهم الأفعى حيث لا يُرى، وهو يسمع كلامهم.

فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أطيب منه.. لولا أن حُبْلتَها نبتت على قبر!

فقال ربيعة: لم أَرَ كاليوم لحماً أطيب منه.. لولا أن شاته غُذيت بلبن كلبة!

فقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسرى منه.. لولا أنه ليس لأبيه الذي يُدعى له!

فقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أَنفع في حاجتنا من كلامنا!

وكان كلامهم بأذنه، فقال: ما هؤلاء إلا شياطين.

ثم دعا القهرمان، فقال: ما هذه الخمر؟، وما أمرها؟

قال: هي من حُبْلَة غرستُها على قبر أبيك لم يكن عندنا شرابٌ أطيبُ من شرابها.

وقال للراعي: ما أمر هذه الشاة؟

قال: هي عَنَاق أرضعتُها بلبن كلبة، وذلك أن أمها كانت قد ماتت، ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها.

ثم أتى أمه، فسألها عن أبيه، فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال، وكان لا يولد له. قالت: فخفتُ أن يموت، ولا ولد له، فيذهب الملك، فأمكنت من نفسي ابنَ عم له كان نازلاً عليه.

فخرج الأفعى إليهم، فقصَّ القوم عليه قصتهم، وأخبروه بما أوصى به أبوهم، فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال، فهو لمضر، فذهب بالدنانير والإبل الحمر، فسمى (مضر الحمراء) لذلك.

وقال: وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود، فله كل شيء أسود، فصارت لربيعة الخيل الدُّهم، فقيل (ربيعة الفرس)، وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لإياد، فصار له الماشية، فسمى (إياد الشَّمطاء)، وقضى لأنمار بالدراهم، وبما فضل، فسمى (أنمار الفضل)، فصدروا من عنده على ذلك».[1]

وبغض النظر عن صحة هذه الحكاية الطريفة من كذبها، فالمهم هو معرفة أن قبائل مضر عرفت باقتنائها الإبل منذ فجر العروبة، وبالتالي كان لها نصيب كبير من استحداث طقوس جديدة لتربية تلك الإبل، والحداء أحد أهم هذه الطقوس، وبالتالي، فمن المعقول أن ينسب إلى جدها أو أحد رجالها البارزين فضل (اشتقاق) هذا الضرب الفني!

وحول اتصال الرجز ببقية فنون الشعر، وأسبقية إدخال الرجز في بوتقة الشعر نرى أن ابن قتيبة الدينوري يجزم في كتابه (الشعر والشعراء) أن الأغلب العجلي: «هو أول من شبّه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر»، وقال عنه الآمدي: «هو أرجز الرجاز، وأرصنهم كلاماً، وأصحهم».[2]

بينما العسكري ينقل في كتابه (الأوائل)، فيقول: «كان الرجز يقول منه الرجل في الجاهلية في الحرب، وإذا خاصم أو شاتم أو فاخر... يقول البيتين أو الثلاثة، ونحو ذلك، فكان العجاج أول من رفع الرجز، وشرفه، وفتح أبوابه، وشبهه بالشعر، فجعل له أوائل وتشبيه، ووصف فيه الديار، وأهلها، وذكر ما فيها، وذكر الرسوم والقلوب، ونعت الإبل والطلول، وكان

(1) مجمع الأمثال للميداني، نسخة الكترونية.
(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة، نسخة الكترونية.

يشبه العجاج بامرئ القيس.

وفي أول الإسلام كانوا يقولون العجاج وابنه رؤبة.. ثم اختلفوا.

فقالت تميم: أولهم العجاج. ثم حميد الأرقط. ثم رؤبة.

وقالت ربيعة: أولهم الأغلب. ثم أبو النجم. ثم العجاج، واحتجّت بقول العجاج:

إني أنا الأغلب حيّاً.. قد نشر

قالوا: إنما قاله حكيم بن متعة من بني تميم.

وقالوا: وأرجز الرجز ثلاث أرجوزات:

ليس في الجاهلية والإسلام أمدح من أرجوزة العجاج:

قد جبر الدين الإله، فجبر

ولا أرجوزة في وصف رام، وقانص، وحمير.. أرجز من أرجوزة رؤبة:

وقائم الأعماق خاوي المحترق

ولا أرجوزة في وصف الإبل، ورعاتها، ورعيها.. أرجز من أرجوزة أبي النجم:

الحمد لله الوهوب المجزل

وقد فضلت هذه الأراجيز لأنها جمعت جودة مع طول».[1]

وفي العجاج يقول الأربلي في (المذاكرة في ألقاب الشعراء): ليس في شيء من شعر العجاج شيء من الكلام يستطيع قائل أن يقول: لو كان مكانه غيره كان أجود.

قال العجاج: قد جبرَ الدينَ الإلهُ فجبرْ

وهي نحو من مائتي بيت، وهي مقيدة القافية، فلو أطلقت قوافيها كلها كانت منصوبة.

وسئل الأصمعي عن أشعر الرجاز، فقال: العجلي، ثم السعدي، ثم العجلي، ثم السعدي.

(1) الأوائل لأبي هلال العسكري، ص436.

يريد بالعجلي الأول: الأغلب، وبالسعدي الأول: العجاج، وبالعجلي الثاني: أبا النجم، وبالسعدي الأخير: سليمان بن رؤبة.[1]

وإنما سمي شعر الرجز رجزاً لتدارك أجزائه، وهو مأخوذ من الارتجاز، وهو صوت الرعد المتدارك، والرجز مصدر يرجزون، ويرتجزون ارتجازا. الواحدة أرجوزة، والجمع الأراجيز.[2]

(1) كذا، وأستغرب عدم ذكره لرؤبة، وذكره لابنه سليمان.
(2) المذاكرة في ألقاب الشعراء للنشابي الأربلي، نسخة الكترونية.

ثالثاً: الحداء من الوجهة الشرعية

الحداء... سواء كان للإبل أو للخيل هو شعر يرفع قائله صوته به منشداً لتسلية نفسه ورفاقه، أو حث دابته على المسير، أو لبث الحماس خلال القتال، ولذا فلا شبهة لتحريمه أصلاً حيث لا آلة موسيقية تصاحبه، ولا لهو، ولا لغو، وهو بمنزلة الكلام، فحسنه حسن الكلام، وقبيحه قبيح الكلام، والآثار الصحيحة الواردة في البخاري وغيره تدل على أن الرسول ﷺ كان يستمع للحداء، ولا ينكره، بل كان يحث عليه، وسنورد أخباراً أخرى عن استماع النبي للحداء عند الحديث عن الحداء في العهد النبوي.

وقد جاء عند السفاريني في (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب) في مطلب حكم الحداء الذي تساق به الإبل ونشيد الأعراب قوله: «المذهب الإباحة من غير كراهة لما تظافرت به الأخبار، وتظاهرت به الآثار من إنشاد الأشعار، والحداء في الأسفار، وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء».[1]

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري: «نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، وفي كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه، ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة، ويلتحق بالحداء غناء الحجيج المشتمل على التشوّق إلى الحج بذكر الكعبة، وغيرها من المشاهد، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال، ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهد».[2]

وهذه طائفة من أقوال العلماء في التغني بالحداء مما أورده ابن أبي شيبة في المصنف:

حدّث عبد الله بن إدريس عن ابن جريج عن عطاء قالا: «لا بأس بالغناء والحداء والشعر للمُحرم، ما لم يكن فحشاً».

حدّث جرير عن عطاء بن السائب قال: «كان عمر يأمر رجلاً، فيحدو».[3]

(1) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب لمحمد لسفاريني، ج1، ص145.
(2) فتح الباري لابن حجر، مج2، ص222.
(3) عن علاقة الفاروق بالحداء يذكر الرواة أنه قال للنابغة الجعدي: (أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك)، فأسمعه كلمة له،

حدّث وكيع عن محمد بن القاسم قال: «سمعت الحسن، وسئل عن الحداء. قال: كان المسلمون يفعلونه».

حدّث وكيع عن إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى. قال: «كان سويد بن غفلة يأمر غلاماً له، فيحدو لنا».

حدّث وكيع عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «سمع عمر بن الخطاب رجلاً بفلاة من الأرض، وهو يحدو بغناء الركبان، فقال عمر: إن هذا من زاد الراكب».[1]

ونقل الحجوري في (ضياء السالكين في أحكام وآداب المسافرين) عن الحافظ ابن حجر قوله: «استدل بجواز الحداء على جواز غناء الركبان المسمى بالنصب، وهو ضرب من النشيد بصوت فيه تمطيط وافر.. قوم، فاستدلوا به على جواز الغناء مطلقاً بالألحان التي تستحل عليها الموسيقى، وفيه نظر».[2]

حدّث رؤبة بن العجاج، قال: حدثني أبي، قال: سألت أبا هريرة، فقلت: يا أبا هريرة ما تقول في الحداء:

طـاف الـخـيـالان، وهـاجـا سقما خـيـال تـكـنـى، وخـيـال تكتما

قـامـت تـريـك رهـبـةً أن تصرما سـاقـاً بـخـنـداة وكـعـبـاً أدرمـا

فقال أبو هريرة: «كان يحدى بنحو هذا أو مثل هذا مع رسول الله ﷺ ولم يعبه».[3]

وقال الإمام الشافعي: «الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح، ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز مع الألحان، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان مباحاً، ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم، إلا إذا تضمن المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد، ولا محظور هاهنا. وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: (إن من الشعر لحكمة)».

والإمام الشافعي يعني بحديثه عن الألحان هو التغني بالشعر دون آلة موسيقية،

فقال له: (وإنك لقائلها؟). قال: نعم. قال عمر: (لطالما غنيت بها خلف جمال الخطّاب). راجع: الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، ص68.

(1) المصنف لابن أبي شيبة، ج4، نسخة الكترونية.

(2) ضياء السالكين في أحكام وآداب المسافرين ليحيى الحجوري، نسخة الكترونية.

(3) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافى بن زكريا، نسخة الكترونية. وبخنداة الواردة في الشعر تعني الساق الممتلئة الحسنة، والأدرم: الأملس الذي ليس لحجمه نتوء.

وساق في هذا الموضع الأحاديث الصحيحة التي تضمنت إنشاد الشعر والحداء به، وهي أشهر من أن يحتاج إلى سردها. ثم قال بعد سياق الأحاديث: «ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان سيدنا رسول الله ﷺ، وزمان الصحابة، وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال، وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يحرم من حيث أنه كلام مفهوم مؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة».[1]

وإذا كانت الأقوال السابقة تتحدث عن حداء الإبل المشابه لما كان يعرفه البدو الأواخر بشعر الهجيني، فإنه يشمل بالضرورة حداء الفرسان على صهوات خيولهم بالإباحة، فهو يؤدى بأصوات رجولية دون آلات موسيقية، وإن احتوت الأحديات على ما يخالف الشرع من مفردات، ومعان، فهذا لا يتعلق بالحداء نفسه بل يتصل بعموم الكلام، وحصائد اللسان من حيث الحرمة والحِلّ.

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، نسخة الكترونية.

الفصل الثاني:

حداء الإبل والرجز

في العصور الأدبية المتعاقبة

أولاً: حداء الإبل والرجز في العصر الجاهلي

بدأ الحداء في فلوات البادية، وهو (اكتشاف) عربي مضري كما وردت عن ذلك الأخبار، وكان وجود الحادي من أساسيات القوافل المرتحلة في الصحراء، وأهم أدوات الرعاة الحاذقين، وأجمل فنون الغزاة المحاربين.

ويلاحظ أن الحداء يختلط في فهمنا مع الرجز، نظراً للتلاصق الشديد بينهما في حداء العرب الأواخر، فقد كان الرجز منذ الجاهلية يقوم بالوظائف الحماسية التي اختص بها حداء الخيل في العصور القريبة.

فالنساء كن يقمن بتحميس رجالهن أثناء الحرب، وإغرائهم بالإقدام نحو الموت، فهذه امرأة من عقيل كانت نازلة في قبيلة عكل، فغزاهم رجل بقومه، فقالت تحمس مضيفيها مرتجزة، وتخاطب غازيهم:

يا ابن الدعيّ إنهم (عكلٌ)، فقف لتعلمنّ اليوم.. إن لم تنصرف
أنّ اللئيم والكريم مختلف[1]

ومن الأمثلة المشهورة في هذا السياق أرجوزة (بنات طارق) التي قالتها بنات العلاء بن طارق الكناني، وكان يضرب بهن المثل في الحُسن والشرف، وكنّ يخرجن في حروب قومهن في الجاهلية، ويغنين:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

وبلغت هذه الأهزوجة شهرة كبيرة بين العرب حتى أن هند بنت عتبة (رضي الله عنها) قبل إسلامها كانت تحمس جيش الكفار في غزوة أحد في نساء من قريش بأهزوجة (بنات طارق)، فتقول:

(1) شعراء بني عقيل وشعرهم لعبد العزيز الفيصل، ج2، ص107.

نـحـن بـنـات طـارق ... نمشي عـلى الـنـمارق
والـدرّ.. في المخانق ... والمسك.. في المفارق
إن تقبلوا.. نعانق ... أو تدبروا.. نفارق
فراق غير وامق[1]

ومن رجز الفرسان في الجاهلية، ما قاله جحدر البكري يوم التحالق بين بكر وتغلب في أواخر حرب البسوس:

ردّوا عليّ الخيل.. إن أمّتِ ... إن لم أقاتلهم، فجزّوا لمّتي[2]

وذكر في يوم التحالق أيضاً، أن الفند الزماني أقبل إلى بني شيبان البكريين، وهو شيخ كبير قد جاوز مئة سنة، ومعه بنتان له شيطانتان من شياطين الإنس، فكشفت إحداهما عنها، وتجرّدت، وجعلت تصيح ببني شيبان، ومن معهم من بني بكر بن وائل:

وغا.. وغا.. وغا ... حرّ الحراد، والمطى
ومـلّـئـتْ.. منه الدنى ... يا حبّذا.. يا حبّذا
الملحقون بالضحى

ثم تجرّدت الأخرى، وأقبلت تقول:

إن تقبلوا نعانق ... ونفرش النمارق
إن تدبروا نفارق ... فراق غير وامق[3]

وذكر مثل هذا الرجز أيضاً في يوم ذي قار، وقالته امرأة من عجل، ويبدو أنه تكرر في أكثر من يوم، وكانت النساء يرددن أرجوزة (بنات طارق) لتأثيرها الكبير على المقاتلين، وما فيها من إغراء لهم على الإقدام في ساحة الوغى.

وبمناسبة الحديث عن يوم ذي قار نذكر هنا هذا الرجز الذي قاله يومئذ حنظلة بن ثعلبة البكري:

(1) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لعبد الملك الثعالبي، ص244.
(2) الأغاني للأصفهاني، نسخة الكترونية.
(3) القبائل العربية في بلاد الشام لمحمد العظم، ص320. وتجردت بمعنى كشفت عن وجهها وشعرها، ولا ينبغي أن يفهم غير ذلك.

قد جدّ أشياعكم، فجدّوا ... ما علّتي، وأنا مؤدٌّ.. جلدُ
والقوس فيها وترٌ، وعرد ... مثل ذراع البكر.. أو أشدُّ
قد جعلت أخبار قومي تبدو ... إنّ المنايا ليس منها بدُّ
هذا عميرٌ.. حيّه ألدُّ ... يقدمه.. ليس له مردُّ
حتى يعود كالكميت الورد ... خلّوا بني شيبان، فاستبدّوا
نفسي فداكم.. وأبي، والجدُّ[1]

ونسب المسعودي رجزاً لقوم من العرب البائدة مثل عاد وثمود وطسم وجديس، ولا نرى أن ذلك يصح، بل هو من مزاعم الرواة المنتحلين، والراغبين بمدّ التاريخ الزمني للشعر العربي امتداداً لا يصدقه عاقل.[2]

ومثل ذلك ما ينسب عن حكاية الزباء، وقولها (من الرجز) حين رأت الإبل تحمل الصناديق التي خبأت جيش أعدائها:

ما للجمال مشيها وئيدا؟ ... أجندلاً يحملن.. أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديدا ... أم الرجال جثّماً قعودا؟[3]

وكل ذلك لا يصح، وربما صحّ ما ينسب لعبد المطلب جد النبي ﷺ يوم الفيل يدعو ربه قائلاً:

يا ربِّ.. لا أرجو لهم سواكا ... يا ربِّ، فامنع منهمو.. حماكا
إنّ عدوّ البيت من عاداكا ... فامنعهمو.. أن يخربوا قراكا[4]

ومن الأرجوزات المشهورة في الجاهلية أيضاً، ما ينسب لمهلهل بن ربيعة التغلبي (الزير سالم) حين أمر بوأد ابنته ليلى، ثم هتف به هاتف في منامه يرتجز له:

كم من فتى مؤمّلِ ... وسيّدٍ شمرددلِ
وعدّةٍ.. لا تجهلِ ... في بطن بنت مهلهل

(1) أيام العرب في الجاهلية لمحمد جاد المولى وآخرين، ص31.
(2) مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص133.
(3) مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص96.
(4) مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص128.

فلما استيقظ سأل عن ابنته التي أمر بوأدها، فعلم أن أمها خبأتها، فأخذها، واعتنى بتربيتها، ولما كبرت تزوجها كلثوم بن مالك، فلما حملت بعمرو بن كلثوم شاعر المعلقة الشهيرة أتاها هاتف في المنام يرتجز أيضاً:

إنّي زعيمٌ لك.. أمّ عمرو ... بماجد الجدّ كريم النجر
أشجع من ذي لبدٍ هزبر ... وقّاص أقرانٍ شديد الأسر
يسودهم في خمسة وعشر[1]

ومن الرجز الجاهلي ما قاله رشيد بن رميض العنزي، ونسبت هذه الأرجوزة أيضاً للأخنس بن شهاب التغلبي، واستشهد ببعضها الحجاج بن يوسف في خطبته الشهيرة يوم دخل العراق، وفيها يقول المرتجز:

هذا أوان الشدّ.. فاشتدّي زيَم ... قد لفّها الليل.. بسوّاقٍ حُطَم
ليس براعي إبلٍ.. ولا غنم ... ولا بجزّارٍ.. على ظهر وضم
مهفهف الكشحين خفّاق القدم ... لا عيش إلاّ الطعن في يوم البهم
مثلي على مثلك يدّعى العظم[2]

ومن الرجز الجاهلي قول الأعلم بن خويلد العقيلي عند انتصارهم على مذحج في يوم النخيل:

نحن الذين صبحوا.. صباحا ... يوم النخيل غارةً ملحاحا
نحن قتلنا الملك الجحجاحا ... ولم ندع.. لسارحٍ.. مراحا
إلاّ.. ديراراً.. أو دماً مفاحا ... نحن (بنو خويلدٍ) صراحا
لا كذب اليوم.. ولا مزاحا[3]

ومثله في الفخر قول الأعرج المعني:

أنا (أبو برزة) إذ جدّ الوهل ... خلقت غير زمّلٍ، ولا وكل

(1) القبائل العربية للعظم، ص337.
(2) شعراء تغلب في الجاهلية لعلي أبي زيد، ج2، ص165.
(3) شعراء بني عقيل للفيصل، ج2، ص52.

ذا قوةٍ، وذا شبابٍ مقتبل ... لا جزع اليوم على قرب الأجل
نحن بنو ضبّة أصحاب الجمل ... نحن بنو الموت إذا الموت نزل
لا عار بالموت إذا حمّ الأجل ... الموت أحلى عندنا من العسل[1]

ومثله قول معاوية بن عبادة بن عقيل العامري يرتجز، وهو يقاتل بني تميم، وأسد، وحلفائهم يوم شعب جبلة:

أنا الغلام الأعسر ... الخير فيّ.. والشر
والشرُّ.. فيّ.. أكثر[2]

وفي يوم شعب جبلة أيضاً، أقبلت الإبل تريد الماء والمرعى، وجعل بنو عامر يرمونها بالحجارة والنبل، فأقبلت الإبل تحطم كل شيء مرت به، وجعل البعير يدهدي بيديه.. كذا وكذا.. حجراً، فقال رجل من بني أسد:

زعمتَ أنّ العير لا تقاتل ... بلى.. إذا تقعقع الرحائل
واختلف الهنديُّ والذوابل ... وقالت الأبطال: من ينازل
بلى، وفيها حسبٌ ونائل

كما قال رجل من بني عامر يرتجز بعد انتصارهم في ذلك اليوم:

لم أر يوماً مثل يوم جبلة ... يوم أتتنا أسدٌ، وحنظلة
وغطفان، والملوك أزفله ... نضربهم بقضبٍ منتخلة
لم تعد أن أفرش عنها الصقلة ... حتى حدوناهم حداء الزوملة[3]

ومن الرجز المشهور خارج ميدان القتال، قول لبيد بن ربيعة العامري أمام الملك النعمان بن المنذر ينهاه عن مجالسة الربيع بن زياد العبسي، وكان عدواً لهم، فاندفع لبيد مخاطباً النعمان، ويقول:

لا تزجر الفتيان عن سوء الرعة ... يا ربّ هيجا.. هي خيرٌ من دعة

(1) التذكرة الحمدونية لابن حمدون، نسخة الكترونية.
(2) شعراء بني عقيل للفيصل، ج2، ص102.
(3) الأغاني للأصفهاني، نسخة الكترونية.

يـا ابـن المـلـوك الـسـادة الهبنقعة ... أنـا (لـبـيـدٌ).. ثـمّ هـذي المنزعة
في كـلّ يـومٍ هـامـتـي مـقـزّعـة ... قـانـعـةً، ولم تـكـن مـقـنّـعـة
نـحـن بـنـو أمّ الـبـنـين الأربـعـة ... ونـحـن خـير عـامـر بـن صعصعة
المـطـعـمـون الـجـفـنـة المـدعـدعـة ... والضاربون الهام تحت الخيضعة
يا واهـب الخير الجزيل من سعة ... سـيـوف حـقٍّ، وجـفـانٌ مـتـرعـة
إلـيـك جـاوزنـا بـلاداً مسبعة ... إذ الـفـلاة أوحـشـت في المعمعة
يـخـبرك عـن هـذا خـبـيرٌ، فاسمعه ... مهلاً أبيت اللعن.. لا تأكل معه[1]

وبعدها قال لبيد في هذه الأرجوزة أشطراً لا يحسن إيرادها تصف قذارة المهجوّ، وتبغّض إلى الملك مؤاكلته.

ومن الرجز الجميل في الجاهلية، قول حاتم الطائي لمملوكه في ليلة شاتية يأمره بإيقاد النار:

أوقـد، فـإنّ الـلـيـل قـرٌّ.. لـيـل قـرُّ ... والـريـح يـا واقـد.. ريـحٌ صرُّ
عـسـى يـرى نـاركَ مـن يمـرُّ ... إن جلبت ضيفاً، فأنت حرُّ[2]

(1) شرح ديوان لبيد بن ربيعة لإحسان عباس، نسخة الكترونية.
(2) التذكرة الحمدونية لابن حمدون، نسخة الكترونية.

ثانياً: حداء الإبل والرجز في العهد النبوي

أقرّ النبي ﷺ العرب على حداء إبلهم، وأراجيزاهم يوم الحرب، وذلك بأدلة لا يخالطها الشك، فقد ثبت عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ كان يُحدى له في السفر، وأن أنجشة، وهو مملوك أسود كان يحدو له بالنساء، والبراء بن مالك يحدو بالرجال.

وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال لحاديه الذي يحدو له، ويُنشد بصوت حسَن: «ويحك يا أنجشة!.. رويدك سوقك بالقوارير».

وفي رواية لمسلم. قال أنس: كان لرسول الله ﷺ حَادٍ حسن الصوت، فقال له رسول الله ﷺ: «رويداً يا أنجشة لا تكسر القوارير».. يعني ضعفةً النساء.

وقال أصحاب الأوائل: «أول من اشتهر بالحداء في الإسلام رجل يقال له أنجشة الحادي يضرب المثل به، وكان يهلك الإبل بحسن صوته. كان يحدو في زمن رسول الله ﷺ».

وذكر ابن الأثير في (أسد الغابة) أنه كان لرسول الله ﷺ حاديين هما (رافع وأسلم)، وروي عن أسلم أنه قال: ما شعرنا ليلة، ونحن مع عمر، فإذا هو قد رحّل رواحلنا، وأخذ راحلته، فرحلها، فلما أيقظنا ارتجز:

لا يـأخـذ الـلـيـل عـلـيـك.. بالهمْ ... وألـبـسـن لـه الـقـمـيص، واعـتـمْ
وكـن شريـك (رافـعٍ وأسـلـمْ) ... وأخـدم الـقـوم لـكـيـما تـخـدم

فوثبنا إليه، وقد فرغ من رحله، ورواحلنا، ولم يرد أن يوقظهم، وهم نيام.[1]

كما كان عامر بن الأكوع ممن يُنشد بين يدي النبي ﷺ، وكان بعض أصحاب النبي ﷺ يطلب من عامر سماع ذلك في السفر.

(1) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

قال الإمام البخاري في كتاب الأدب في (باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء): حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع، قال: خرجنا مع رسول الله إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟

وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

لاهُـمّ.. لـولا أنـت.. مـا اهتدينا ولا تـصـدّقـنـا.. ولا صلّـيـنـا
فـاغـفـر.. فـداء لـك مـا اقتفينا وألـقـيْنْ سـكـيـنـةً عـلـيـنـا
وثـبّـت الأقـدام إن لاقـيـنـا إنـا إذا صـيـح بـنـا.. أتـيـنـا
وبـالـصـيـاح.. عـوّلـوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟. قالوا: عامر بن الأكوع. فقال: يرحمه الله. فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله... لولا أمتعتنا به، فاستشهد عامر يوم خيبر.[1]

ولدى ابن الأثير في (أسد الغابة) عن أبي الهيثم بن التيهان عن أبيه. أنه سمع النبي ﷺ يقول في مسيره لخيبر لعامر بن الأكوع: «خذ لنا من هنياتك»، فنزل عامر يرتجز لرسول الله ﷺ، ويقول:

واللـه.. لـولا اللـه مـا اهتدينا ولا تـصـدّقـنـا، ولا صـلـيـنـا
فـأنـزلـن سـكـيـنـة عـلـيـنـا وثـبّـت الأقـدام إن لاقـيـنـا[2]

وجاء في كتب السيرة أن الأنصار كانوا يوم الخندق يرتجزون قائلاً:

نـحـن الـذيـن بـايـعـوا مـحـمّـدا عـلـى الـجـهـاد.. مـا حيينا أبـدا

كما وفد النمر بن تولب على النبي ﷺ برجز أوله:

إنّـا أتـيـنـاك، وقـد طـال السّفر نـقـود خـيـلاً ضـمّـراً.. فيها عسر
نطعمها اللّحم إذا عـزّ الشّجر والخيل في إطعامها اللّحم ضرر

(1) مختصر صحيح البخاري لناصر الدين الالباني، نسخة الكترونية.
(2) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

ومنها:

يـا قـوم.. إنّي رجـلٌ عـنـدي خبر اللّـه مـن آيـاتـه.. هـذا القمر
والشّمس والشّعرى.. وآياتٌ أُخر[1]

ومن أحاديث الرجز أن أبا بكر الصديق لما قدم المدينة أخذته الحمى، وعامرَ بنَ فهيرةَ، وبلالاً، وقالت عائشة: دخلتُ عليهم، وهم في بيتٍ واحد قبل أن يضرب علينا الحجاب، فقلت: يا أبتِ، كيف أصبحت؟، فقال:

كُـل امـرِئٍ مُـصـبَّـحٌ فِي أَهـلِـهِ وَالمَـوتُ أدنَى مِـنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

فقلت: إنا لله، إن أبي ليهذي!، فقلت لعامر بن فهيرة: كيف تجدك؟، فقال:

لَـقَـد وَجَـدتُ المَـوتَ قَبل ذَوْقِـهِ وَالمَـرءُ يَـأتِي مَـوتَـهُ مِـن فَـوقِـهِ
كُـل امـرِئٍ مُـجَـاهِـد بِـطَـوقِـهِ كَـالـثـورِ يَحمِي أَنْـفَـهُ بِـرَوْقِـهِ[2]

ومن الرجز المشهور في ساحات القتال في العهد النبوي ما جرى في غزوة خيبر بين مرحب اليهودي صاحب الحصن، وبين كعب بن مالك (رضي الله عنه)، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حينما خرج مرحب للمبارزة، وهو يرتجز:

قـد عـلـمـت خـيـبـر أني مـرحـبُ شـاكي الـسـلاح.. بـطـلٌ مجربُ
أطـعـن أحـيـانـاً، وحـيـنـاً أضرب إذا الـلـيـوث أقـبـلـت تـحـرّب
إنّ حـمـاي لـلـحـمـى.. لا يقرب

وهو يقول: من يبارز؟، فأجابه كعب بن مالك قائلاً:

قـد عـلـمـت خـيـبر، أني كـعـبُ مـفـرج الـغـمّـى.. جـريءٌ صلبُ
إن شبت الـحـرب تلتها الـحـربُ معي حـسـامٌ كالعقيق.. عضب
نـطـؤكـم.. حـتـى يـذلَّ الصعب نعطي الـجـزاء أو يـفـيء النهب

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) سمط النجوم العوالي لعبد الملك العصامي، نسخة الكترونية.

بـكـفّ مـاضٍ لـيـس فـيـه عـتـب[1]

ثم خرج له علي بن أبي طالب، وهو يرتجز:

أنـا الـذي سمّتني أمـي حـيـدرة ... ضرغـام آجـام، ولـيـثٌ قـسـورة
عبل الـذراعـين.. شديد القصورة ... كـلـيـث غـابـاتٍ كـريـهٍ مظهره
أكيلكم بالسيف كيل السندرة[2]

والمشهور أن علياً قتل مرحباً في تلك المبارزة.

وقبل ذلك في يوم بدر ألقى عمير بن الجموح الأنصاري تمرات كنّ في يده، وأخذ السيف، فقاتل القوم حتى استشهد، وكان يرتجز يومئذ قائلاً:

ركـضـاً إلى الـلـه.. بـغـير زادِ ... إلاّ الـتـقـى، وعـمـل المـعـاد
والـصـبر في الـلـه عـلـى الـجـهـاد ... إنّ الـتـقـى مـن أعـظـم الـسـداد
وخـيـر مـا قـاد إلى الـرشـاد ... وكـل حـيٍّ.. فـإلى نـفـاد[3]

ومثله رجز أبي دجانة الأنصاري حين أعطاه رسول الله سيفه يوم أحد بعدما قال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟»، فأحجم القوم، فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، فدفعه رسول الله ﷺ إليه، ففلق به أبو دجانة هام المشركين، وقال في ذلك:

أنـا الـذي عـاهـدني خـلـيـلي ... ونـحـن بـالـسـفـح.. لـدى النخيل
أن لا أقـوم الـدهـر في الكيول ... اضربْ.. بسيف الله والـرسـول[4]

وفي يوم أحد كان عامر بن كعب الأنصاري الخزرجي يرتجز قائلاً:

أنـا (أبـو زعـنـة) يـعـدوني الـهـزم ... لم يـمـنـع المـخـزاة إلاّ.. بـالألم

(1) السيرة النبوية لابن هشام، نسخة الكترونية.
(2) السيرة النبوية لابن كثير، نسخة الكترونية.
(3) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(4) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

يحمي الديار خزرجيٌّ من جشم[1]

ومن الرجز المشهور يوم مؤتة أن قائد الجيش جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) تقدم لقتال الروم، وهو يرتجز:

يـا حـبـذا الـجـنـة، واقـتـرابـهـا ... طـيـبـةً، وبـاردا شرابـهـا
والـروم رومٌ.. قـد دنـا عذابها ... كـافـرةٌ بـعـيـدةٌ أنـسـابـهـا
عـلـيَّ إذ لاقـيـتـهـا.. ضرابـهـا[2]

ثم تقدم عبد الله بن رواحة بعد استشهاد جعفر يومئذ، فقال يخاطب نفسه متأسياً بما فعل صاحبيه الشهيدين زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب:

يـا نـفـس إلاّ تـقـتـلي تمـوتِي ... هـذا حـيـاض المـوت قـد صليتِ
ومـا تمـنّـيـتِ، فـقـد لـقـيـتِ ... إن تـفـعـلي فـعـلـهـما.. هـديـتِ
وإن تـأخّـرتِ، فـقـد شـقـيـتِ

ثم قال: «يا نفس إلى أي شيء تتوقين؟.. إلى فلانة - امرأته - فهي طالق، وإلى فلان وفلان - غلمان له - فهم أحرار، وإلى معجف - حائط له - فهو لله ورسوله».

ثم قال:

أقـسـمـتُ يـا نـفـسُ.. لتنزلنّه ... لـتـنـزلـنّـه أو لـتـكـرهـنّـه
مـا لي أراك تـكـرهـين الجنة ... فـطـالمـا قـد كـنـت مـطـمـئـنّة
هـل أنـت إلاّ نـطـفـةٌ في شـنّة ... قد أجلب الناس، وشـدوا الرّنّة[3]

ومن أشهر الأراجيز في العهد النبوي قول حمل بن سعدانة:

لبّث قليلاً.. يلحق الهيجا حَمَل ... لا بـأس بـالمـوت إذا حـان الأجـل

وقد تمثل بقوله سعد بن معاذ يوم الخندق، وكان حمل بن سعدانة معدود من الصحابة

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) السيرة النبوية لابن هشام، نسخة الكترونية.
(3) السيرة النبوية لابن كثير، نسخة الكترونية.

أيضاً.

ومن الأراجيز المشهورة أيضاً قول بعضهم:

هل أنتِ إلاّ إصبعٌ.. دميتِ؟ وفي سبيل الله ما لقيتِ

ونسبت لغير واحد من الصحابة، وتمثلوا بها في أكثر من موقف، بل ذكر أن رسول الله ﷺ تمثل بها في إحدى المرات.

ومن الرجز المشهور، قول الصحابة حين رأوا النبي يعمل بيديه في بناء المسجد النبوي:

لئن قعدنا، والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلّل

وارتجز المسلمون، وهم يبنون المسجد يقولون:

لاهُمّ.. إنّ العيش.. عيش الآخرة لاهُمّ.. فارحم الأنصار والمهاجرة

فكان رسول الله ﷺ يقول معهم: «لا عيش إلاّ عيش الآخرة.. لاهُمّ ارحم المهاجرين والأنصار».[1]

ومن الأحاديث الدالة على استماع النبي للرجز، واستحسانه له ما حدث به الأعشى المازني إذ قال: أتيت النبي ﷺ، فأنشدته:

يا ملك الناس، وديّان العرب إنّي لقيت ذربةً من الذرب
غدوت أبغيها الطعام في رجب فخلّفتني.. في نزاعٍ، وهرب
أخلفت العهد، ولطّت بالذنب وهنّ شرّ غالبٍ.. لمن غلب

فجعل النبي ﷺ يقول: «وهن شر غالب لمن غلب».

وسبب هذه الأبيات أن الأعشى المازني كانت متزوجاً من امرأة اسمها معاذة، فخرج يمير أهله من هجر، فهربت امرأته بعده ناشزاً عليه، فعاذت برجل منهم يقال له (مطرف بن نهصل)، فلما قدم الأعشى لم يجدها في بيته، وأخبر أنها نشزت عليه، وأنها عاذت بمطرف، فأتاه، فقال له: يا ابن عم، عندك امرأتي معاذة، فادفعها إلي، فقال: ليست عندي، ولو كانت عندي لم أدفعها إليك، وكان مطرف أعز منه.

(1) السيرة النبوية لابن كثير، نسخة الكترونية.

فسار الأعشى إلى النبي ﷺ، فعاذ به، وقال الأبيات السابقة، وشكا إليه امرأته، وما صنعت، وأنها عند مطرف بن نهصل، فكتب النبي ﷺ إلى مطرف: «انظر امرأة هذا معاذة، فادفعها إليه»، فأتاه كتاب النبي ﷺ فقرئ عليه، فقال: يا معاذة، هذا كتاب النبي ﷺ فيك، وأنا دافعك إليه. قالت: خذ لي العهد والميثاق، وذمة النبي ﷺ أن لا يعاقبني فيما صنعت، فأخذ لها ذلك، ودفعها إليه، فأنشأ الأعشى يقول (من البحر الطويل):

لعمرك ما حبّبي معاذة بالذي يغيّره الواشي، ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزلّها غواة رجالٍ إذ ينادونها بعدي[1]

ومثل ذلك، أن وفد همدان جاءوا إلى رسول الله ﷺ على رحال مخططات بحبل الليف، وهو في غزوة تبوك، وراجزهم يرجز بين أيديهم يقول:

إليك جاوزنا سواد الريف في هبوات الصيف والخريف
مخطّماتٍ.. بحبال الليف[2]

ومن أحاديث الرجز في العهد النبوي، ما روي من أن العوام بن جهيل المسامي سادن الصنم يغوث قد حدّث بعد إسلامه، فقال: كنت أسمر مع جماعة من قومي، فإذا أوى أصحابي إلى رحالهم نمت أنا في بيت الصنم، فنمت في ليلة ذات ريح وبرق ورعد، فلما انهار الليل سمعت هاتفاً من الصنم يقول - ولم نكن سمعنا منه قبل ذلك كلاماً -: «يا ابن جهيل.. حل بالأصنام الويل.. هذا نور سطع من الأرض الحرام، فودع يغوث بالسلام».

فألقي، والله - في قلبي البراءة من الأصنام، وكتمت قومي ما سمعت، وإذا هاتف يقول:

هل تسمعن القول.. يا عوّام؟ أم قد صممت عن مدى الكلامِ
قد كشفتْ.. دياجر الظلامِ وأصفق الناس على الإسلامِ

فقلت:

يا أيّها الهاتف بالنوّامِ لست بذي وقرٍ عن الكلامِ

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) الأنساب لسلمة الصحاري، ص498.

فـبـيـنـنّ عــن سـنـة الإســـلامِ

ووالله ما عرفت الإسلام قبل ذلك، فأجابني يقول:

ارحـل عـلى اسـم الـلـه، والتوفيقِ رحـلـة لا وانٍ.. ولا مـشـيـقِ
إلى فـريـقٍ.. خـير مـا فـريـقِ إلى الـنـبـي الـصـادق المـصـدوقِ

فرميت الصنم، وخرجت أريد النبي ﷺ، فصادفت وفد همدان يريدون النبي ﷺ، فأخبرته خبري، فسر بقولي، ثم قال: «أخبر المسلمين»، وأمرني النبي بكسر الأصنام، فرجعنا إلى اليمن، وقد امتحن الله قلوبنا للإسلام.[1]

ومن أحاديث رجز الجن أيضاً ما ذكره ابن الأثير من أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال ذات يوم لابن عباس: حدثني بحديث تعجبني به.

فقال: حدثني خريم بن فاتك الأسدي. قال: خرجت في بغاء إبل لي، فأصبتها بأبرق العزاف، فعقلتها، وتوسدت ذراع بكر منها، وذلك حدثان خرج النبي ﷺ. ثم قلت: أعوذ بكبير هذا الوادي - وكذلك كانوا يفعلون - فإذا هاتف يهتف بي، ويقول:

ويـحـك.. عـذ بـالـلـه ذي الـجـلالِ مـنـزّل الـحـرام، والـحـلالِ
ووحّـــد الـلـــه، ولا تـبـالي مـا هـول ذي الـجـنّ مـن الأهـوال

وهي أكثر من هذا، فقلت:

يـا أيّـهـا الـهـاتـف.. مـا تـخـيـلُ؟ أرشـــدٌ عـنـدك.. أم تضليل؟

فقال:

هـذا رسـول الـلّـه ذو الـخـيراتِ جـاء بـيـاسـين، وحـامـيـماتِ
وســـورٍ بـعـد مـفـصّـلاتِ مـحـرّمـاتٍ، ومـحـلّـلاتِ
يـأمـر بـالـصّـوم وبـالـصّـلاةِ ويـزجـر الـنّـاس عـن الـهـنـاتِ

قلت: من أنت؟. يرحمك الله!

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

فقال: أنا مالك بن مالك.. بعثني رسول الله على جن أهل نصيبين نجد.

قلت: لو كان لي من يكفيني إبلي هذه لأتيته حتى أؤمن به.

قال: أنا أكفيكها حتى أؤديها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى.

فاعتقلت بعيراً منها، ثم أتيت النبي ﷺ بالمدينة، فوافقت الناس يوم الجمعة، وهم في الصلاة، فإني أنيخ راحلتي، إذ خرج إليّ أبو ذر، فقال لي: يقول لك رسول الله ﷺ ادخل.

فدخلت، فلما رآني قال: ما فعل الشيخ الذي ضمن أن يؤدي إبلك إلى أهلك؟. أما إنه قد أداها إلى أهلك سالمة.

فقلت: رحمه الله.

قال رسول الله ﷺ: أجل. رحمه الله.[1]

وفي حديث عمرة القضاء أن رسول الله ﷺ دخل مكة المكرمة، والصحابي عبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته يرتجز، فيقول:

خَـلـوا بَـنـي الـكُـفّـارِ عَـن سَـبـيـلِـه قـد أَنـــزلَ الـرحـمَـنُ في تَـنـزيـلِـه
بِـــأَن خَـــيرَ الـقَـتـلِ في سَـبـيـلِـه الـيَـومَ نَـضرِبـكُـم عَـلَى تَـنـزيـلِـه
ضَربـاً يُـزيـلُ الـهَـامَ عـن مَـقـيـلِـه وَيُـذهِـلُ الـخَـلـيـلَ عَـنْ خَـلِـيـلِـه
يَـا رَب إني مُـؤْمِـن بِـقـيـلِـه إني رَأَيـــتُ الـحَـق في قَـبُـولِـه[2]

وجاء في خبر فتح مكة، أن عمرو بن سالم الخزاعي ركب إلى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة يخبر بنكث قريش وحلفائهم لعهد الحديبية، فلما قدم على النبي أنشده رجزاً منه:

لاهُـــمّ.. إنّي نـاشـدٌ مـحـمّـدا حـلـف أبـيـنـا، وأبـيـه الأتـلـدا
كـنـت لـنـا أبـــاً، وكـنّـا ولـدا فـمّـتَ أسـلـمـنـا، فـلـم نـنـزع يـدا
فـانـصر رسـول الـلـه.. نـصراً عتدا وادع عـبـاد الـلـه يـأتـوا مـددا

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) سمط النجوم العوالي للعصامي، نسخة الكترونية.

فيهم رسول الله قد تجرّدا ... إن سيم خسفاً.. وجهه تربّدا
في فيلقٍ كالبحر.. يجري مزبدا ... إنّ قريشاً.. أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وزعموا أن لست تدعو أحدا
وهم أذلّ، وأقلّ عددا ... قد جعلوا لي بكداءٍ رصدا
هم بيّتونا بالوتير هجّدا ... فقتّلونا.. ركّعاً، وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: «نُصرتَ.. يا عمرو بن سالم»، فما برح حتى مرت غمامة في السماء، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب».

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وكتمهم مخرجه، وسأل أن يعمي على قريش خبره حتى يباغتهم في بلادهم، وسار، فكان فتح مكة.[1]

ومما يروى عن فتح مكة، أن رجلاً من أهل مكة قيل هو حماس بن قيس البكري، وقيل ابن صاهلة الهذلي كان يعد سلاحه لقتال المسلمين، ويقول:

إن يقبلوا اليوم فما بي علّة ... هذا سلاحٌ كاملٌ، وإلّة
وذو غرارين.. سريع السلة

فلما جاء الفتح، وانهزم الكفار، وهرب قادتهم كصفوان وعكرمة عند جبل بمكة يسمى الخندمة، عاد المرتجز منهزماً إلى بيته، وقال لامرأته: أغلقي عليّ بابي، وارتجز لمّا عيّرته بهروبه:

إنّك.. لو شهدتنا بالخندمة ... إذ فرّ صفوانٌ، وفرّ عكرمة
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة ... يقطعن كلّ ساعدٍ، وجمجمة
ضرباً، فلا تسمع إلاّ غمغمة ... لهم نَهيتٌ خلفنا، وهمهمة
لم تنطقي في اللوم.. أدنى كلمة[2]

كما ارتجز الصحابة الذين بعثهم النبي ﷺ لهدم أصنام الكفار، فقال خالد بن الوليد، وهو يهدم صنم العزى في الطائف:

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار لمحمد بن بليهد، ج4، ص258.

يا عزُّ.. كفرانك.. لا سبحانك ... إنّي رأيت الله.. قد أهانك[1]

وقال طفيل الدوسي، وهو يحرق ذي الكفين صنم عمرو بن حممة، وكان من خشب:

يا ذا الكفين.. لست من عبّادكا ... ميلادنا.. أقدم من ميلادكا[2]

ومن رجز النساء في العهد النبوي، قول أم الصحابي سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي لما هاجر ابنها إلى المدينة:

لاهُمّ.. ربّ الكعبة المحرّمة ... أظهر.. على كل عدوٍّ.. سلمة
له يدان في الأمور المبهمة ... كفٌّ بها يعطي، وكفٌّ منعمة[3]

ومن رجز النساء أيضاً، ما روي يوم أحد لما علت هند بنت عتبة (قبل إسلامها) صخرة مشرفة، فنادت بأعلى صوتها:

نحن جزيناكم.. بيوم بدرِ ... والحرب بعد الحرب.. ذات سعرِ
ما كان لي عن (عتبة) من صبرِ ... ولا أخي، وعمّه، وبكري
شفيتُ نفسي، وقضيت نذري ... شفيتُ (وحشي) غليل صدري
فشكر (وحشي) على عمري ... حتى ترمّ أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب القرشية (رضي الله عنها)، وكانت ممن أسلمن بمكة، فقالت:

خزيت في بدرٍ، وبعد بدرِ ... يا بنت وقّاعٍ.. عظيم الكفرِ
صبّحك الله غداة الفجرِ ... بالهاشميّين الطوال الزهرِ
بكلّ قطاع حسام يفرى ... حمزة ليثي، وعليٌّ صقري
إذ رام شيبٌ، وأبوك غدري ... فخضّبا منه ضواحي النحرِ

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(3) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

ونـــذرك الـــسوء، فـــشّر نـــذرِ[1]

وكانت نساء الكفار يوم أحد يضربن بالدفوف خلف الرجال، ويحرضن على القتال، فكانت هند فيما تقول تحرض بني عبد الدار حملة الراية القرشية:

ويـــهـــا.. بـــنـــي عـــبـــد الـــدار ويـــهـــا.. حـــمـاة الأدبـــار
ضربـــــــاً.. بـــكـــل بـــتـــار

وتقول أيضاً:

إن تـــقـــبـــلـــوا.. نـــعـــانـــق ونـــــفـــــرش الـــنـــمـارق
أو تـــــدبـــــروا نـــفـــارق فـــــراق.. غـــير وامـــــق[2]

ومن رجز النساء في العهد النبوي، قول أم الفضل ترقص ابنها عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما):

ثـكـلـت نـفـسي، وثـكـلـت بـكـري إن لم يـسـد فـهـراً، وغـير فهر
بالحسب العـد ، وبـذل الـوفـر حـتـى يـوارى في ضريـح الـقـبر[3]

وكذلك قول فاطمة الزهراء ترقص ابنها الحسن (رضي عنه وعن والديه):

إنّ بـــنـــي.. شـــبـــهُ الـــنـــبـــي لـــيـــس شـــبـــيـــهـــاً بـــعـــلي[4]

(1) السيرة النبوية لابن كثير، نسخة الكترونية.
(2) السيرة النبوية لابن كثير، نسخة الكترونية.
(3) الرجز في العصر الأموي لمحمد كشاش، ص61.
(4) الرجز في العصر الأموي لمحمد كشاش، ص78.

ثالثاً: حداء الإبل والرجز في العصر الراشدي

واستمر الحداء في العصور التي تلت عهد النبي ﷺ، واستمر الرجز في الفتوحات والمعارك الكثيرة التي خاضها المسلمون، وفي الفتن التي حدثت بينهم.

ونبدأ مع مثال اجتماعي للرجز، حين وقف أعرابي على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إبان خلافته، فقال له:

يـا عـمـر الـخـير.. جـزيـت الجنّة جـهّـز بـنـيّـاتي.. وإكـسـهـنّـه
أقـسـم بـالـلـه.. لـتـفـعـلـنّـه

قال عمر: فإن لم أفعل.. يكون ماذا.. يا أعرابي؟

قال:

أقـسـم بـالـلـه.. لأمـضـيـنّـه

قال: فإن مضيت.. يكون ماذا.. يا أعرابي؟

قال:

والـلـه عـن حـالي لـتـسـألـنّـه ثـمّ تـكـون المـسـألات عـنّـه
والـواقـف المـسـؤول بينهنّه إمّـا إلى نـار.. وإمـا جـنّـة

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه. ثم قال: «يا غلام، أعطه قميصي هذا.. لذلك اليوم.. لا لشعره، والله ما أملك قميصاً غيره».[1]

ومن أحاديث استماع الفاروق للأراجيز، ما روي عن حديث عمر مع عمرو بن معدي

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

كرب حين قال عمرو: لأحدثنك حديثاً لم أحدث به أحداً غيرك.

خرجت في خيل بني زبيد أريد بني كنانة، فأتينا قوماً سراة.

فقال عمر (رضي الله عنه): كيف علمت أنهم سراة؟

قال: رأيت مرابط خيل، وقدوراً تكفأ، وقباباً حمراً جديدة، ونعماً كثيرة وشاء، فأهويت إلى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي، وكان بيتاً منتبذاً من البيوت، فنظرت إليه، وإذا بامرأة بادية الجمال على فرش لها، فلما نظرت إلي، وإلى الخيل استعبرت.

فقلت: ما يبكيك؟

قالت: والله ما أبكي على نفسي، ولكن أبكي حسداً لبنات عمي.. سلمن، وابتلى أناس دونهن.

فقلت: وأين هن؟

قالت: في هذا الوادي وراءك.

فقلت لأصحابي: لا تحدثوا شيئاً حتى آتيكم.

ثم همزتُ فرسي حتى علوت كثيباً، فإذا غلام أصهب الشعر أهدب أقتى يخصف نعلاً له، وسيفه بين يديه، وفرسه عنده، فلما نظر إليّ نبذ النعل من يده، ثم أخذ سلاحه، وأشرف على الكثيب، فلما نظر إلى الخيل محيطةً ببيته، أقبل نحوي، ثم حمل علي يقول:

أقـــولُ لِمـا مـنَـحَـتـنـي فـاهـا وألـبَـسَـتـنـي بُـكـرةً.. رِداهـــا
إذن.. سأجوي اليـومَ مَـن جَواها فَليتَ شعري اليـوم.. ما دهاها؟
الـخـيـلُ تـبـغـيـهـا.. عـلى خـواهـا حـتـى إذا خَـلا بـهـا.. خـواهـا

فقدمت عليه، وأنا أقول:

(عمرو).. على طول الوِجا.. دهاها بـالـخـيـلِ.. يبغيها.. عـلى خَـواهـا

حـتـى إذا خـلا بـهـا.. خَـواهـا

وحملتُ عليه، فإذا هو أروغ من هرّ، فراغ عني، ثم حمل عليّ، فضربني بسيفه ضربة صرعني بها، فلما أفقت من صرعتي، حملت عليه، فراغ عني، ثم حمل عليّ، فصرعني، واستاق ما في أيدينا من الغنيمة.

ثم أفقتُ واستويت على فرسي، فلما رآني أقبل، وهو يقول:

انـا ابـنُ عبد الله محمودُ الشيَمْ وخـيرُ مَـن يمـشي بِـسـاقٍ، وقَـدَم
عَـــدوّهُ.. يفديهِ مـن كـلّ السقم

فحملت عليه، وأنا أقول:

أنا ابن ذي التقليدِ في الشهرِ الأصَمْ أنـا ابـنُ ذي الإكليل.. قتّال البُهَمْ
من يلقني يَـردَى.. كما أردَتْ إرَمْ أُنـزلـهُ لـحـماً عـلى ظـهـرِ وَضَـمْ

فراغ عني، ثم ضربني، ثم صرخ صرخة، فرأيت الموت والله، يا أمير المؤمنين.. ليس دونه شيء، وخفته خوفاً لم أخف أحداً قط قبله مثله.

فقلت له: من أنت، فوالله.. ما اجترأ علي أحد قط إلا عامر بن الطفيل لإعجابه بنفسه، وعمرُو بن كلثوم لسنه وتجربته؟!

قال: بل من أنت؟. أخبرني وإلا قتلتك.

فقلت: أنا عمرو بن معدي كرب، فقال: وأنا ربيعة بن مكدم.

ثم قلت: اختر مني إحدى ثلاث: إن شئت اجتلدنا بالسيف حتى يموت أعجزنا، وإن شئت اصطرعنا، وإن شئت السلم، فإنك حدث وبقومك إليك حاجة.

فقال: بل هذه الثلاث إليك، فاخترت السلم.

وكان عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) إذا سار بأرض الكوفة يرتجز، ويقول:

يـا حـبّـذا الـسـير بـأرض الكوفة أرضٍ ســـواءٍ سَـهْـلـةٍ مَـعـروفـة

تعرفها جمالنا المعلوفة[1]

وكان عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما) في طريقه من البصرة إلى مكة يحدو الإبل، ويقول:

أُوبي إلى أهلك يا ربَابُ أُوبي، فقد هان لك الإيابُ

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول في بعض ما يَرتجز به من شعر:

إليك تَعدو.. قَلِقاً وَضينُها مخالفاً دينَ النصارى.. دينُها

فجعل الدِّين للناقة، وإنما أراد صاحبَ الناقة.[2]

ويروى عن الصحابي مالك بن عامر بن هانئ في فتوح العراق، أنه كان أول من عبر نهر دجلة يوم المدائن، وقال في ذلك مرتجزاً:

امضوا.. فإنّ البحر بحرٌ مأمور لأوّل القاطع منكم.. مأجور
قد خاب كسرى، وأبوه سابور ما تصنعون، والحديث مأثور[3]

ومن الأمثلة الحماسية للأراجيز في أيام الفتنة، ما روي عن حكيم بن جبلة العبدي، والذي قاتل جيش طلحة والزبير (رضي الله عنهما). قبيل يوم الجمل في سبعمئة رجل من ربيعة، فقاتلهم حتى أخرجهم من قصر الإمارة، ولم يزل يقاتلهم حتى قطعت رجله، فأخذها، وضرب بها الذي قطعها، فقتلته، ولم يزل يقاتل، ورجله مقطوعة، وهو يرتجز:

يا ساق.. لن تراعي إنّ معي ذراعي
أحمي بها كراعي

حتى نزفه الدم، فاتكأ على الرجل الذي قطع رجله، وهو قتيل، فقال له قائل: من فعل بك هذا؟. قال: وسادتي!، فما رئي أشجع منه، ثم قتله سحيم الحداني.[4]

وفي حروب الفتنة كان عبد الله بن بديل الخزاعي من أصحاب علي (رضي الله عنه)

(1) سمط النجوم العوالي للعصامي، نسخة الكترونية.
(2) العقد الفريد لابن عبد ربه، نسخة الكترونية.
(3) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(4) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

يرتدي درعين وسيفين، ويضرب أهل الشام مرتجزاً:

لم يبق إلاّ الصبر، والتوكّل ثم التمشّي في الرّعيل الأول
مشى الجمال في حياض المنهل والله يقضي ما يشا، ويفعل

فلم يزل يقاتل حتى انتهى إلى معاوية (رضي الله عنه)، فأحاط به أهل الشام، فقتلوه، فلما رآه معاوية قال: «والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلننا.. فضلاً عن رجالها».[1]

ومثله هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري يوم صفين صاحب راية علي، وكانت عينه قد فقئت يوم اليرموك، فارتجز يوم صفين:

أعور.. يبغي أهله محلاّ قد عالج الحياة حتّى ملاّ
لا بد أن يفلّ.. أو يفلاّ

فقطعت رجله يومئذ، وجعل يقاتل من دنا منه، وهو بارك، ويقول:

الفحل يحمي شوله معقولا

وقاتل حتى قتل.[2]

وفي الجانب الآخر كان أبو مسلم الخولاني الذي شهد صفين مع معاوية يرتجز، ويقول:

ما علّتي.. ما علّتي وقد لبست درعتي
أموت عند طاعتي[3]

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(3) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

رابعاً: حداء الإبل والرجز في العصر الأموي

واستمر الحداء والرجز في العصر الأموي مع استمرار الفتوحات والمعارك، وصار للرجز شعراء متخصصون في هذا العصر يفدون على الخلفاء، ويمدحونهم بأراجيزهم.

ومن الأراجيز الجميلة في العصر الأموي، قول الصحابي شريح بن هانئ الحارثي الذي استشهد في سجستان غازياً سنة 78هـ، وكان الفرس يومئذ قد قطعوا الطريق على المسلمين، فقتل عامة جيش المسلمين، فقال شريح ذلك اليوم قبل استشهاده:

أصبحت ذا بثٍّ أقاسي الكبرا — قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمّتَ أدركت النبيَّ المنذرا — وبعده صدّيقه، وعمرا
ويوم مهرانٍ، ويوم تستر — والجمع في صيفهمُ، والنهرا
وبا جميرات مع المشقّرا — هيهات.. ما أطول هذا عمرا

وقيل: أنه عاش مائة وعشرين سنة.[1]

ومن أحاديث كبر السن أيضاً، قول أبي العريان المحاربي الصحابي عندما عاده عمرو بن حرَيث، فقال له: كيف تجدك يا أبا العريان؟

فقال: أَجدني قد ابيضَّ مني ما كنت أحب أَن يسود، واسودّ مني ما كنت أحب أَن يبيض، واشتدّ مني ما كنت أُحب أن يلين، ولان مني ما كنت أُحب أن يشتد، وأنشد مرتجزاً:

اسمع.. أنبئك بآيات الكبر — تقارب الخطو، وسوءُ في البصر
وقلة الطعم إذا الزاد حضر — وكثرة النسيان فيما يدّكر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر — نوم العشاء، وسعال في السحر

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

وتركي الحسناء في قبل الظهر — والناس يبلون كما تبلى الشجر[1]

ومن الرجز المشهور يوم كربلاء، قول علي الأكبر بن الحسين (رضي الله عنهما)، وكان يضرب بالسيف بين يدي أبيه، وهو يرتجز:

أنا عليّ بن الحسين بن عليّ — أنا، ورب البيت أولى بالنبيّ
من شمر، وشيت، وابن الدعيّ — ألا تروني كيف أحمى عن أبي؟

فقاتل حتى استشهد هو وأبوه الحسين بن علي، واستشهد يومئذ ثلاثة عشر رجلاً من بني هاشم (رضي الله عنهم جميعاً).[2]

ومن الرجز في العهد الأموي قول عبد الله بن مطيع القرشي العدوي، وكان قد هرب لما أوقع أهل الشام بأهل المدينة يوم الحرة سنة 61هـ، ولحق بعبد الله بن الزبير بمكة، وشهد معه الحصار الأول، لما حاصرهم أهل الشام بعد وقعة الحرة، وبقي عنده إلى أن حاصره الحجاج بن يوسف بمكة، وكان ابن مطيع مع ابن الزبير، فقاتل، وهو يقول:

أنا الذي فررت يوم الحَرّة — والحرّ.. لا يفر إلّا.. مَرّة
يا حبذا الكرّة بعد الفرّة — لأجزينّ فرّة.. بكرّة

وقتل مع ابن الزبير.[3]

وفي حروب الخوارج برزت منهم امرأة يقال لها أم حكيم، وكانت من أشجع الناس، وأجملهم وجهاً، وخطبها جماعة منهم، فردّتهم، وكانت في الحرب تحمل على الناس، وتقول مرتجزة:

أحمل رأساً.. قد سئمت حمله — وقد مللت دهنه، وغسله
ألا فتىً.. يحمل عنّي ثقله؟

وهم يفدونها بالآباء والأمهات.[4]

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(2) الأمالي الشجرية لابن الشجري، نسخة الكترونية.
(3) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.
(4) التذكرة الحمدونية لابن حمدون، نسخة الكترونية.

واستمر الرجز يبث الحماس في صدور المقاتلين، ومنه قول زياد بن عمرو العقيلي، وهو يقاتل في معركة مرج راهط يخاطب مروان بن الحكم:

قد طاب ورد الموت مروان، فرد لا تحسبنّ العيش أدنى للرشد
لا خير في طول الحياة.. في كبد[1]

وفي الرثاء نقرأ قول القحيف العقيلي يرثي يزيد بن الطثرية:

إن تقتلوا منّا.. شهيداً صابرا فقد قتلنا منكمو.. مجازرا
عشرين.. لمّا يدخلوا المقابرا قتلى أصيبت.. قعصاً نحائرا
نفجاً يرى أرجلها شواغرا[2]

ومن حكايات حداء الإبل في ذلك العصر، ما رواه ابن واصل الحموي في (تجريد الأغاني) من أن عائشة بنت طلحة حجت ذات سنة، وحجت في تلك السنة أيضاً سكينة بنت الحسين بن علي، وكانت ضرتها عند مصعب بن الزبير، وكانت عائشة أحسن منها ثقلاً وآلة، فقال حاديها:

عائش.. يا ذات البغال الستين لازلت ما عشت.. كذا تحجّين

وشقّ ذلك على سكينة، فنزل حاديها، فقال:

عائشُ.. هذى ضرةٌ تشكوكِ لولا أبوها.. ما اهتدى أبوكِ

فأمرت عائشة حاديها أن يكف.[3]

وحول سكينة أيضاً ما ذكره الأصفهاني في الأغاني: بينما سكينة ذات ليلة تسير إذ سمعت حاديا يحدو في الليل، ويقول:

لولا ثلاثٌ.. هنّ عيش الدهر

فقالت لقائد قطارها: ألحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه الثلاث، فطال طلبه لذلك حتى أتعبها، فقالت لغلام لها: سر أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:

(1) شعراء بني عقيل للفيصل، ج2، ص85.
(2) شعراء بني عقيل للفيصل، ج2، ص91.
(3) التذكرة الحمدونية، نسخة الكترونية.

الماء، والنوم، وأمّ عمرو

فقالت: قبحه الله... أتعبني منذ الليلة![1]

وذكر أن المغني سعيد بن مسجح في خلافة عبد الملك بن مروان نزل ضيفاً على قرشي، فقال له مضيفه: إني أسمر الليلة مع أمير المؤمنين، فهل تحسن أن تحدو؟

قال: لا، ولكني أستعمل حداء.

قال: فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين، فإن وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك.

ومضى إلى عبد الملك، فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسحج، فأخرج هذا رأسه من وراء شرف القصر، ثم حدا:

إنك يا معاذ.. يا ابن الفضلِ إن زلزل الأقدام لم تزلزلِ
عن دين موسى، والكتاب المنزلِ تقيم أصداغ القرون الميّلِ
للحقّ حتى ينتحوا للأعدلِ

فقال عبد الملك للقرشي: من هذا؟

قال: رجل حجازي قدم عليّ.

قال: أحضره، فأحضره له، وقال له: أحد مجدّداً.

ثم قال له: هل تغني غناء الركبان؟

قال: نعم، قال: غنه.

فتغنى، فقال له: فهل تغني المتقن؟

قال: نعم. قال: غنه.

فتغنى، فاهتز عبد الملك طرباً.

(1) الأغاني للأصفهاني، نسخة الكترونية.

ومن حكايات حداء الإبل، أن مروان بن الحكم خرج مسافرا في نفر من قريش، ومعه جميل بن معمر، وجواس بن قطبة، فقال مروان لجواس: انزل، فارجز بنا، وهو يريد أن يمدحه، فنزل جواس، وقال: (من بحر الطويل)

يقول أميري: هل تسوق ركابنا؟ فقلت له: حادٍ لهنّ سوائيا
تكرّمتُ عن سوق المطيّ، ولم يكن سياق المطيّ همتي، ورجائيا
جعلت أبي رهناً، وعرضي سادراً إلى أهل بيت لم يكونوا كفائيا
إلى شرِّ بيتٍ من قضاعة منصباً وفي شرِّ قوم منهم قد بدا ليا

فقال مروان: (اركب. لا ركبت). ثم قال لجميل: (انزل، فارجز بنا)، وهو يريد أن يمدحه، فنزل جميل، فقال:

أنا (جميلٌ) في السنام الأعظمِ الفارع الناس.. الأعزّ الأكرمِ
أحمي ذماري.. ووجدت أقرمي كانوا على غارب طودٍ خضرم
أعيا على الناس، فلم يهدم

فقال: (عد عن هذا)، فقال جميل:

لهفا على البيت المعدّي لهفا من بعد ما كان قد استكفّا
ولو دعا الله، ومد الكفا لرجفت منه الجبال رجفا

فقال له مروان: اركب. لا ركبت!

وكان جميل بثينة لا يمدح أحداً قط، فقد كان مع الوليد بن عبد الملك في سفر، والوليد على نجيب، فرجز به مكين العذري، فقال:

يا بكر.. هل تعلم من علاكا خليفة الله على ذراكا

فقال الوليد لجميل: (انزل، فارجز)، وظن الوليد أنه يمدحه، فنزل، فقال:

أنا (جميلٌ).. في السنام من معد في الذروة العلياء، والركن الأشد
والبيت من (سعد بن زيد)، والعدد ما يبتغي الأعداء مني، ولقد
أضرى بي الشتم لساني، ومرد أقود من شئت، وصعب لم أقد

فقال له الوليد: (اركب.. لا حملك الله).[1]

وكان جميل بثينة ذات مرة في طريق الحج مع مروان بن الحكم، فطلب إليه مروان أن يحدو الإبل، فقال متغزلاً:

يا (بثُ) حيّي.. أو عدينا.. أو صلي وهوّني الأمر، فزوري، واعجلي
(بثين).. أيّا ما أردتِ، فافعلي إنّي لآتٍ.. ما أبأت مقتلي

فلم يقبل مروان أن يتغزل جميل بالحدو، وإنما يطلب الخلفاء والأمراء إذا ركبوا الإبل أن يحدوها الحادي برجز في مدحهم.[2]

ومن حوادث الخلفاء الأمويين مع الحداء، ما حدث عندما خرج علي بن عبد الله بن العباس بابن عمه الفضل اللهبي إلى عبد الملك بن مروان بالشام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له، ومعه بغلة تجنب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال:

يا أيها البكر الذي أراكا عليك سهل الأرض في ممشاكا
ويلك هل تعلم من علاكا؟ إنّ (ابن مروان) على ذراكا
خليفة الله الذي امتطاكا لم يعل بكرا مثل من علاكا

فعارضه الفضل اللهبي، فحدا بعلي بن عبد الله بن عباس، فقال:

يا أيها السائل عن عليّ سألت عن بدر لنا.. بدريّ
أغلب في العلياء.. غالبيّ ولبّي الشمسة.. هاشميّ
جاء على بكرٍ.. له مهريّ

فنظر عبد الملك إلى علي، فقال: أهذا مجنون آل أبي لهب؟. قال: نعم، فلما أعطى عبد الملك قريشا أعطياتها، مرّ به اسم الفضل، فحرمه، وقال: يعطيه عليٌ![3]

وبرز في صدر الإسلام كما ذكرنا آنفاً شعراء جعلوا الرجز مناط إبداعهم، فحولوه إلى نمط شعري مستقل معترف به ضمن (ديوان العرب)، ولعل أشهرهم الأغلب العجلي، وأبو النجم،

(1) الأغاني للأصفهاني، نسخة الكترونية.
(2) تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان، ص56.
(3) الأغاني للأصفهاني، نسخة الكترونية.

والعجاج التميمي، وابنه الأشهر منه رؤبة بن العجاج المتوفى سنة 145هـ، وله ديوان ليس فيه سوى الأراجيز.

ومن طرائف الرجاز في العهد الأموي، ما روي عن أبي النجم مع هشام بن عبد الملك، فقد ورد على هشام في الشعراء، فقال لهم هشام: «صفوا إبلاً فقيظوها، وأوردوها، وأصدروها حتى كأنني أنظر إليها»، فأنشدوه، وأنشده أبو النجم:

الـحـمـدُ لـلـهِ الـعـلـيِّ الأجـلِـلِ

حتى إذا بلغ وصف الشمس، فقال:

فِـهـي عِـلـى الأُفـــقِ كِـعـين..

فأراد أن يقول (الأحول). ثم ذكر حوَل هشام، فلم يتم البيت، وأرتجّ عليه.

فقال هشام: أجز.

فقال: (كعين الأحول)، وأكمل القصيد.

فأمر هشام بوجء عنقه، وإخراجه من الرصافة، وقال لصاحب شرطته: «يا ربيع... إياك، وأن أرى هذا».

فكلم أبو النجم ووجوه الناس صاحب شرطة هشام أن يبقيه في الرصافة، ففعل، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس، ويأوي المساجد.

قال أبو النجم: لم يكن بالرصافة أحد يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبي، وعمرو بن بسطام التغلبي، فكنت آتي سليماً، فأتغدى عنده، وآتي عمراً، فأتعشى عنده، وآتي المسجد، فأبيت.

فاهتم هشام ليلة، وأراد محدثاً يحدثه، فقام لخادم: أبغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروي الشعر، فخرج الخادم إلى المسجد، فإذا هو بأبي النجم، فضربه برجله، وقال: قم أجب أمير المؤمنين.

فقال: إنني رجل أعرابي غريب.

فقال: إياك أبغي... هل تروي الشعر؟

قال: نعم، وأقوله.

فأقبل به حتى أدخله القصر، وأغلق الباب، فأيقن أبو النجم بالشر.

ثم مضى به، فأدخله على هشام في بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق، والشمع بين يديه يزهر.

فلما دخل.. قال له هشام: أبو النجم؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين... طريدك.

قال: اجلس.

فسأله، وقال له: أين كنت تأوي؟، وأين منزلك؟

فأخبره، قال: وكيف اجتمعا لك؟

قال: كنت أتغدى عند هذا، وأتعشى عند الآخر.

قال: فأين كنت تبيت؟

قال: في المسجد حيث وجدني رسولك.

قال: ومالك من الولد والمال؟

قال: أما المال، فلا مال لي، وأما الولد، فلي ثلاث بنات، وبني يقال له شيبان.

فقال: هل أخرجت من بناتك أحداً؟

قال: نعم، زوجت اثنتين، وبقيت واحدة تجمز في أبياتنا كأنها نعامة.

قال: وما أوصيت به الأولى؟، وكانت تسمى (بَرة)، فقال:

أوصـيـتُ مِـنْ بِـرَّةِ قِـلـبـاً حُـرّا بِـالـكـلـبِ خِـيـراً، وِالـحـماةِ شِرّا

لا تـسـأمـي ضِربـــاً لـهـا، وجِـــرا حـتـى تـرى حُـلـوِ الـحـيـاةِ مُـرّا
وإنْ كِـسـتـكِ ذِهـبـــاً ودِرّا والـــحـــيُّ عُـمـيِّـهـمْ بـــشرٌ طُـــرّا

فضحك هشام، وقال: فما قلت للأخرى؟

قال: قلت:

سُبِّـي الـحـمـاةِ، وابْـهـتـي عليها وإنْ دِنـــتْ، فـازْدَلِـفـي إلـيْـهَـا
وَأوْجِـعِـي بـالـنَّـهـزِ رُكبتيهَا وَمِـرفـقـيـهَـا، واضْرِبي جَنبيهَا
وَظَـــاهِـــري الـبـدي لـهـا عليها لا تـخـبري الـدَّهـرَ بـه ابْنتيهَا

قال: فضحك هشام حتى بدت نواجذه، وسقط على قفاه، وقال: ويحك!. ما هذه وصية يعقوب عليه السلام ولده!

فقال: ولا أنا كيعقوب.. يا أمير المؤمنين.

قال: فما قلت للثالثة؟

قال: قلت..

أوصِـيـكِ يـا بـنـتـي، فـإنِي ذَاهِـبُ أُوصِـيـكِ أن تَـحْـمَـدكِ الأقـارب
والجارُ، والضَّيفُ الكريمُ السَّاغبُ ويَـرجِـعَ المِـسـكِـينُ، وهـوَ خائبُ
ولاَ تَـنـي أظْـفـارُكِ الـسَّـلاهِـبُ لَـهـن في وجـهِ الـحـماة كـاتـبُ
والـزوْجِ.. إنَّ الـزوجَ بئس الصَّاحبُ

قال: فكيف قلت هذا، ولم تتزوج؟، وأي شيء قلت في تأخر تزويجها؟

قال: قلت..

كـأن (ظَـلاَّمَـةَ) أخْـتَ شَـيـبـانْ يَـتـيـمـةٌ، ووالـــداهـــا حَـيَّـانْ
الـــرَّأسُ قـمـلٌ.. كُـلُّـهُ وصِـئْـبـان ولَـيـسَ في السَّاقين إلا.. خَيطانْ

تِلكَ التي يَـفْـزَعُ منها الشَّيطانْ

قال: فضحك هشام حتى ضحكت النساء لضحكه، وقال للخصي: كم بقي من نفقتك؟. قال: ثلاثمائة دينار. قال: أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين![1]

وفي آخر العهد الأموي كان عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي قد ندب لقتال أبي حمزة الأزدي الشاري لما جاء إلى المدينة، فغلب عليها.

فبعث إليه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بمال، ففرقه فيمن خف معه من قومه، فكان فيمن فرض له منهم أبو وجزة الشاعر وابناه، فخرج معترضاً للعسكر على فرس، وهو يرتجز، ويقول:

قـل لأبي حـمـزة: هـيـد.. هـيـد جـئـنـاك بـالـعـاديـة الـصـنـديـد
بـالـبـطـل الـقـرم أبي الـولـيـد فـارس قـيـسٍ.. نـجـدها المـعـدود
في خيل قـيـسٍ، والـكـماة الصيد كالسيف قـد سـلّ مـن الغمود
مـحـضٍ هـجـانٍ.. مـاجـد الـجـدود في الـفـرع مـن قـيـسٍ، وفي العمود
فـــدىً لـعـبـد المـلـك الـحـمـيـد مـالي مـن الـطـارف، والـتـلـيـد
يـوم تـنـادى الـخـيـل بالصعيد كـأنـه في جـنـن الـحـديـد
سـيـدٌ مـــدلٌّ.. عـزّ كـل سـيـد[2]

ومن أحاديث ترقيص الأطفال في تلك الفترة، ما قالته زوجة كانت تنجب البنات، فأبغضها زوجها، وصار يتعداها إلى بيت ضرتها، فقالت ترقّص ابنتها:

مـا لأبي حـمـزة لا يـأتـيـنـا يـظـلّ في الـبـيـت الـــذي يلينا
غـضـبـان ألاّ نـلـد الـبـنـيـنـا ونـحـن كـــالأرض لـزارعـيـنـا
نـنـبـت.. مـا قـد زرعـوه فـيـنـا[3]

ومما يشبه الحكاية السابقة، ما روي أنه كان لأعرابي امرأتان، فولدت أحداهما جارية،

(1) الهفوات النادرة لأبي الحسن الصابي، ص33.
(2) الأغاني للأصفهاني، نسخة الكترونية.
(3) البيان والتبيين للجاحظ، نسخة الكترونية.

والأخرى ولدت غلاماً، فرقصت أم الغلام ولدها يوماً، وقالت تعاير ضرتها:

الحمد لله الحميد العالي أنقذني العام من الجواري
من كلّ شوهاء كشنٍّ بالي لا تدفع الضيم عن العيالي

فسمعتها ضرتها، فأقبلت ترقّص ابنتها، وتقول:

وما عليّ أن تكون جارية تغسل راسي، وتكون الفالية
وترفع الساقط من خماريه حتى إذا ما بلغت ثمانية
أزرتها بنقبةٍ يمانية أنكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدقٍ، ومهور غالية

فسمع بها مروان بن الحكم، وتزوجها على مئة ألف مثقال، وقال: (إن أمها جديرة أن لا يكذب ظنها، ولا يخان عهدها)، فقال معاوية: (لولا مروان سبقني إليها لأضعفنا المهر، ولكن لا تحرم الصلة، فبعث إليها بمئتي ألف درهم).[1]

والحكاية كما نراها من النوادر والملح التي لا يعوّل على صحتها، ولا يرجح حدوثها حقيقة، فالأمر يتعلق بطفلة ترقصها أمها، وليس بفتاة في سن الزواج!

(1) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، نسخة الكترونية.

خامساً: حداء الإبل والرجز في العصر العباسي، وما بعده

ما اشتهر حادٍ في صدر الإسلام مثل (سلام الحادي) الذي كان يضرب المثل بحدائه، وكان من خاصة مروان بنّ محمد آخر خلفاء بني أمية، ويبدو أنه لم يقبض عليه حال سقوط الدولة الأموية لأن السفاح حكم قبل المنصور عدة سنوات أو أن الحادثة التالية وقعت، والمنصور ولي للعهد، فقد جيء بسلام إلى المنصور ضمن حاشية مروان، فهم بقتله، فقال سلام: استبقني يا أمير المؤمنين، فإني أحسن الحداء.

قال: وما بلغ من حدائك؟

قال: تعمد إلى إبل، فتظمئها ثلاثة أيام ثم توردها الماء، فإذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء، فترفع رؤوسها، وتدع الشرب. ثم لا تشرب حتى أسكت.

فأمر المنصور بإبل، ففعل بها ذلك، وحدا سلام، فكان الأمر كما قال، فاستبقاه، وأجازه، وأجرى عليه.[1]

ومن أخبار سلام الحادي مع المنصور ما ذكره العسكري في (الأوائل) حيث قال: كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك في بني أمية في بخله، وحدا به سلام الحادي، فطرب حتى كاد يسقط من الراحلة، فأجازه بنصف درهم، فقال: «لقد حدوت بهشام، فأجازني بعشرة آلاف»، فقال المنصور مخاطباً وزيره الربيع: «ما كان له أن يعطيك ذلك من بيت المال.. يا ربيع.. وكّل به من يقبضها منه»، فما زالوا به حتى تركه على أن يحدو به ذهاباً وإياباً بغير شيء![2]

وحكى ابن حمدون في كتابه (التذكرة) في تفصيل للحادثة السابقة: أن المنصور حج في بعض السنين، فحدا به سالم (أو سلام) الحادي يوماً بقول الشاعر:

(1) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي، ص166.
(2) الاوائل للعسكري، ولم أجد هذا الخبر في المطبوع.

أبـلـج بـين حـاجـبـيـه.. نـوره إذا تـغـدّى.. رفـعـت سـتـوره

يـزيـنـه حـيـيـاؤه، وخـيـره ومـسـكـه.. يـشـوبـه كـافـوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل. ثم قال: يا ربيع. أعطه نصف درهم.

فقال سالم: لا غير.. يا أمير المؤمنين؟!، والله لقد حدوت بهشام بن عبد الملك، فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

فقال المنصور: ما كان له أن يعطيك من بيت المال ما ذكرت.. يا ربيع!. وكّل به من يستخرج منه هذا المال.

قال الربيع وزير المنصور: فما زلت أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدو به في خروجه ورجوعه بغير مئونة، وكان سالم هذا يورد الإبل لثمان ولتسع ولعشر، فيحدو لها، فيلهيها حدوه عن ورود الماء.[1]

وفي عصر بني العباس قال وحشي الرياحي يمدح أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق زوجة موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأم ولده (عبد الله)، وكانت لا تدخل الخادمات والجواري إلى بيتها، وتخدم زوجها بنفسها:

يعجبني من فعل كلّ مسلمة مثل الذي تفعل أمّ سلمة

إقصاؤها عن بيتها.. كلّ أمة وأنّها قدماً.. تساوى المكرمة[2]

ومن شعراء العصر العباسي ممن قالوا الأراجيز بشكلها المعروف بشار بن برد حيث يقول:

وافق حظاً من سعى بجدٍّ ما ضر أهل النوك ضعف الكدِّ

الحر يلحى، والعصا للعبدِ وليس للملحف مثل الردِّ

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، نسخة الكترونية.
(2) مقاتل الطالبيين للأصفهاني، ص628.

والنصف يكفيك من التعدي[1]

وفي أواخر العصر العباسي نذكر هنا ما قاله أبو العلاء المعري المتوفى 449هـ عن أعراب زمانه: لقد تبعتهم تارات في الظعن، وشاهدتهم إذا اجرهدّ السير، وترجل النهار، وتجاوبت الحداة من كل أوب.. لا يعرفون غير هذين البيتين يكررونهما تكرير النفس:

يا حلوةَ العينين في النِّقابِ لا تحبِسيني قد مضى أَصحابي[2]

وفي العصر العباسي دخل الرجز مجالاً جديداً من خلال ولوجه بوابة التعليم، فسرعان ما اكتشف العلماء سهولة هذا البحر، وقربه في السلاسة من الكلام العادي، وكثرة زحافاته وعلله، مما مكن من جعله قالباً لما يريدون من كلام، فاستخدموه في تأليف منظومات شعرية عرفت بالأرجوزات (أو الأراجيز) العلمية، وتنوعت موضوعاتها في معظم العلوم، وخاصة علوم الدين واللغة، وبقية العلوم الأخرى، وذلك لتسهيل حفظها على المتعلمين، والتغني بها، واستذكارها وقت الحاجة، ومن أشهر الأرجوزات العلمية التي أبدعها علماء العرب نذكر:

- ملحة الإعراب، وهي أرجوزة في النحو تقع في 374 بيتاً، وربما كانت أول أرجوزة في النحو العربي.

- ألفية ابن مالك في النحو والصرف، وتتكون من ألف بيت على بحر الرجز، وأشهر أبياتها قوله:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم، وفعل ثم حرف الكلم

- أرجوزة ابن سينا في الطب، ويعد ابن سينا من أشهر العلماء الذين وضعوا أرجوزات في العلوم، وله ست أرجوزات غيرها، ومطلع الأولى قوله:

الحمد لله الملك الواحد رب السماوات العليّ الماجد

- الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات للإمام المقرئ الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الدانى الأندلسي، وتقع في ألف وثلاثمائة وأحد عشر بيتاً.

- الأرجوزة الياسمينية في علم الجبر والمقابلة لابن الياسمين، ويبلغ عددها 53 بيتاً.

(1) التذكرة الحمدونية، نسخة الكترونية.
(2) رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، نسخة الكترونية.

- أرجوزة صور الكواكب لعبد الرحمن الصوفي، وتتكون من 244 بيتاً.

- أرجوزة بعنوان (حاوية الاختصار في أصول علم البحار) لأحمد بن ماجد، وله أيضاً (الأرجوزة السبعية).

وغير ذلك من الأرجوزات العلمية التي تعد بالآلاف، ولها شروح كثيرة مما يجعلها كنزاً من كنور التراث العلمي لدى المسلمين، والذي غلّف بلغة أدبية قيمة.

الباب الثاني:

حداء الخيل

الفصل الأول:

حداء الخيل..

تعريفه، وأوزانه، وأغراضه، وأساليبه

أولاً: تعريف حداء الخيل

ظل الحداء مرتبطاً بالإبل زمناً طويلاً، ولعل أجمل ما نستذكره هنا عن هذه العلاقة ما أورده جرجي زيدان في (تاريخ الأدب العربي) من قول أحدهم، وهو يحدو إبله:

دع المطايا تنسمُ الجنوبا ... إنّ لها لنبأً عجيبا
حَنينَها، وما اشتكتْ لُغوبا ... يشهدُ أَنْ قد فارقتْ حبيبا
ما حَملتْ إلاَّ فتًى كئيبا ... يُسِرُّ مماً أعلنتْ نصيبا
لو تركَ الشَّوقُ لنا قلوبا ... إذنْ.. لآثرنا بهِنَّ النُّيبا
إنَّ الغريبَ يُسعدُ الغرِيبا

ويزعم زيدان، وما زعمه ببعيد، أن هذا الشعر يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشي الجمال الهوينا، ولو ركبت ناقة، ومشت بك الهوينا لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماماً![1]

وفي وقت ما في العصور الإسلامية الوسيطة حدث تحول هام على الحداء ليرتبط بالخيل ارتباطاً وثيقاً، وتضعف صلته بالإبل.

وتحولت سمات حداء الإبل (الركباني) شيئاً فشيئاً، وانزاح ليبتعد عن بحر الرجز، ويقترب شيئاً فشيئاً من بحر البسيط، ليظهر شعر الهجيني الذي أصبح في عصور البداوة الأخيرة الخيار الأفضل لحث الإبل على الإسراع في المسير، وتسلية الراحلين في مفاوز الصحراء، بينما التصق الحداء بالأراجيز الحماسية التي يرتجلها الفرسان على ظهور الخيل.

ورغم أننا لا نملك أمثلة قديمة لحداء الخيل، وأهازيج الفرسان العامية على صهوات خيلهم بهذا الرجز، حيث لا تعود أقدم الأمثلة منه في الشعر العامي إلى أبعد من القرن التاسع عشر الميلادي، إلا في أمثلة نادرة، فإننا لا يمكن أن نستنتج أنه فن شعري حديث لم تعرفه العامية إلا من وقت قريب، بل نكاد نجزم أنه فن قديم متواصل منذ العصر الجاهلي

(1) تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان، ص56.

إلى يومنا هذا للأسباب الآتية:

- إن حداء الخيل بشكله الفني العام (الرجز)، والمراد منه بث الحماس والمفاخرة وقت الحروب موجود في الشعر الفصيح منذ زمن الجاهلية، ولم يتغير منه سوى أن صار يُنظم باللهجة العامية، وهذا مفسر مع فساد اللغة في القرون التي تلت الإسلام، وبالتالي، فالفرسان ظلوا يرتجزون طوال الوقت باللغة التي يتحدثون بها، وحين كانوا يتحدثون بالفصحى كان رجزهم فصيحاً، ولما بدأت اللغة تنزاح شيئاً فشيئاً نحو ما نعرفه الآن بالعامية انزاح رجزهم كذلك.

- إن عدم وجود أمثلة قديمة لحداء الخيل العامي راجع إلى طبيعة هذا الشعر، فهو أبيات قصيرة ترتجل وقت المعركة، أو قبلها، أو بعدها، ولم يجد الرواة غالباً داعياً لحفظها من الضياع، واكتفوا برواية القصيد المطول.

- إن كثيراً من حداء الخيل غير منسوب لقائليه، ولذا لا نستبعد أن بعضاً من الأحديات التي وصلتنا مجهولة القائل هي لفرسان قدماء، ولحداة يعودون إلى قرون أبعد من القرن التاسع عشر، ناهيك عن كون الحداء فن شعبي يتم ترديده، وإعادة صياغته مرات ومرات، وقد يحدو الفرسان المتأخرين بحداء قديم، فينسب لهم، وهذا وارد ومشاهد، لأن الأحدية ليست من الشعر الطويل الذي يهتم الرواة بتحديد قائله الأصلي.

- إهمال المخطوطات والمراجع الأساسية للشعر النبطي والعامي لتدوين أحديات الخيل، عدا استثناءات قليلة، كما لدى (سوسين، وموسيل) وغيرهما، وهي أمثلة قليلة في الغالب.

ولذا، فنحن نرى أن حداء الفرسان على ظهور الخيل قديم قدم التاريخ العربي، وقد استمر متواصلاً طوال هذه القرون، ولكن جرت عليه بعض التعديلات حيث أصبح ما يقوله الفرسان على ظهور خيولهم من رجز يسمى (الحداء) للعلاقة التاريخية اللصيقة بين الرجز والحداء، وأضيفت له مفردة (الخيل)، فأصبح يسمى (حداء الخيل) بعد أن كان مسماه قديماً هو (حداء الإبل)، بينما استحدث للإبل (الهجن) نوع آخر من الشعر تساق به، ويسلي راكبها نفسه بإنشاده، والتغني به هو (الهجيني)، وأشهره على نمطين عروضيين هما:

- الأول: الهجيني الطويل، ويعرف أيضاً بالجنوبي، ويأتي على صياغة بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)، ومن أشهر أمثلته قول الشاعر:

عدّيت لي مرقبٍ، والليل ممسيني بديار غربة.. يعلّ السيل ما جاها

أضحك مع اللي ضحك والهمّ طاويني طوية شنون العرب لى قطّروا ماها

- الثاني: الهجيني القصير، ويعرف أيضاً بالشمالي، ويأتي على صياغة مجزوء بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستف)، ومن أشهر أمثلته قول الشاعر:

أمّـا انـت هـيـجـن.. لـيـا هيجنت والاّ انـت.. عـن فـاطـري حـوّل[1]

ونشير هنا إلى أنه ليس هناك ما يمنع راكب الجمل من التغني بأي شعر يحفظ، وعلى أي وزن جاء إذا شعر بأنه يسلّي روحه، وينشط راحلته، وبالتالي فقد وردتنا أشعار كانت تغنى على ظهور الهجن على أوزان أخرى غير البسيط، ومن ذلك هذا النموذج على بحر المتدارك:

يـا هـل الـهـجـن خـوذوا بـه شلة بـدّلـوا سـير الانـضـا بـدرهـامـي

كـل شيٍّ طـراتـه عـلـى حـلّـة اسروا الـلـيـل، واطـراف الايـامـي

ونعتقد أن هذا التحول حدث مع سيطرة الشكل النبطي على القصيدة البدوية، فتم الفصل تماماً بين ما تُحدا به الخيل، وبين ما تهيجن به الإبل، وإن بقي للإبل نصيب قليل في عالم الحداء من خلال فني (الهوبال، والتغرودة) اللذين سنتحدث عنهما في مكان آخر لاحقاً.

ولنتعرف الآن على بعض أقوال الكتّاب حول (حداء الخيل)، ونبدأ مع قول لفهد المارق في كتابه (من شيم الملك عبد العزيز): «القصائد التي من هذا النوع، لها موسيقى تبعث النشوة في الأعماق في نفوس من يتذوقون معانيها، كما أنها مثيرة للشعور، ومهيجة للعواطف خاصة إذا لحنها فرسانها، وهم ممتطون لصهوات خيولهم، وكثيراً ما يكون التلحين بصورة جماعية ينشدها بصوت عال: صف عن اليمين، وصف عن اليسار، والشاعر الذي ينشد القصيدة هو الذي يبدأ بتلحين قصيدته، وكلما كان للشاعر مكانة اجتماعية مرموقة، وذيوع صيت في عالم البطولة والفروسية كان لقصيدته التي ينشدها ويلحنها وقع أكثر في نفوس الفرسان».[2]

ويلاحظ في ما قاله المارق لبس بسيط، فالحداء كما علمنا ينشد بصورة فردية غالباً، وقد يغنى جماعياً أثناء الذهاب أو الإياب من الغزوة، ولكن لا وجود للصفين اللذين ذكرهما إلاّ في رقصة العرضة الحربية التي تسمى (حدوة) في بعض البلاد كالكويت، وهي نوع من الشعر مختلف عن الحداء، ولعل المارق يقصد الحداء الذي يسبق إقامة العرضة في بعض الأحيان،

(1) طواريق النبط لإبراهيم حامد الخالدي، ص121.
(2) من شيم الملك عبد العزيز لفهد المارك، ص108.

ولعل الحداء في بعض البيئات يغنى بطريقة الصفوف في الاحتفالات.

وجاء في كتاب (حداء الخيل) للدكتور سعد الصويان هذا الحديث عن الحداء: «الحداوي هي الأراجيز التي يهزج بها الفرسان على صهوات جيادهم، وهم في طريقهم إلى الغزو أو بعد عودتهم منتصرين، ويقصد بها إدخال الرعب إلى قلوب الأعداء، أو بث الحماس في نفوس المحاربين، وتحريضهم على الإقدام والاستبسال، ويتضمن في الغالب تخليداً للمآثر البطولية التي يحققها فرسان القبيلة في ميدان الوغى، كما أنها قلّما تخلو من الوعيد والتهديد، إلا أن هنالك بعض المقطعات التي تخلو من مضامين الفروسية، وتقتصر على موضوع الغزل، ويطلق عليها مع ذلك تسمية (حداوي) لاشتراكها معها في الوزن والإيقاع، ولكن ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا تلك العلاقة الوثيقة التي تربط مضامين الفروسية بالغزل، والفارس في أحديته غالباً ما يؤكد على استعداده للتضحية دفاعاً عن شرف فتاته الجميلة.

ولأن الحداوي في مجملها تصدر عن فرسان لا يحترفون الشعر، ولأنه يغلب عليها طابع الارتجال، فإنها تأتي على شكل مقطوعات قصيرة لا تتعدّى الواحدة منها البيتين أو الثلاثة، ونادراً ما تصل إلى أربعة أبيات، كما أنها لا تخلو من الاضطراب في الوزن أحياناً، وبحر الرجز، وهو البحر المستخدم في حداء الخيل سمي بهذا الاسم لاضطرابه، وكثرة دخول التغيير على أجزائه، ولأنه يأتي مجزوءاً ومشطوراً ومنهوكاً، وأكثر ما يستخدم في الحداء مجزوء الرجز».[1]

وعن طريقة أداء الحداء قال شفيق الكمالي: «هذا النوع يقرأ عادة على ظهور الخيل، وهي في طريقها إلى الغزو، أو في عودتهم منتصرين، لذا جاء على أنغام متعددة تنسجم والحالة التي هم فيها، والحداء عادة لا ينشد بمصاحبة الرباب على عكس الأنواع الأخرى.

فالحالة الأولى، وهي الحالة الطبيعية في ذهابهم إلى المعركة.. يقرأ بنغم بسيط، ويقطّع تقطيعاً يشبه تقطيع العروض، وهذه الطريقة في الغناء قديمة، وكانوا يسمونها الركبانية.

قال أبو جعفر في شرح النقائض: (إذا قال أحدهم الشعر بالركبانية أكفأ، والركبانية أن يتغنى به، ويقطّع كما يقطّع العروض)، وما زال عرب العراق يطلقون على الحداء اسم الركبانية، وهو نغم مشهور عندهم يردده حتى سكان المدن.

والثانية.. عند الاشتباك في المعركة، وتكون نغمته سريعة تتداخل كلماته، فلا تفهم إلا بصعوبة، ويسمى في هذه الحالة الحوارب أي الحربي.

(1) حداء الخيل لسعد الصويان، ص26.

الثالثة.. عند العودة من المعركة منتصرين، ويكون نغماً ممطوطاً متكسراً ينسجم مع حركة التمايل التي يقومون بها على ظهور الخيل بتحريك أجسامهم إلى اليمين وإلى الشمال، ويسمونه في هذه الحالة التطويح أو الطواح».[1]

ويذكر عبد الله الدويش الحداء، فيقول: «هذا اللون من الفن الشعبي لا يقال أو يتغنى به إلا في الحالات التي تسود فيها الشجاعة، فهو من المظاهر البارزة في الفروسية والقتال، بحيث أنه عندما يحتدم القتال، أو في ساعة بدئه، يتقدم المقاتلون كل شاهر سيفه أو مشرع رمحه، وحتى الفارس على صهوة جواده، فيترنم مرتجلاً بيتاً أو بيتين أو ثلاثة أبيات من هذا اللون من الفن الشعبي ليذكي الحماسة، ويلهب الكبرياء والعزة، ويؤجج نيران الشجاعة في نفسه، وفي الآخرين، فيقبل على القتال كأنه طود شامخ لا يتزعزع مهما حدث في ساحة القتال، بل يظل يكر ويفر، ويهاجم، وهو يحدو، ويترنم بأبياته الشعرية، ويقاتل خصمه ببسالة».[2]

(1) الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، ص77.
(2) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص131.

ثانياً: أوزان حداء الخيل

إذا جئنا إلى حداء الخيل لدى العرب الأواخر لوجدناه قد قيل في الغالب من قبل فرسان لم يعرفوا بنظم الشعر، ولكنهم كانوا يرتجلون البيت والبيتين في ساحة الوغى.

ولو توقفنا عند أنماط حداء الخيل من حيث الوزن لوجدنا أن الشائع عامياً هو تكرار تفعيلة (مستفعلن) مرتين، ولكن لذلك استثناءات كما سنرى في الأنماط المشهورة من حداء الخيل، والتي نلخصها في الآتي:

- تكرار (مستفعلن) مرتين دون زيادة أو نقصان كما في قول الحادي:

عـــرّب ولـــيـــدك.. عـرّبـه الـــنـــار.. مـــن مـقـبـاسـهـا

- تكرار (مستفعلن) مرتين مع تذييل التفعيلة الثانية لتصبح (مستفعلان)، وذلك في الشطر الثاني فقط كما في قول الحادي:

يـــالـــلي تمـــنّـــى حـربـنـا غـويـت.. يـا غـــادي الـدلـيـل

- وقد يكون التذييل في كلا الشطرين كما في قول الشيخ سالم المبارك:

قـطـعـانـنـا.. تـرعـى الـكـحـيـل والـخـيـل.. بـالـصـمـعـا.. تـدوس

- تكرار (مستفعلن) مرتين، ولكن مع قطع التفعيلة الثانية بتحويلها إلى (مستفعل) لتصبح الصيغة (مستفعلن مستفعل) كما في شعر (الهوبال) الذي يغنيه الرعاة عند أدلاء الرشا في البئر، ومنه قولهم:

يـــا مـــرحـــبـــا.. يـــا بـلْـنـا إحـــنـــا ان رويـــنـــا.. شـلـنـا

- تكرار (مستفعلن) مرتين، ولكن مع حذ التفعيلة الثانية لتصبح (مستف) ليجيء هذا الحداء القصير كما في قول الشيخ مسلط الحبشان الحميداني المطيري:

حـــنّـــا نـــدخـــل.. عـق غـــصـــبٍ عـــلى الـــزعـــلان

- وقد يبقي الحادي على صياغة الشطر الأول على تفعيلتي الصدر مكتملتين دون قطع بينما يقطع العجز ليشبه الهوبال كما في قول هزاع العزاوي:

يـا هـيـه.. يـا أهـل الـرمـك حـسّ المـحـورب.. صـاح

- تكرار (مستفعلن) مرتين، مع زيادة سبب خفيف في أحد الشطرين أو كلاهما كما في قول الملك عبد العزيز آل سعود بزيادة سبب في كلا الشطرين:

عـيّـوا يـطـيـعـون الـنـصـايـح وانـا عـن الـبـوق اتـدرّا

- أو في قول الملك فيصل بن عبد العزيز مزيداً السبب الخفيف في صدر البيت فقط:

يـا طـارشي لـلـسـيـف قـل له جـوك الـعـوادي بـالـحـديـد

- تكرار (مستفعلن) مرتين، ولكن مع زيادة فيها: (فعلن) على أحد الشطرين كما في قول حاد من قبيلة الرولة:

وش عـاد لـو ردّ النقا (فرحان) ويـشـوف نـفـسـه زايـدة

- وقول حاد مزيداً (فعلن) في كلا الشطرين:

يـا سـابـقـي.. حـرّم عليك الـنـوم والـصـبـح.. مركاضك عـلى الدخان

- تكرار (مستفعلن) ثلاث مرات تامة أو مذيلة كما في قول الشيخ ذعار بن ربيعان:

يا اهـل الرمك زيـدوا لهنّه بالمقام ثـم عـاد يـالمـذّاد.. لا تـشري شعير

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تكرار (مستفعلن) ثلاث مرات قد يأتي أيضاً في ألحان مختلفة عن الحداء، ومنه قول الشاعر عوض الله الزايدي في إحدى قصائده:

حدتني القشرا.. على الضلع الزبين وانـا عـلى صـمّ الـصـفـا.. حدّيتها

بل ويستخدم اللحن نفسه في فن العرضة أيضا كما في قول الشاعر علي الخياط في عرضته الشهيرة:

يا دارنـا.. لا ترهبي يومك سعيد حـنّـا مقابيس الـلـقـا.. ورجـالـهـا

- تكرار (مستفعلن) ثلاث مرات، ولكن مع قطع التفعيلة الأخيرة لتصبح (مستفعل)

كما في قول شليل بن نجم:

(نـاهـس) تـرى مـنّـا، وحـنّـا منّه يصبح مصابيحه إلى امـسى ساري

وتستخدم نفس الصيغة السابقة في غير الحداء كما في قول الشاعر علي أبو ماجد في القلطة:

سـلام مـن غـبّـة بـحـر ينبعنا تـرحـيـبـةٍ بـالمـلـعـبـة مجـلـوبـة
الـلـيـلـة.. الـحـوتـة ببطن المعنى لـبـسـتـهـا.. صـدريّـةٍ مـقـلـوبـة

وتستخدم هذه الصيغة أيضاً في نظم الشعر العادي من خلال قصائد على نمط الشعر الهلالي مهملة القافية الأولى أو قد يأتي بقافيتين كما في قول شليويح العطاوي في قصيدته المشهورة يوم (طلال):

يا ظفرهم.. لا قـرّب الله دارهـم وحـنّـا عليهم مـثـل نـجـمٍ هـاوي

وتستخدم هذه الصياغة الثلاثية في فن التغرودة المعروفة في الإمارات، وسنتحدث عنه في وقت لاحق.

- تكرار (مستفعلن) ثلاث مرات في العجز بينما الصدر على صياغة (مستفعلن مستفعلن مستف) كما في قول الملك عبد العزيز:

حـنّـا.. إلى ركـبـت عـراب الخيل وتـقـاحـص الـفـرسـان قـدّام وورا

وأخيراً، وليس آخراً، فللحداء صيغ أخرى قد تكون فاتتني، ونظراً لأن حداء الخيل هو نظم لا يقصد منه الإبداع الشعري في الغالب، فقد يتجاوز فيه الناظمون تجاوزات لا تقبل في الشعر العادي، فتأتي أشطر الأحدية الواحدة على أكثر من صياغة عروضية كما في قول الشيخ جهز بن شرار:

يـا صـايـحٍ.. جـانـا قـبـال الليل عـدايـلـه.. شـولٍ عـراب
شلنا عـلى عـوص النضا والخيل كـلّـه رجـا الـلي طـالـبـه مـا خـاب

ويلاحظ أن بعض أشعار الحداء قد تأتي مختلة الوزن، وإن أمكن التغني بها، وهو المراد الأهم منه، فالمقام مقام تحميس وفخر، وليس مقام إبداع وتفنن، ومن يقرأ الاحديات التي سترد في هذا الكتاب سيجد أن بعضها مكسور الوزن، وفي بعضها يأتي أحد الأشطر أقصر أو

أطول من بقية أشطر الأحدية دون نظام واضح، ولا يمكننا إلقاء اللوم كله على الرواة، فالحداء كما قلنا فضاء واسع له هدف آنيّ أهم من الإبداع الشعري.

وقد يتساهل الحادي في القافية أيضاً كما في قول حاد من الدياحين:

حـنّـا لـفـيـنـا يـا شريـف مـن نـجـد.. مـرذيـن الـنـضـا
يـا مـا فـرقـنـا مـن وليـف لـلـطـيـر.. مـكـتـوبٍ عـشـا

ثالثاً: أغراض وأساليب حداء الخيل

رغم أنه قد يتبادر إلى الذهن أن حداء الخيل في الأساس له غرض رئيس هو بث الحماس في نفوس المقاتلين، إلا أن سهولته على النظم، وسلاسته في القول والسماع شجعت الشعراء على استخدام هذا النمط في أغراض أخرى، بعضها ظل يدور في مناخات النزال والحروب كالفخر، والتهديد، ووصف الانتصار على الأعداء، وتشعب بعضها نحو مناخات مقاربة كالمدح، والهجاء، والدعاء بالنصر، والتغزل بالمحبوبة وقت الحرب، وابتعد بعضها كثيراً عن هذه المناخات، فوجدنا أمثلة من حداء الخيل في الغزل الصرف، والمداعبة، وغير ذلك.

وفي الصفحات القادمة سنحاول توضيح أهم هذه الأغراض، مع ذكر أمثلة متعددة لكل غرض على حدة، وقد واجهتنا مشكلة في ذلك، لأن بعض الأحديات تحمل بين طياتها أكثر من غرض واحد، فقد تحتوي الأحدية الواحدة على غرضي الفخر والمدح في آن واحد، أو الغزل وبث الحماس معاً، وقد حاولنا تغليب غرض على آخر حسب سياق الأحدية.

هذا، وقد عمدنا إلى فرز مجموعات خاصة من الأحديات بغض النظر عن غرضها الشعري، وذلك لتوضيح بعض الأساليب والخصائص الفنية لهذا النوع من الشعر، ولفت النظر لبعض الفوائد التاريخية والفلكلورية، ففرزنا على حدة في الفصل الثالث من هذا الكتاب الأحديات التي قالها بعض الحكام والأمراء لأهميتها التاريخية، والأحديات التي قالتها النساء لما فيها من خصوصية فنية جميلة، وتسهيلاً للعثور عليها، وجمعنا بعض الأحديات التي قيلت في مخاطبة غير العاقل كالخيل والطير والذئب لتوضيح هذا الأسلوب الفريد في الشعر، كما فرزنا نماذج من شعر الحداء في التراث الحجازي، والتراث الإماراتي، والتراث العراقي، والتراث الشامي، والتراث المصري، والتراث المغربي، وذلك لتوضيح آفاق أخرى من الامتدادات الإقليمية لشعر الحداء، وأفردنا للحديث عن فني الهوبال والعوبال المتعلقين بالإبل مساحة منفصلة لخصوصيتهما الفنية والشعرية، كما قدمنا بعض الأحديات المتعلقة بقصص من التراث أردنا تسليط الضوء عليها، وأنهينا الكتاب بالحديث عن الحداء في شعرنا المعاصر لتوضيح استمراريته كنمط شعري، وقالب عروضي قابل للمعاصرة والتطور.

وفيما يأتي نتحدث عن بعض الأغراض الفنية الواضحة لحداء الخيل، كما نعرفه في الشعر العامي (النبطي).

بث الحماسة:

لن نكون مبالغين إن قلنا، أن بث الحماسة هو الغرض الأول والأهم للحداء، فحين يتأهب الفرسان في ساحة الوغى لمنازلة خصومهم، ومقارعة أعدائهم يرتجل بعضهم الأحديات لبث الحماس في نفسه، ونفوس رفاقه، وبث الرعب في نفوس خصومهم، ويتفنون في ذلك، وهذه بعض الأمثلة لذلك:

أولاً: بث الحماسة في النفس

نبدأ مع الشيخ ضاري بن برغش الطوالة الشمري، فنستمع له، وهو يحدو خلال معركة الجهراء سنة 1920م، ويقال أن يومها رأى ضاري فارساً يعدو بفرسه، فلحق به لقتاله، فوجده لا ينتوي القتال، بل يريد الخروج من ساحة المعركة، فعاد ضاري، وهو يحدو على فرسه (السوداء) قائلاً:

مـــــاني خـــــويٍّ لـــلـــردي مـــا دام بـــالـــســـودا.. جـهـد
لاعْـــــدي عـلـيـهـم وانـتـخـي لـعـيـون مـركـوز الـنـهـد[1]

وللأحدية السابقة صياغة أخرى لدى السديري جاءت على هذا الشكل:

راعـــي الـــرديّـــة مـــا عـلـيـك مـــا دام بـــالـــســـودا.. جـهـد
اردّهـــــــا، واثـــنـــي عـلـيـك لـعـيـون مـركـوز الـنـهـد[2]

وقال هزاع بن هطل بن عايش الشمري يبث الحماسة في نفسه:

(1) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص137.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص175.

يـــا مـــا حـــلا ضرب الـنـمـش مـــن فـــوق عـجـلات الـهـذيـب
أطـعـــن لـعـيـنـا عـشـقـةٍ لي أطـعـن لـيـا هـاب الـرعـيـب[1]

وهذا حداء منسوب للشيخ راكان بن حثلين العجمي المتوفى سنة 1314هـ، وهو يخاطب الإمام عبد الله بن فيصل آل سعود:

ســـلام يـــا مـــن لي، وانـــا لـه لى مـن عـوى ذيـــبٍ.. لـذيـب
لـيـا صـفـى جـــالي، وجـالـه مـا عـنـدنـا بـالـلي حـريـب[2]

والأحدية السابقة من الأحديات التي نسبت لغير واحد، وإن كانت في أغلب المراجع قد ذكرت منسوبة لراكان، فقد رأيت منديل الفهيد ينسبها للشيخ محمد بن هادي يخاطب بها الإمام فيصل بن تركي.[3]

كما نسبهما فايز البدراني لحميان البدراني، ونسبت لغيره من شعراء حرب، فقد قرأت لعبد الله بن محمد الغيداني في (شبكة قبيلة حرب) على الإنترنت اعتراضاً على نسبتها لحميان، وذكر أنها ثلاثة أبيات لحاد من البتلاء، وهناك من ينسبها للمشدق، وهما من الغيادين من حرب، وهي:

ســـلام يـــا مـــن لي وانـــا لـه مـــن دون الادنى والـقـريـب
واحـــطّ حـــالي دون حـالـه إلى عـــوى ذيـــبٍ لـذيـب
والى صـفـى جـــالي وجـالـه مـا عـنـدنـا بـالـلي حـريـب

وقد رد عليه الأستاذ فايز البدراني بكلام مفيد يحسن إيراده، لأن فيه توضيحاً لكثير من الخلافات على نسبة بعض الأحديات، فيقول: «إن الأحديات حكمها حكم المثل السائر.. أي يمكن أن يستخدمها الشخص عندما يكون الموقف مناسباً لها، ولذلك، فهذان البيتان أو الثلاثة التي وردت على لسان (حميان) في قصة البدارين المشار إليها، ترد في قصة الغيادين، كما ترد في قصة ابن هادي القحطاني مع ابن شبعان شيخ بني هاجر، وراكان ابن حثلين، وغيرهم، ولو بحثت في الروايات الشعبية لكثير من القبائل المجاورة لوجدتها في قصصهم، ومثلها قوله:

ما ننقل المصقول والحدّ الرهيف إلاّ عـلى خبث الـنـفـوس، وطيبها

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج3، ص127.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص12: عن حمود السيهان، وعنده: يا مني.
(3) من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية لمنديل الفهيد، ج9، ص129.

فهي حداء متداول لدى الكثير من القبائل، وقد استعملها الشاعر محمد الحداري في عرضة قبيلة حرب أمام الملك فيصل عندما زار القصيم، والمراد بـ (قالها) أي تمثل بها، ولا تعني أنها من نظمه».[1]

وقال الفارس تريحيب بن نايفة الهاجري في معركة الزبارة يبث الحماسة في نفسه:

اركـب عـلى الـلي كـنّـهـا الشيهان تـســنـنـد.. عـــلى عـرقـوبـهـا
إن كـان مـا داجـت عـلى حـلـوان يـحـرم عـــليّ اركـــوبـــهـــا[2]

وقال هادي الهليط الهاجري يحمّس نفسه:

اركـب عـلى حـمـرا طـويـلـة سـاق تـوطـا عـلـى الأربـــــع.. صفيف
ألـكـد، وكـنّـي شـــاربٍ تـريـاق لى قـابـلـت خـيـل الـحـفـيـف
كـلّـه لـعـيـنـا الـجـادل الـعـشّـاق الـــلي عـــلى زيـــنـــه نـظـيـف[3]

وقال الشيخ سطّام الطيّار العنزي قبل إحدى الغزوات يبث الحماسة في نفسه، ويعد قومه بالنصر في أحدية طويلة على غير المعتاد في الحداء:

الـــطـــيـر.. عـــيّـــى عـــن عـشـاه يـتـنـى.. مـفـالـيـح الـصـبـاح
وذيـــب الـخـلا.. جـــارٍ عـزيـز يـومـين.. جـايـع.. مـا اسـتـراح
أرمـــي لـــه بـكـفّـي.. غـداه يـبـشر، وانـــا لـــه.. بـالـفـلاح
لـعـيـون.. مـن تـضـحـك شـفـاه والـيـا زعـــل.. مـا مـن سـمـاح
أطـعـــن، وشـــوفي مـا تـبـين يـا هـيـه.. يـا ظـبـي الـبـيـاح
سرحـــان وطـــيري وعـشـقـتـي كـــلٍّ.. دعـــانـي لـلـفـلاح[4]

ويقول الشيخ خلف الأذن الشعلان في بداية إحدى المعارك:

غـــزّار الـــرايـــة وش يـقـول هـــاتـــوا لي عـلـمـه بـالـعـجـل

(1) شبكة قبيلة حرب.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص50، وحلوان ماء معروف.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص115.
(4) موجز تاريخ أسرة الطيار وقبائل ولد علي لعبد الله بن عبار، ص185.

مـــن فـــوق حـــمـــرا مـحـمّـسـة هـــويـــان، حـــاديـــنـــي زعـــل[1]

وقال أبو عماش الشعلان عندما أقدم على مهاجمة المدفع التركي خلال حربهم مع الدولة، وهو هنا يعلن فدائيته، واستعداده لاستقبال الموت:

مـــع الـــســـلامـــة.. يـــا هـلي وبـــجـــيرة الـــلـــه يـــالـحـيـاة
الـعـمـر يـــرخـــص، وان غـلي مـــن واجـــبـــه يـــرخـــص غـــلاه
قـــولـــوا لـــخـــلّي.. يـــا عـلي مـــن عـقـبـنـا يـلـحـق هـــواه[2]

وقال الفارس محدى الهبداني العنزي يحمّس نفسه:

والـــلـــه، واربّي مـهـرتي واحـــطّ بـالـوضـحـا.. جـرس
وافـــــكّ ذود الـمـــــردي لى شـحّ مـا يـشري فـــرس[3]

وذكر السديري أنه كانت على الهودج (عميرة بنت حمد الشعلان) أخت سطام الشعلان، وكانت تنخاهم، وتشجعهم، وتستثير حميتهم، فاستماتوا عندها بالقتال.[4]

هذه أحدية لرشيد الوصالي يحمّس نفسه في المعركة مذكراً بمن يستوجب عليه حمايتهم من أهل ومال، فيقول:

اطـعـن لـعـيـنـا فـاطـرٍ لي خـديـنـةٍ لي.. بـالـفـلاه
مـربـاعـهـا خـشـم الـظـفـيري ومـقـيـظـهـا حـمـص وحـــماه[5]

وقال عضيب بن مسيلط السبيعي متأهباً قبل المعركة يخاطب أحد رفاقه، ويوصيه بشحذ حد حربته:

يـا سـعـود.. زيّـن حـدّهـا حـتّـى مـضـاربـهـا تـبـين
كـم سربـــةٍ بـاحـتـدّهـا كـل الـقـبـايـل خـابـريـن[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص93.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص270.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص27.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص120، 228.
(5) ديوان الشعر العامي لأبي عبد الرحمن الظاهري3، ص28. وخشم الظفيري موقع قرب رفحا.
(6) سبيع الغليا لخالد القريشي، ص221.

وقد نسبها السديري للشيخ مناحي الهيضل العتيبي بصياغة مقاربة.[1]

وقال لقطان بن حزيم القاسمي الظفيري يبث الحماسة في نفسه، ويتحدى خصمه:

عـــــشرٍ.. بـــراشـــم مـهـرتي هـــبـــيـــت.. يـــا زاري عـــلْي
إن مـــا جـــدعـــت الـمـــوردة تـــقـــاطـــعـــوهـــن يـــا هـــلي[2]

ويقول فارس من أمراء آل سعود، ولم يذكر السديري راوي الأحدية اسمه:

والـــلـــه يـــلـــوني شـيـخ قـوم لاســـهـــر عـــيـــونٍ نـــايـمـة
لاصـــــلّ قـــــومٍ فـــوق قـوم واشـــبـــع طـــيـــورٍ حـــايـمـة[3]

وهذا حاد آخر من الرولة يحمّس نفسه قبل المعركة، فيقول:

اطـعـن لـعـيـنـا.. فـاطـري واطـعـن لـيـا هـاب الـذلـيـل
إن مـــا حـمـيـتـه.. بـالـقـنـا يـا لـيـت مـا عـمـري طـويـل[4]

وقال حاد من الصبحي من شمر قبل إحدى المعارك يخاطب الموت:

يـــالـمـــوت مـــا تـمـهـل لـنـا وتـــصـــدّ.. عـــنّـــا.. يـالـحـزيـن
نـــبـــي نـــعـــاون ربـعـنـا ونـنـطـح لـهـم وجـه الـكـمـين[5]

ويقول فارس آخر يحمّس نفسه:

اركـــب عـــلى.. شـقـرا ذهـوب نـــهـــار الـــكـــون.. امـدلّـلـة
واطـعـن لـعـيـنـا.. عـشـقـتي بـالـثـوب تـمـشي مـحـلّـلـة[6]

ويقول آخر:

روس الـــشـــلافي.. امـخـضّـبـة مـثـل الـشـنـابـر بـالـهـوا

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص76.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص17.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص138.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص118: عن موسيل، ولديه (إمّا) بدل (إن ما).
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص185.
(6) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص144، وفي الأصل: تمشي بالثوب محللة، وغيرتها ليستقيم الوزن.

لاطـعـن، واروّي شلفتي لـعـيـون مـن جـعـده لـوى[1]

وتروى الأحدية السابقة بصياغة مشابهة لحاد من الرولة:

ارع الـشـلافي دارعـات مـثـل الـشـنـابـر.. بـالـهـوا
عـيـنـيـك.. يـا تـرف البـنـات يـا لابـسٍ ثـوب الـغـوى[2]

وهذا قول لحاد آخر، وفيه تساهل في قافية العجز:

أبي لـيـا صـاح الـصـيـاح وتـحـيـزمـوا.. فـرسـانـهـا
أركـب عـلى بـنـت الـريـاح يـطـرب لـهـا.. خـيّـالـهـا[3]

وقال حاد يحمّس نفسه:

نـركـب عـلى مـثـل الـقـطـا الـوزّاد أو فـرق ريـمٍ، والـدبـش حـاديـه
نبي نـطـارد.. مـن نـزل بـ اشـداد والـعـمـر.. تـدبـيره عـلى والـيـه[4]

* * *

ثانياً: بث الحماسة في الآخر

وفي المقابل لما سبق، كان الفرسان والقادة يحاولون بأحدياتهم أيضاً بث الحماسة في نفوس رفاقهم، وحثهم على بذل أقصى ما يستطيعون في ساحة القتال، فظهر هذا النوع من الأحديات، والتي اخترنا منها النماذج الآتية:

ونبدأ مع الشيخ محمد بن هندي آل حميد العتيبي، وهو يحمّس رجاله قبل إحدى المعارك، فيقول:

يـا ربـعـنـا شـدّوا عـلى الـزلـبـات جـتـنـا.. مـنـاديـب الإمـام

(1) الشعر النبطي لمنصور الحاتم، ص164.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص84: عن موسيل، والشلافي هي الرماح جمع (شلفا).
(3) الخيل لأحمد محارب، ص26.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص171، و(شداد) هضبة شرق الغاط.

ليت الحصان اللي عطي ما فات مـا سرّ بـالـبـايـر عـطـاه الـعـام[1]

وقال الشيخ محمد بن هادي البراق العتيبي يحمّس رفاقه:

يـالـربـع.. كـلٌّ فـاطـره تنخاه تـبـا.. مـشـاهـيـهـا بـلا جـيـران
ذود (المغيبي) نوصله مشهاه يـفـرح بـنـا لى ضـيّـع الـحـيـران[2]

وقال الفارس ضيف الله بن عميرة العتيبي الملقب بـ (قشعان) حين أخبره أحد سبوره (عيونه) أن الإبل المراد الاستيلاء عليها متواجدة وراء موضع (ربع العجام):

يـا اهـل الـرمـك كـلٌّ يجيب احداه حـاذور مـن خـوض الـكـلام
كـلٌّ يمـدّ بـسـابـقـه.. يمـنـاه والـبـل ورا ربـع الـعـجـام[3]

وقال الشيخ هذال بن فهيد عندما رفض يدفع الضريبة (الباج) مقابل نزول جماعته قرب الحوطة، وقد كرّر قافية العجز، وتظهر في الأحدية لهجة عتيبة:

(هـزّاع) يـبـغـى الـبـاج مـنّـا والـبـاج عـيّـانـا عـلاه
مـن مـات مـنّـا مـا شـحـنّـا والـلـه مـا نـبـكي عـلاه[4]

ويقول الفارس الجهيمي الرجباني الدوسري يحمّس رفاقه:

الـلي يـبـا.. المـدح، والـنـامـوس يـثـني جـواده.. تـالي الـردّات
والـروح لـه عـنـد الـولي حـاروس محدٍ ذكـر لي قبل يـومـه مـات[5]

ورويت الأحدية السابقة للشيخ حزام بن معضد بن عامر بن خرصان العجمي برواية مقاربة مختلة الوزن كالآتي:

يـالـلي تـبـون المـدح، والـنـامـوس ارخـوا عـنـان الخيل في الـردّات
الـنـفـس لـه عـنـد الـوليّ احـروس مـا اذكـر صـبيٍّ قبل يـومـه مات

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص42.
(2) أحديات وألقاب من قبيلة عتيبة لتركي القداح، ص82.
(3) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص68، ويذكر هنا أن ضيف الله بن عميرة كان قائداً محظوظاً لدرجة أن بعض الشيوخ المعروفين كانوا يغزون تحت قيادته بسبب ذلك الحظ.
(4) الفريس لمجموعة من المحررين، ص21، وهزاع المذكور هنا هو هزاع الهزاني من أعيان بلدة الحريق.
(5) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص23، والناموس هو الفخر.

والاّ أنا حزام خطّاف النفوس أهلّ على القوم هلّ المغيرات[1]

ويقول الفارس سعيد الطنباوي السبيعي يبث الحماسة في قومه:

يا ربعنا: بار العميل جتنا مراديد الكلام
والى ركبنا فوق حيل ترعى بنا عجفا سنام[2]

وقال الفارس محمد العماج القحطاني الملقب بـ (راعي الهزلا) هذه الأحدية خلال مشاركاته ضمن جيش الملك عبد العزيز آل سعود:

ودّي نسوق الشام.. بالمظهور والطيّب اللي تظهره يمناه[3]

وقال الشيخ مشاري بن ناصر بن زريبان المطيري يذكر إبله المسماة (القروا):

نبي نسيّر يمّ ابن سلطان الذود طارف، والخطر حاديه
نتبع هوى القروا مع الصمّان والعمر.. تدبيره على واليه
ماني بهرّاجٍ.. بلا وكدان كم واحدٍ.. قد بان فعلي فيه[4]

ونسب السديري أحدية مشابهة للشيخ ناصر بن عقيل العتيبي بهذه الصياغة:

أنا احمد اللي.. جاب لي سودان يومٍ ان شالي.. ثار في عانيه
عليّ، والله.. نطحة الكرزان والعمر.. تدبيره على واليه[5]

وقال الشيخ مشاري بن زريبان أيضاً:

يا سعود هات الفاطر امّ زريق بينّ ولدها.. للطياح
يوم السعة صارت عليها ضيق نبوج للقروا.. الفياح[6]

وقال الشيخ جهز بن شرار المطيري يحمّس رفاقه خلال إحدى الغزوات:

(1) الفريس لمجموعة من المحررين، ص103. وفي البيت الأخير اختلال واضح في الوزن.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص140.
(3) منتقى الأخبار من القصص والأشعار لخالد القحطاني، ص177.
(4) الخيل والإبل عند قبيلة مطير لعبد العزيز السناج، ص87.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص90.
(6) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص98.

يا صايحٍ جانا قبال الليل عدايله.. شولٍ عراب
شلنا على عوص النضا والخيل كلّه رجا اللي طالبه ما خاب
لعيون من دقّ الثمر، والهيل اللي حضر منّا كفى الغيّاب[1]

ويقول الشيخ سعود الفغم المطيري يحمّس فرسانه:

يا ربعنا.. يا من خبر من علّق البرشم.. ينير؟
عيبٍ على راعي الطرف يرحل.. إلى جاه النذير
إلى تلاقن سربتين أطوّح الشيخ الكبير[2]

وقال حنس بن محمد بن جديع الديحاني يحمّس رفيقه:

عيّنت نورة يا بَراز عيّنتها تالي الجهام؟
(نورة) تحنّ وتلتفتْ تبا الفرج منّا شمام[3]

وقال جفين بن خلف الصعيري المطيري:

يا بوي ما لي بالهليب هو لك وانا ليّ الطراح
أبا اتعصّب فوقها لى طنّب الراعي وصاح[4]

وروي أيضاً أن قائل الأحدية السابقة هو (عوض بن فهاد بن خلف الصعيري) يخاطب بها والده بصياغة هي:

يا بوي ما ريد الهليب هي لك، وانا ليّ الطراح
أبا تعقّب.. فوقها ليا طنّب الراعي وصاح[5]

ويقول الشيخ عجمي باشا بن سعدون السعدون يبث الحماسة في فرسانه، ويوصيهم على الإقدام:

(1) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص80.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص138.
(3) تاريخ الدياحين لحمدان المطيري، ص287.
(4) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص68.
(5) مجلة البواسل، ع19، ص74.

اطـعـن لَـمـا عـلـمـك يـبـين حـتّـى تـودّك.. لابـتـك
وان كـان مـا تـرمـي الـعـديـم خـابـت عـجـوزٍ جـابـتـك[1]

وذكر السديري أحدية بصياغة مقاربة للأحدية السابقة منسوبة لحميان بن رمال الشمري يمدح ابن عمه فهد بن رمال، يقول فيها:

اطـعـن عـسى عـمـرك طـويـل حـتّـى يـغـلـونـك لابـتـك
يـا راعـي الـفـعـل الـجـمـيـل لا خـابـت امٌ جـابـتـك

كما ذكر السديري أحدية مشابهة باختلاف القافية للشيخ عبيد بن صالح الغبين العنزي هذا نصها:

اطـعـن حـتّـى عـلـمـك يـبـين حـتّـى تـعـزّك.. عـزوتـك
لى صـار مـا تـرمـي الـعـديـم لا وا خـسـارة.. غـزوتـك

كما رواها محمد السديري أيضاً منسوبة لمتعب القنج شيخ السردية من عشائر الأردن بهذه الصياغة:

اطـعـن لمـا عـلـمـك يـبـين حـتّـى يـغـلـونـك لابـتـك
الـكـد عـلـى وسـط الـكـمـيـن ومـرحـومـة امٌ جـابـتـك[2]

وقال الشيخ فهد باشا بن علي السعدون في معركة الطينة ضد الأتراك يحمّس مقاتليه من الشباب:

يـا عـيـالي، وانـا عـمّـكـم هـوشـوا، وانـا الـيـوم استـريـح
أريـد.. لـون اقـفـوا بـكـم ردّوه.. لـلـفـرخ الـطـريـح[3]

وقال علي الضويحي السويط يحمّس فرسانه:

قـولـوا.. لـطـرّاد الـهـوى إن صـار مـا هـو نـايـلـة

(1) الأغنية الشعبية لعطا رفعت، ص176.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص88، 239، ج2، ص73.
(3) موقع المنصور السعدون على شبكة الإنترنت.

يـرخـي الـرسـن، وعـنـانـهـا حـتـى الـطـمـوح اتـخـايـلـه[1]

ونسبها السديري أيضاً لحاد من عنزة بهذه الصياغة:

عـزّي.. لـطـرّاد الـهـوى إن صـار مـا هـو نـايـلـة
الـقـلـب يـبـغـى لـه ولـيـف والـعـين دوم اتـخـايـلـه[2]

وقال الفارس عقاب بن سعدون العواجي يحمّس رفاقه قبل المعركة:

يـا ربـعـنـا مـن لـه جـواد يـكـرب عـلـيـهـا.. سرجـهـا
المـعـركـة.. بـاكـر.. وكـاد والـخـيـل تـكـثـر مـرجـهـا[3]

وقال فالح الجلوي العنزي يحمّس رفاقه:

عـيـبٍ عـلـى راعـي الـطـرف يـرحـل إلى جـاه الـنـذيـر
الـلـي يـبـي عـلـم الـشرف يـثـبـت ولا يـطـيـع المـشـيـر[4]

وقال الشيخ مطلق بن رشدان العنزي يحمّس رفاقه:

يـا ربـعـنـا ويـش الـبـصر ولـد الـشـمالي زارنـا
نـضرب عـلـى درب الـعـسر لـيـما نـفـكّ ابـكـارنـا[5]

وقال الشيخ معجون الأمّير العنزي يحمّس رفاقه، ويدعوهم للقتال:

تـحـضّروا يـا اهـل الـرمـك مـن لـه جـوادٍ.. لا يـغـيـب
بـاكـر.. يـثـور المـعـتـرك والمـوت.. بـالـهـيّـة قـريـب
مـن لا يـخـوض المـدّرك هـذاك مـا جـدّه عـريـب[6]

وقال عبد الرحمن البواردي يحمّس قبيلته، وقد أورد ابن خميس هذا النص في أشعار

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص262.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص182.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص256.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص288.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص65.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص69.

العرضة، ويُغنى بهذا اللحن في فن العرضة الحربية، ولكنه في الأساس على وزن الحداء:

يـا لابـتـي يـا اولاد زيـد ... بـالـبـيـض ويـش اعـذارنـا؟
بـالـصـمـع وارهـاف الـحـديـد ... مـقـدّمـين اخـيـارنـا
لى سـاقـوا الـجـمـع الـعـبـيـد ... سـقـنـا عـلـيـه اعـمـارنـا
بـالـحـزم والـراي الـسـديـد ... يـصـلي المـعـادي نـارنـا
والـربّ.. يـفـعـل مـا يـريـد ... عـلّام.. غـيـب اسرارنـا
والمـوت.. بـارقـاب الـعـبـيـد ... لـو مـا نـجـي لـه زارنـا[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود علاقة لصيقة بين الحداء، وشعر العرضة، حيث يذكر عبد الله بن خميس أن (الحداء)، ويسميه الحوربة أو البيشنة، يتقدم العرضة عند إقامته، ويرفع عقيرته بها أحد المنشدين، وهي لا تتجاوز بيت أو بيتين أو ثلاثة من الشعر الخفيف الحربي، وعند نهايتها يكونون قد تجمّعوا حوله، فيرفعون أصواتهم جميعاً معه، ويحملون المحورب على الرؤوس، وبعدها مباشرة تغنى قصيدة العرضة.[2]

ومثل ذلك هذه العرضة لفهد بن دحيم النفيسة، وهي وإن كانت تغنى في العرضة، إلا أنها من حيث البناء الشعري تعد من شعر الحداء، حيث يقول خلال حروب الملك عبد العزيز لتوحيد بلاده:

يـا الـلـه.. يـا عـدل الـنـظـر ... اجـعـل لـنـا.. صـيـتٍ، وكـار
لى قـيـل ابـو تـركي شـهـر ... تـخـامـرت.. كـلّ الـحـرار
ارتـجّ (نـجـدٍ) والـبـحـر ... يـوم اشـقـر الـجـنـحـان طـار
يـوم اشـتـبـك سـوّ الـقـهـر ... والـلـيـل.. جـا مـثـل الـنـهـار
لي لابـةٍ تـاطـا الـخـطـر ... مـا هـيـب تـغـلي بـالـعـمـار
الـطـايـلـة.. لاهـل الـظـفـر ... والـعـمـر.. صـيّـوره دمـار
يـا لابـس الـثـوب الـحـمـر ... كـاسـيـه مـن فـوقـه سـمـار

(1) أهازيج الحرب أو شعر العرضة لعبد الله بن خميس، ص148.
(2) أهازيج الحرب أو شعر العرضة لعبد الله بن خميس، ص356.

شـومـي لـشـيـخٍ مـا اعـتـذر ... يـوم الـردي يـبـدي الـعَـذار
يـا اهـل الـحـمـايـا مـا افـتـخـر ... الـلـي عـن الـلـقـوات نـار[1]

وهذه عرضة أيضاً على وزن الحداء أيضاً، لمطلق بن بادي العتيبي يقول فيها:

سـيـوف.. تـعـدل مـن مِـيـل ... كـلٌ.. يـهـاب اظـلالـهـا
شـيّـالـة الـحـمـل الـثـقـيـل ... مـن مـال حـمـلـه جـا لـهـا
مـا غـاب مـن نـجـمٍ دلـيـل ... ورا الـنـجـوم.. امـثـالـهـا
لـلـعـود.. مـن غـصـنٍ بـديـل ... ومـن الـسـبـاع اشـبـالـهـا
والـشـعـب يـثـنـي بـالـجـزيـل ... عـلـى جـمـع اعـمـالـهـا
شـعـبٍ بـنـى المـجـد الـطـويـل ... شـيـبـانـهـا، واعـيـالـهـا
والى زمـى الـعـايـل نـعـيـل ... والـحـرب حـنّـا ارجـالـهـا
عـدّونـا.. عـظـمـه هـزيـل ... مـقـاصـده.. مـا نـالـهـا
أقـفـى مـع الـريـدا ذلـيـل ... جـنـايـزه مـا شـالـهـا[2]

وقال الفارس زيدان بن محيميد الوهبي الحربي يحمّس رفاقه:

يـا راقـديـن، ولا بـكـم هـوجـاس ... مـتـى مـراجـلـكـم تـبـيـن؟
يـسـتـاهـلـون المـدح، والـنـومـاس ... ربـعـي هـل الـعـلـم الـرصـيـن
الـلي بـيـوم امـعـاقـب الـرصـاص ... سـدّوا مـسـدّ الـغـايـبـيـن[3]

ويقول الفارس حمد بن جابر العذبة المري الملقب بـ (حمر شعر) يحمّس رفاقه أيضاً في إحدى المناسبات:

يـا ربـعـنـا ويـش الـخـبـر ... أرخـص بـرفـقـتـنـا الأمـيـر
ردّ الـحـنـانـة عـنـدنـا ... يـوم احـرقـه حـرّ الـسـعـيـر

(1) أهازيج الحرب أو شعر العرضة لعبد الله بن خميس، ص74.
(2) أهازيج الحرب أو شعر العرضة لعبد الله بن خميس، ص226.
(3) قبيلة الوهوب من حرب لخضر الحربي، ص240، ولاحظ تغير قافية الصدر في البيت الأخير من السين للصاد لتقارب مخارج الحرفين.

والـلـه ان نـبـيّـع خـيـلـنـا ولا نـنـزل بـلـيّـا قـصـير
نـركـض بـلـدنـات الـقـنـا يـعـبـا لـهـا الـعـمـر الـقـصـير[1]

ويقول ابن ضيطان القحطاني يبث الحماسة في رفاقه:

يـا اهـل مـزاغـيـف الـرمـك إن وخـذت الـوضـحـا الـسـنـاد
إمّـا اضربـوا حـبـل الـدرك والاّ تـحـضْروا بـالـبـلاد[2]

وخلال الذهاب للغزو، كان بعض الفرسان من الرولة ينشدون من باب بث الحماسة والتفاؤل بالنصر هذه الأهزوجة، وهي مختلفة الوزن عن الحداء (من بحر الرمل):

فـالـكـم يـا غـزو طـيّـب فـالـكـم طـرشٍ عـزيـب
فـالـكـم يـا غـزو طـيّـب فـالـكـم طـرشٍ قـريـب[3]

وهذا حاد من الرولة يحمّس رفاقه خلال محاربتهم للترك، وقائدهم (المغربي)، فيقول:

يـا عـيـال دقّـوا الـبـارود لـلـمـغـربي.. مـخّ الـحـديـد
لابـدّ مـن يـومٍ يـعـود يـفـرق وديـدٍ عـن وديـد[4]

وهذا حاد آخر من الرولة يحمّس قومه، متمنياً وقوع الحرب، فيقول:

يـا مـا حـلا طـاري الـحـرايـب والـشـيـخ يـوقـد نـارهـا
مـن فـوق مـشـمّـرة الـشـلـيـل ومـعـسـكـرٍ مـسـمـارهـا[5]

ويقول حاد من الرولة:

يـا لابـتـي.. حـطّـوا غَـلَـب والـريـش مـردومٍ عـلـيـه
يـا حـيـف، يـا خـطـو الـولـد يـنـبر، ومـشروهٍ عـلـيـه[6]

(1) الدرة من أخبار قبيلة آل مرة لمحمد المري، ص282.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص179.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص203.
(4) البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر لمحمد الشرعبي، ص850.
(5) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص54.
(6) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص66: عن موسيل، والغلب هي الرماح جمع (غلبا).

وقال حاد من الرولة:

يـا راكـبٍ.. حـرٍّ مـعـنّـى ومـشـذّرٍ.. زيـن الـفـديـد
والـلـه.. مـا نـخـلّي وطـنّـا لـعـيـون مـن لـبـسـه جـديـد[1]

ويقول حاد من حرب يحمّس قومه:

المـدح.. يـا صـبـيـان ربـعـي مـا يـاتي الاّ.. بـالـغـصـايـب
مـن لا يـحـوشـه في الـصـبـا مـا حـوّشـه وان قـيـل شـايـب[2]

وقال حاد من عتيبة يحمّس الشيخ هذال بن فهيد على القتال:

يـا زيـن ركـب الـخـيـل يـا هـذّال بـاكـر.. إلى جـانـا الـبـرا.. مـردود
وركـبـوا عـلـيـهـا.. طـيّـبـين الـفـال وثـار الـعـجـاج وخـالـطـه بـارود[3]

وقال حاد من شمر يحمّس رفاقه:

اشـتـر سـبـيـب، ومـعـرقـة ويـمّ (الـجـنـفـاوي) شـبّـهـا
تـجـيـك حـمـرا مـخـوّضـة الـرمـح مـا يـنـشـب بـهـا
والي شـكـعـتـه بـالـعـنـان تـقـل تـنـاجـي ربّـهـا[4]

وقال حاد من شمر يحمّس رفاقه:

تـكـفـون يـا غـوش الـطـنـايـا كـيـف الـدبـش يـسـرح عليكم
أرخـوا مـصـاريـع الـسـبـايـا إمّـا لـكـم، والاّ.. عـلـيـكـم[5]

ويقول آخر يحمّس رفاقه:

تـحـزّمـوا بـصـفـوفـكـم لـلـمـوت مـا هـو لـلـغـوى

(1) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص77: عن موسيل.
(2) أحديات وألقاب من قبيلة حرب لفايز الحربي، ص242.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص149.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص209.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص215.

ولـــهـــا عـــشـــير اتـــودّعـــه وتـــوداعـــوا يـا اهـــل الـــهـــوى[1]

وقال حاد يحمّس رفاقه على الاستبسال:

عـــطـــوا الـــحـــرايـــب حـقّـهـا والـــــــروح مـــا هـــي دايمـــة
لابـــــدّ مـــن قـــبٍر غـويـط ثـــقـــايـــلٍ.. ردايمـــــــه[2]

ويقول آخر:

نـــار الـــحـــرايـــب.. ولّـعـت لا يـــرتـــخـــي.. مـــسـمارهـا
نـــخَـــت عـــيـــالٍ يـــسـتـحـون الـــــلي يـــاخـــذون بـثـارهـا

ويقول آخر:

ذيـــــبٍ عـــــوى بـــديـــارنـــا وديـــــــار خـــــلاّنـــــه.. وراه
لـــــو مـــا حـمـيـنـا دارنـــــا وش عـــاد نـبـغـي بـالـحـيـاه؟[3]

ويقول حاد يحمّس رفاقه، وهم في طريقهم إلى الغزو، ويلاحظ أن البيت الأول بشطريه أطول من الثاني:

عـيـبٍ عـلـى الـلـي مـا يحضر المنايا ويـــشـــتـري في سـوقـهـا، ويـبـيـع
والـــعـــزّ.. في ظـهـور الـصـفـايـا والـعـمـر.. عـنـد الـلـه وديـــع[4]

ويقول حاد آخر يحمّس رفاقه قبيل المعركة:

يـا اهـــل الـسـبـايـا اظـهـورهـن نـــادى المـــنـــادي.. بـالـفـلاح
لى جـا الـطـريـح بـنـحـورهـن شربي نـــقـــا.. عـقـب المـــلاح

وقال حاد يحمّس رفاقه:

يـا اهـــل الـسـبـايـا ويـلـكـم عـــــلى.. تـعـلـولـة هـيـلـكـم

(1) القبائل العربية لمحمد العظم، ص254.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص174.
(3) الموسوعة الكويتية المختصرة لحمد السعيدان، ج1، ص249.
(4) عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا، ص248.

جـيـنـا نـصـارع كـل أصـيـل قـــبٍّ ولـحـقـتْ خـيـلـكـم[1]

وقال حاد يحمّس رفاقه:

يـا اهـــل مـشـاويـل الـرمـك حـــطّـــوا عـلـيـهـنّ الـحـديـد
والـــــلي يـــــروّي حـربـتـه يـستـاهـل الـجـوخ الـجـديـد[2]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص140.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص194.

الفخر:

إن غرض الفخر مرتبط بشكل واضح بغرض بث الحماسة السابق، ولكن لدينا نماذج من الحداء يغلب فيها الفخر على أي غرض آخر، وقد يكون فيها الفخر بالنفس أو بالجماعة والقبيلة والبلاد التي ينضوي قائل الحداء تحت لوائها، وهذه بعض الأمثلة لهذا الغرض الشعري:

أولاً: الفخر بالنفس

نبدأ مع الفارس خليف بن مزروع المعلومي الظفيري في أحدية قالها قبل إحدى المعارك، وكان الشيخ ابن سويط قد حاول ثنيه عن الإقدام حفاظاً على سلامته لصغر سنه:

الشيخ يقمح سابقي ... يقول: والله ما تروح
شاف البيوت مشيّدة ... وبيارقٍ عنده تلوح
أرخيتها.. مع لابتي ... لعيون من خدّه يضوح[1]

وقال الفارس نزّال بن دريب الظفيري بعد أن قدم عائداً من إحدى غزواته، فوجد أن هناك من غزا قومه في غيابه، فأنشد مخاطباً ابنه (سمير)، ويذكر في هذه الأحدية حصانه (مسعود):

يا ليت اللقوة حاضره مسعود ... يا (اسمير).. ما صيدي مديح
أطعن، واروّي حربتي بالعود ... فعلٍ.. يعرفونه صحيح[2]

(1) قبيلة الظفير لبروس إنغام، ص277.
(2) موقع قبيلة الظفير على شبكة الإنترنت.

ويقول الفارس شافي بن فنيسان أبو شويربات المطيري يفخر بفعاله، ويعد قومه بالنصر:

زانت لمغلولٍ غدا له.. دين ... مع ضفّ مثلي يلحقه راعيه
والله لاخليّ خيلهم قسمين ... والعمر تدبيره على واليه[1]

وهذه أحدية للشيخ مناحي بن خالد الهيضل العتيبي، وهي النسبة الأصح لدى رواة عتيبة كما رواها السديري، وإن نسبها الزركلي أيضاً للشيخ محمد بن هندي بن حميد العتيبي، وقائلها يذم البنادق (المارتينية)، لأنها لا تظهر شجاعة حاملها كما تفعل السيوف والرماح، ويفخر بفعاله قائلاً:

نقل (المـوارت) ما بها نوماس ... رمية شرودٍ من بعيد
عليّ ظفّ احبالها.. للراس ... والله يفعل ما يريد
عليّ.. بالي تبعد المرواس ... والعمر لزم انّه يبيد[2]

وقال الشيخ جرمان بن براز بن محيّا العتيبي يفخر بشجاعته:

يا ليتني حضرتهم يوم الصياح ... ليلة.. يلمّون الجرود
من فوق غوجٍ.. توّ.. عدْيَه فاح ... يمرق، ولا فوقه شهود
وان كان ما قدمي خصيمي طاح ... والاّ انذروا غضّ النهود[3]

ويقول الشيخ غازي التوم العتيبي يفخر بنفسه:

لا وا يدي، يا اهل اليدين ... يمني.. تروّي كلّ عود
يا ليتني، والمدح شين ... معهم على قبّا عنود
حتّان.. مضرابي يبين ... يوم انّها جتنا جرود
يا عشبةٍ يمّ القرين ... ترعاه زينات الخدود[4]

وقال ابن معية العصيمي يفخر بفعاله:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص153.
(2) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص94، وما رأيت وما سمعت لخير الدين الزركلي، والحداوي لمحمد السديري، ج2، ص76.
(3) بعض مرابط الخيل واخبارها لتركي القداح، ص72.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص277.

يا ما حلا ركب اصفرٍ بالجوخ والاّ اشقرٍ يركض على الشناق
عليّ.. ضفّة عانةٍ، وشيوخ لعيون طفلٍ.. للهوى سرّاق[1]

وقال الفارس جلّال بن سعود السهلي خلال معركة الصريف سنة 1318هـ، وكان إلى جانب الشيخ مبارك الصباح:

الشيخ.. خيّلني وكال البيت واركبني القبّا القموح
وانا على ظنّه وفيت حلفت لو روحي تروح
حوّلت صامل، وانتخيت لعيون.. من قرنه سبوح[2]

وقال الأمير حمود العبيد الرشيد هذه الأحدية الطويلة في إحدى الغزوات مفتخراً، ومادحاً ابن عمه الأمير محمد العبد الله الرشيد، ويبدو أنها تغنى أيضاً على ألحان العرضة، ولكنها بوزن الحداء أولى، حيث يقول:

عينيك يا حدب الجريد يالي شحم وقت الصرام
جيناك غزوٍ من بعيد والبدو معنا.. بالجهام
والي تمنّانا.. يزيد لى شافنا.. خلّى الخيام
نتلى محمّد الرشيد يا من ذكر صمط الإمام
شيخٍ ولد شيخٍ.. عقيد مسواط حربٍ، والسلام
ربعي هل الراي السديد يشدون.. سيرات النظام
ضياغمٍ تروي الحديد لى غيّر الشمس.. القتام
مناتنا تين، وعبيد ندور بسديرٍ.. طعام
نأبى عن الشين الزهيد وفروجنا تأبى الحرام
يالي تشهّر بالقصيد اقطع، وخص، مالك كلام[3]

وقال الشيخ ضاري بن برغش الطوالة الشمري يفخر بشجاعته وإقدامه:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص281.
(2) ضميمة من الأشعار القديمة لسلطان السهلي، ص173.
(3) مخطوطة في الشعر النبطي لخالد الصويغ، ص52.

روحي عزيزة بالرخا وبالضيق نرخص سومها
لا طال عمرك يالذليل حلاة الدنيا اعلومها[1]

ويقول الشيخ غضبان بن رمال الشمري عندما طعن في السن، وأشار عليه قومه بأن يترك المغازي لكبر سنه:

الشايب لى من شاب عاب وانا ليا من شبت طبت
تسمع جضيضٍ بالركاب باثاري لى منّي ركبت[2]

ويقول الفارس رحيّل السعيرة الغفيلي مفتخراً بفعاله:

فزعت.. بسبعة رماح ما منهن الي ما روي
وانا ليا ثار الصياح أعجبك، لو ما لي خوي
كم فارسٍ من رمحي طاح من فوقه الذيب ايعوي[3]

وقال الشيخ معيض بن عبود القحطاني يفخر بفعاله هذا الحداء الطويل:

الله على الي.. لوّعت راكبها تجعل إلى من ناشها السروال
المرجلة.. صعبة على طالبها ما كلّ من ركب الفرس خيّال
شلفاي.. اوسّطها على مضربها ويمناي تفعل، والله الفعّال

وذكر السديري أنه روي له بيتان من الأحدية السابقة منسوبين إلى الأمير ضاري بن فهيد الرشيد.[4]

ويقول العاصي بن ثامر السعدون مفتخراً:

أنزل طَرَف، واونّس الديوان وبيّ النشامى يفرحون
ماني مثل خطو الولد يصير ودْعا بـ دَسْتَكون[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص173.
(2) منتقي الأخبار لخالد القحطاني، ص172، ولديه (جضيض الركاب).
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص116.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص70.
(5) رواية عن أبي (يرحمه الله)، والنزول في طرف المنازل من دلائل الكرم لأن فيه استجلاب للضيوف، والدستكون صندوق تحفظ فيه النساء قلائدهن من الودع والخرز.

وقال الشيخ شهاب الفقير العنزي يفخر بنفسه، ويعد بالثبات على موقفه:

والـلـه مـا اخـلّي ديـرتي ... يـوم الـفـلَـت.. عـنـهـا شرَد
لا وا خـسـارة مـهـرتي ... والـوضـح الـلي مـثـل الـبرد[1]

وقال الفارس مطارد بن ساجر الرفدي العنزي يفخر بفعاله:

وش عـاد لـو تـشره عـليّـه ... جـاهـل، ولا لـيّـا كـبير
لي سـابـقٍ.. تـشره عـليّـه ... وارخـى عـنـانـه، والـجـريـر
الـعـمـر مـن فـوقـه.. عـاريّـه ... إن وافـق الـيـوم الـخـطـير
نـضرب عـلى وسـط الـسريـة ... ومـا دبّـر المـولى يـصـير[2]

ويقول مسفر بن عايش الدموخ الدوسري:

إن كـان مـا اروي ليّـنات الـزان ... يـالـربـع خـلّـوني ورا الأطـنـاب
كـلّـه لـعـيـنـا.. لابـس الـسبـهان ... الـخـيـل.. نـعـلـقـهـا صـواب[3]

وقال الفارس بادي بن مصيبيح الدوسري عندما أعاد إبل محبوبته من أعدائهم بعد أن جاءت تستنجد به:

عـايـن فـعـولي يـا لطيف الـروح ... يـوم انـت تـومـي بـالـشـليـل
وانـا عـلى الـحـمـرا الـجـمـوح ... إن قـابـلـت خـيـلٍ.. بـخـيـل[4]

ويقول حاد من الرولة، ويبدو أنه أحد مماليك البادية، وكان الشجعان منهم يشاركون في معارك مواليهم:

عـمّـي شرا لي مـهـرتي ... لا يـا بـعـد.. كـلّ الـعـمام
الـيـوم.. أروّي حـربـتـي ... واضرب عـلى وسـط الـكـتـام[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص162.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص62.
(3) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص23.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص36.
(5) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص56: عن موسيل.

وتشبهها أحدية نسبها السديري لمولى من موالي المهيد من عنزة بهذه الصياغة:

عـمّـي شرا لي المـعـنـقـيّـة ... لا يـا بـعـد.. كـلّ الـعـمام
والـيـا نـخـاني.. مـسـنـدي ... والـكـدْ عـلى وسـط الـجـهـام[1]

كما تشبهها أحدية أخرى باختلاف القافية للفارس سعيد التوم من موالي حائل الشجعان يقول فيها:

عـمّـي عـطـاني مـنـوتي ... حـمـرا.. مـعـنّـقـهـا طـويـل
عـلـيّ اروّي حـربـتـي ... بـالـشـيـخ، والاّ بـالـوكـيـل[2]

وقال حاد من السبعة من عنزة يفخر بفعاله:

لي بـنـدقٍ.. شريـتـهـا ... لـلـديـرة يـنـقـط دمّـهـا
يـا سربـةٍ مـتـعـايـلـة ... وانـا عـلـيّـه.. لمّـهـا
كـم جـادلٍ مـنـكـم تـصـيح ... تـصـيـح، وزدنـا هـمّـهـا[3]

وقال حاد:

يـا مـوسى ودّه.. لـلـطـفـوح ... نـاقـة.. مـطـوّل شـاربـه
شـلـفـاي.. تـنـهـب كـلّ روح ... مـن دمّ ضـدّي شـاربـه
وانـا عـلى الـحـمـرا الـجـمـوح ... عـلى المـعـارك داربـه[4]

وهذا قول حادٍ يفخر بفعل يمناه:

عـاشـت يمـين الـصـانـع الـبـيـطـار ... يـصـنـع.. شـنـاشـل مـعـضـدي
يـا مـعـضـدي تـسـتـاهـلـك يمـنـاي ... تـجـسـر.. إذا هـاب الـردي[5]

* * *

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص196.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص139.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص198.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص213.
(5) ديوان الشعر العامي لألبرت سوسين، ص75.

ثانياً: الفخر بالقبيلة وقوتها

وهذا حداء للشيخ فيصل بن سلطان الدويش يمدح فيه فعال قومه، ويفخر بهم، فيقول في بعضه:

ما بين حمّاً، وابرق المطلاع ... ربعي.. مروّية الرماح
هل سربةٍ.. يفرح بها المرتاع ... لى وايق الراعي، وصاح
العيش في كل الديار ايباع ... والحرّ لى منه تنكّر راح[1]

ولفيصل الدويش أيضاً في نفس رويّ العجز للأحديتين السابقتين:

يا شيخ.. ما مثلك عليّ ايويق ... ما جيت في درب الصباح
لي لابةٍ.. عزّ الرفيق ... وعلى العدو.. سمٌّ ذحاح[2]

ويقول الشيخ مقحم بن خضران المطرفّة المطيري:

يا عشبةٍ بين الهضوب ... طالت.. وكلٌّ هابها
ترعاه صمعان القلوب ... اللي تحنّي احرابها[3]

ويقول الشيخ مسلط الحبشان الحميداني المطيري يفخر بقومه في حداء قصير العروض:

حنّا ندخّل.. عق ... غصبٍ على الزعلان
والاّ.. دخيل الحق ... يلقى من العربان
واللي نوانا.. صدق ... ينزل لنا الميدان[4]

ويقول دحيان بن عبلان الديحاني المطيري مفتخراً:

نضرب على جمّ الخساير ... ما يستوي مدحٍ.. بلاش

(1) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص81.
(2) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص81.
(3) تاريخ الدياحين لحمدان المطيري، ص286.
(4) مجلة البواسل، ع4، ص30.

لعيون زينات العشاير ... والغرو لبّاس القماش[1]

ويقول الشيخ جهز بن شرار المطيري يفخر بقومه، وقوتهم:

حكر المعاني خمس يالجذعان ... وا بوي.. من موت الحياه
ما ينبني بيتٍ بلا عمدان ... ولولا اطنابه ما استوى مبناه
والطير ما يكفخ بلا جنحان ... وذيبٍ لحاله ما يفيد اعواه
سعودنا.. في سَمكة الدخّان ... والمرجلة.. ما جاتنا مهداه[2]

وقال الشيخ متعب بن جبرين المطيري:

الميسوي.. جاني بعلمٍ ردّه ... ردّ البرا منّي على راعيه
واليا ركبنا.. جاهزات العدّة ... كم شيخ قومٍ مركبه نخليه
لعيون من دقّ الثمر في خدّه ... الجادل اللي عاصٍ واليه[3]

ويقول محسن الرقعي المطيري:

يا اهل الرمك من غيرنا ... يارد إلى هاب الذليل؟
كلّ القبايل.. ضدّنا ... ولا غير نطحتهم بديل[4]

ويقول الشيخ فراج بن مذكر العماني السبيعي يفخر بقومه:

حمدت ربّي عظيم الشان ... والشكر لله، والثنا
حمدت ربّي لابتي سبعان ... مروين مذلوق القنا[5]

وقال الشيخ فهد بن شوية السبيعي يفخر بقومه:

يا اهل الرمك.. لابدّ من ميدان ... إمّا مسا، والاّ.. صباح
إن جا الوكيد، وشوّل الشيطان ... نروي مزاريق الرماح

(1) تاريخ الدياحين لحمدان المطيري، ص287.
(2) ديوان الشيخ الفارس جهز بن شرار لسعد العصامي، ص142.
(3) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص80.
(4) الديوان الأثري لشاهر الأصفه، ص191.
(5) سبيع الغليا لخالد القريشي، ص167.

مركاضنا يشبع به السرحان والطير خفّاق الجناح[1]

وقال الفارس جري بن هملان السبيعي المعروف براعي (ملقا)، وهي شلفاه (رمحه)، وكان ينزل في المراعي دون استئذان أحد:

عدٌّ عليه من الأمير احتوف قطعانا تشرب صرايا ماه
كلّه لعينا الفاطر امّ اشعوف اللي تهجّ الصيد.. من مرباه
وكلّه.. لعينا راكب الجحلوف اللي طموح، وشوقها.. تشناه

وذكر السديري أنها رويت له أيضاً منسوبة لدخيل الله بن عون العتيبي، ولكن المشهور أنها لجري بن هملان كما ذكر السديري أيضاً، وأفاد الباحث سليمان الحديثي، وجاءت في كتاب (سبيع الغلبا) للقريشي برواية مقاربة.[2]

وجري بن هملان هو القائل أيضاً في نفس المناسبة السابقة:

ما نرتع الاّ في مسرّه و(جوس) ما نبغي قصير
لعيون من ثوبه يجرّه سبهان مدري من حرير[3]

وقال حسين بن صالح السهلي:

في شفّ من وسمها المشعاب وضحا على الراعي.. رجوح
نروي مقاديم الحراب لى من هبا راعي الجموح
نرمي عشا سحم الذياب والروح.. لابدّه يروح[4]

وقال الشيخ ذعذاع بن رويضان السهلي قبل معركة روضة مهنا سنة 1324هـ (1906م) يخاطب الملك عبد العزيز آل سعود:

يا شيخ، وابشر بالظفر حنّا لكم دايم جنود
حنا سندكم، والذخر اللّه وعباده.. شهود

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص295.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص101.
(3) سبيع الغلبا لخالد القريشي، ص213.
(4) ضميمة من الأشعار القديمة لسلطان السهلي، ص61.

ما نحسب احساب الخطر رفيقنا.. يرقى سنود
يا سِعد منّا له ظهر لى منّ عودٍ طقّ عود[1]

وقال شايع بن شداد السهلي المتوفى في موقعة تربة سنة 1337هـ:

أسهر وراهن لين غاب سهيل في موقعٍ ما زعزعه خطّاف
عاداتنا.. لى ثار عجّ الخيل نحمي الظعون ونلحق الأطراف
يا شيخنا.. حنّا سباع الليل معكم فعايل لابتي.. تنشاف[2]

وقال ضبيب بن عرهان السهلي خلال حروب الملك عبد العزيز لتوحيد المملكة العربية السعودية يفخر بقومه:

حنّا سند عبد العزيز إليا دعانا.. للّزوم
سهول وافين الذمام في سومها محدٍ يلوم[3]

وقال الشيخ حجرف بن عياد الذويبي الحربي:

قطعاننا ترعى الخطر ومهارنا.. قدّامها
لعيون راعية العفر اللي يلوح ازمامها[4]

وقال الشيخ سيف بن غانم بن مضيان الحربي يفخر بقوة قبيلته:

يا ما حلا، وان جن بنا كردوس ما نختفي.. وقت الحساس
ناخذ علينا باللقا ناموس والطير.. يشبع بالمداس[5]

وقال خليف بن دهيليس الفريدي الحربي يفخر بقومه:

الشيخ يطرد ربعنا يحسب منازلنا بعيد

(1) ضميمة من الأشعار القديمة لسلطان السهلي، ص120.
(2) ضميمة من الأشعار القديمة لسلطان السهلي، ص84.
(3) ضميمة من الأشعار القديمة لسلطان السهلي، ص71.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص75.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص151.

طـــرح المـــجـــوّخ طـبـعـنـا والـبـعـد يـدنـيـه الـشـديـد[1]

وقال شبيب بن ردّاس الحربي يفخر بقومه، وتاريخهم المجيد:

ربـعـي كـمـا مـــزنٍ غـشى جـمـران مـتـحـدّرٍ.. يـبـي الـقـطـيـف
حـنّـا حـرايـبـنـا.. ولـد عـثـمان وشـهـودنـا ولـد الـشريـف[2]

وقال حاد من الأحامدة يفخر بقومه، ويمدح شيخهم سعد بن جزا الحربي:

صـقـرٍ.. ربـا في راس لـوق مـن لاويَـة في لاويَـة
الـلـه.. مـن دون الـحـقـوق واربـوعـنـا فـداويَـة[3]

وقال الشيخ محمد بن تركي المهيد يفخر بفعال قومه:

نـركـب عـلى قـبٍّ بـنـات حصان وشـلـفٍ يـطـرّقـهـن.. هـوا
نـرمـي العشا في مـرتـع الـذيـدان لـلـذيـب.. الى مـنّـه عـوى[4]

وقال العقيلي بن نايف المجلاد يفخر بقومه:

يـا سربـةٍ.. مـعـهـا المـجـلاد وردت، ولا هـابـوا.. بـهـا
كـم خـفـرةٍ.. لـبـسـت سـواد قـامـت.. تـشـعّـط ثـوبـهـا
عـفـيَـه عـلى طـيـور الـهـداد كـم قـالـةٍ عـيّـوا بـهـا[5]

ويقول الشيخ خلف الأذن الشعلان يفخر بفعال قومه في المعارك:

كـم شـيـخ قـومٍ زارنـا خـلـيّ.. بـفـلا زمـلـنـا
لـعـيـون مـردوع الـوشـام طـفـلٍ يـحـسّـب.. كـمّـنـا[6]

وقال الفارس مريبد العدواني العنزي يفخر بقومه:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص94.
(2) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص35.
(3) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص56.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص34.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص259.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص93.

جـيـتـك.. بـربـعٍ مـسـتـحـين مـا داوروا.. غـرّاتـهـا
ربـعـي لـيـا هـاب الـذلـيـل نـثـر الـحـمَـر عـاداتـهـا[1]

وقال مفرج الجعفري العنزي الملقب بـ (طويل الرمح) يفخر بقومه:

مـنـيـعـنـا يـنـهـج سـلـيـم مـن فـعـلـنـا.. مـحـدٍ ولاه
فـزنـا بـهـا فـوزٍ عـظـيـم بـالـسـيـف والـرمـح انـحـماه[2]

وهذا حداء لسلامة البلاز، ونسبت هذه الأحدية أيضاً لحاد من الدهامشة:

لى صـاح صـيّـاح الـضـحـى عـيـنـاك.. يـا نـاقـة غـريـب
الـلـي وقـع مـن ضربـنـا بـارباعـنـا.. يـقـعـد صـويـب[3]

وقال حمدان بن حجاب الجعفري العنزي يفخر بقومه:

هـذي عـوايـد ربـعـنـا يـرمـون لـلـحـايـم.. عـشـاه
مـن دون شـقـعٍ عـنـدنـا بـالـسـيـف والـرمـح انـحـماه[4]

وقال عيادة الشملاني العنزي يفخر بقومه:

يـتـمـان، وعـيـال الـبـشـير وا سـعـد.. مـنـهـم لابـتـه
عـلـى الـعـدو شرٍّ شرير الـديـن.. يـا طـلّابـتـه[5]

وهذا الشيخ العاصي بن فرحان باشا الجربا يفخر بفعل قومه، وتاريخهم:

مـن دور سـام، والـشريـف مـا حـنّـا لـلـقـاسي.. لـيـان
حـنّـا كـمـا غـشّ الـعـراق نـلـحـق عـلى طـول الـزمـان[6]

وقال الشيخ ضاري بن برغش الطوالة يفخر بقومه:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص50.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص71.
(3) البادية لمحمد الشرعبي، ج1، ص555، وهو يذكر أن سلامة البلاز قالها يمدح فخذ القضيب من عنزة.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص83.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص275.
(6) عشائر العراق لعباس العزاوي، ج1، ص135، و(غش العراق) هو بق الزريقي الذي يقتل بقرصاته الإبل.

نـركـب عـلـى مـثـل الـشـنـين وبـايـمـانـنـا رخـم الـعـقـاب
كـم واحـدٍ مـن ضربـنـا يـشـكـنّ رجـلـيـه الـعـيـاب[1]

ونسب السديري للشيخ ضاري بن برغش الطوالة قوله:

الـعـيـد عـيـدٍ لـلـبـنـات والـيـوم هـذا عـيـدنـا
عـلـى ظـهـور المـكـرمـات شـيـخ الـقـبـيـلـة صـيـدنـا[2]

وهناك صياغة مشهورة للأحدية السابقة منسوبة لحادٍ آخر من الرولة يفخر بفعال قومه، ويقول:

كـل يـوم عـيـدٍ لـلـبـنـات والـيـوم.. هـذا عـيـدنـا
نـرمـي الـعـشـا لـلـحـايـمات لـعـيـون مـن هـي تـريـدنـا[3]

ونسب السديري أحدية مشابهة للشيخ محمد بن دوخي السمير العنزي بهذه الصياغة:

الـلـي مـضى عـيـد الـبـنـات وركـب الـسـبـايـا عـيـدنـا
مـفـراص.. بـالـود الـحـديـد بـنـحـور مـن يـريـدنـا[4]

ويقول الشيخ عقاب بن عجل الشمري يفخر بقومه:

حـنّـا.. لـنـا يـوم، وثـان وسـيـوفـنـا تـبري الـغـشـيـش
أفـعـالـنـا.. تـعـرف بـيـان واهـبـالـنـا طـبّ الـغـشـيـش[5]

ويقول دليم بن معيديلة من الصايح من شمر يفخر بقومه، ونسبت أيضاً لزيد الصديد:

(صـوايـحٍ)، والـخـيـل عـزّم والـيـا لـكـدنـا مـا نـشـوف
عـاداتـنـا رمـي المـحـزّم لـعـيـون كـل غـرٍو هـنـوف[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص175.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص175.
(3) في الأصل لعيون من تريدنا، والزيادة من عندي ليستقيم الوزن، حداء الخيل لأحمد العريفي، ص70، وفي رواية أخرى لصدر البيت الأول: العيد عيد للبنات، الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، ص48.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص37.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص253.
(6) عشائر العراق لعباس العزاوي، ج4، ص204، وعقود الجواهر لطلال الشمري، ص93.

وقال الشيخ كفش بن عقاب الزقروطي الشمري يفخر بشجاعة فرسانه:

الـجـود شـقّ الـراويـة لمّـا تـطـشّر مـيّـهـا
سربـة كـفـش لازم تـبـين يـقـزي جـنـبـهـم مـيّـهـا[1]

وقال خشفان الويسي من المخالي من القشعم:

أبـو فـهـد.. سردالـنـا زلـزل عـلـى الـحـوتـة نـطـيـح
مـن قـبـل هـذي افـعـالـنـا الـلي تـهـلـهـل، والـ تـصـيـح[2]

ويقول هزاع العزاوي من عشيرة العزة الحميرية النسب في العراق مفتخراً بقومه:

يـا هـيـه يـا اهـل الـرمـك حـسّ المـحـورب.. صـاح
وقـروم (حـمـير) عـدوا ع (المـاطـلي) بـرمـاح[3]

وقال الفارس علي الضويحي السويط يفخر بقومه:

بـنـت الـعـبـيّـة.. سـابـقـي تـوّه زهـت لي تـوّهـا
قـلـبـي عـلـى الـشـيـخ الـبـيـوق مـثـل الـخـلـوج.. لـبـوّهـا
إلـيـا تـلاقـن سربـتـين أجـلـي عـن كـبـدي سـوّهـا
كـم سربـةٍ بـاسـيـافـنـا يـا حـمـود نـطـفـي ضـوّهـا[4]

وقال الشيخ مانع بن ضويحي السويط يفخر بقومه، ويذكر دفاعهم عن أرض شقراء في بادية العراق:

(الـشـقـرا) عـيّـوا بـه هـلي وداجـت عـلـى مـعـارتـه
لـعـيـون ركّـاب الـحـنـي الـجـادل الـلي زارتـه

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص9.
(2) لكود القشعم لمحمد منير لكود، ج1، ص306.
(3) مباحث عراقية ليعقوب سركيس، ج2، ص311، وهذه الأحدية جاءت على وزن غريب هو (مستفعلن فاعلن) للصدر، و(مستفعلن فاعل) للعجز.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص265.

وذكر السديري أنها تنسب أيضاً لحداة من شمر بعد انتصارهم في إحدى الغزوات.[1]

ويقول الشيخ ناصر بن عمر بن قرملة القحطاني يفخر بقومه:

يـا نـجـد يـا مـال الـسـحـاب حـيـثـك.. مـوالـغ كـلّ ذيـب
ربـعـي مـروّيـة الـحـراب مـقـلّـطـة حـوض الـشـريـب[2]

وقال الفارس ذعار بن شالح بن هدلان يفخر بقوة قومه:

نرعى الحمى في شفّ كل اسناد قـفـرٍ، ولا هـو قـبـلـنـا مـانـوس
يـبـرا لـنـا.. قـبٍّ عـلـيـهـا اولاد وسـيـوف هـنـدٍ.. ضربـهـا بـالـروس
هـذا لـعـيـنـا.. مـركّـز الأنـهـاد بيني وبينه من قديم ارمـوس[3]

ويقول الشيخ زيد بن شفلوت القحطاني يفخر بقومه في إحدى المعارك:

نـركـب عـلـى بـنـت الـحـصـان وبـايمـانـنـا.. عـود الـقـنـا
مـعـي.. مـشـاهـير اقـحـطـان والـروح.. قـافـيـهـا الـفـنـا[4]

ويقول الشيخ عشق بن شفلوت القحطاني يفخر بقومه:

صـفـرا جـنـايـبـهـا.. كـمـا الـغـربـان ومـعـقّـبٍ عـقـب الخليف اثنين
لـيـا رفـعـت الـصـوت الى قحطان يـا ويـل منهم يطلبونه ديـن[5]

وقال علوش بن عيد القحطاني:

يـا عشبةٍ باسفل شعيب الرين تـرعـاه.. طـبـاح إبـلـنـا
لـيـا ركـبـنـا لـيّـنـات الـقـين جـيـب الـقـلايـع.. سـبـلـنـا[6]

وقال فهد الهماش القحطاني يفخر بقومه:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص21، ص55.
(2) منتقى الأخبار لخالد القحطاني، ص179.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص109.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص120.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص249.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص261.

مـا حـن بـجـيرانٍ لـكـم يـا منيع مـا حـن بـجـيرانٍ لـكـم بـالـشـاه
حـنّـا لنا الخصم العنيد ايطيع والـرجـل نجعلها عـلـى عـلـبـاه[1]

وقال مطلق الهماش يفخر بفعال قومه، ويخاطب الشيخ فيصل بن حشر العاصمي القحطاني:

أقـفـيـت مـنّـا.. بـالـشـديـد يـا شـيـخـنـا.. يـا بـو فـلاح
يـا والـلـه الـلـي روّحـوا يـا عيد ربـعـي.. مـروّيـة الـرمـاح
مـا جـت لي الـدنـيـا عـلـى مـا ريـد إن حنّت الوضحا، فـ سـدّي باح
لـعـيـون وضـحـا.. للصياح تعيد تـرجـع.. لـصـوت الـراعـي المصلاح
أركـب عـلـى الـلـي كـنّـه الـفـريـد إن حـل عند اطـرافـهـنّ اصـيـاح[2]

وقال معجب بن بويريد القحطاني:

يـا عـدّ.. وردك حـولـةٍ مـن أمس والـيـوم.. جـوك الـطـيّـبـين
يـا حمس قلبي عقبهم بالحمس بـنٍّ.. ولـوه الـجـاهـلـين
أنـا، وربـعـي.. مبعدين الرمس هـل سربـةٍ.. تـرخـي الجـريـن
عـاداتـنـا شـدّ الـشـوَشْ بالخمس كـلّ الـقـبـايـل خـابـريـن[3]

وقال معجب بن بويريد أيضاً يفخر بقومه:

يـا جـاهـلٍ في حـربـنـا حـنّـا مـسـاويـط الـعـجـاج
كـم واحـدٍ مـن ضربـنـا خـلّي طـريـحٍ في المـداج[4]

وقال الشيخ معيض بن عبّود القحطاني خلال مشاركته في الحروب إلى جانب الملك عبد العزيز:

كـان الـقـبـايـل هـاجـروا للدين وخـلّـوا دبـشـهـم.. بـالـفـلاة

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص294.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص67.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص67.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص68.

إن ديّـنـوا.. حـنّـا عـمـود الـديـن وان نـافـقـوا حـنّـا عـلـى الطوعات
نـركـض عليهم وان غـدوا جمعين ولا تحسّب باللقا.. مـن مـات[1]

وقال الشيخ معيض بن عبود يخاطب الأمير سعود الرشيد:

يـا (سـعـود) مـا حـنّـا شـواوي ولا نـــزعّـــل لـلـقـصـير
نـركـب عـلـى بـنـت الـعـلاوي ونـتـيّـه المـلـحـا الـنـظـير[2]

وقال الفارس فاجر بن شليويح العطاوي يفخر بقومه:

لـعـيـون وضـحـا نـيّـهـا مـردوم نـدفـع لـهـا الـحـاشي.. ورا
إلى تـــردّت هـقـوة المـضـيـوم نـطّـاحـة المـــوت اجـهـرا[3]

وأورد السديري أحدية بصياغة مشابهة نسبها للشيخ متعب بن جبرين المطيري كالآتي:

نـطـعـن.. إلى جـانـا الـلـزوم ونمـشي عـلـى المـــوت اجـهـرا
لـعـيـون وضـحـا نـيّـهـا مـردوم نـدفـع لـهـا الـحـاشي.. ورا
مـا تـرتـع الاّ بـالـوسـوم مـا هـي عـلـى طـنـب اقـصرا[4]

ويقول دجي بن سعدون الدعجاني العتيبي:

وضـحٍ تـرجّـى فـزعـة الـرديـان يـا ربـعـنـا.. عـــزّا لـهـا
قطعاننا ترعى حمى جمران وامـهـارنـا.. تـبرا لـهـا[5]

وقال الشيخ سلطان أبا العلا العصيمي العتيبي يفخر بفعال قومه:

نـرعـى مـن الـخـلّـة إلى النشاش فـيـهـا مـنـازلـنـا تـبـين
ردّ الـخـبـر.. يـالمـاشي الـطـرّاش يـوم الـشـمـايـل سـنّـدوا مقفين

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص69.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص70، ونسبها فايز البدراني بصياغة مختلفة للفارس فهد بن هطيل آل مسعود القحطاني.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص285.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص22.
(5) بعض مرابط الخيل لتركي القداح، ص94.

نـركـب عـلـى الـلـي ركضهن شوباش تـــبرا.. لـجـرعـات الـحـنـيـن[1]

ويقول شويمان أبا الجلادا العصيمي العتيبي مخاطباً الشيخ محمد بن هندي آل حميد:

ســـلام يـــا شـيـخ الـقـبـيـلـة يـــا حـــاكـــمٍ حـكـمـه عـــدال
الـحـرب حـنّـا الـلـي نـجـي له يـــوم الـــرشـــا ركـــب المـحـال
بـقـومٍ كـما سـيـل المخيلة يـحـزّ مـن جـــالٍ لـجـال
وجـمـوعـنـا دايـــم ثـقـيـلـة تـهـدّ نـايـفـة الـجـبـال[2]

ويقول الشيخ مارق بن صنيتان الضيط العتيبي يفخر بقومه:

إلـيـا تـواجـهـت الـسـرايـا يـفـرح بـنـا الـذيـب الـفـروس
لـعـيـون مـن قـرنـه عـوايـا يضفي عـلـى مـثـل الـطـعـوس[3]

ويقول الشيخ شبيب بن حجنة العتيبي:

يـا مـــلّ عـــينٍ مـا تـنـام يـــمّ الـجـنـوب مـهـايـمـة
إن درهـمـت عـجـفـا سـنـام نـرمـي الـعـشـا لـلـحـايـمـة[4]

وقال رفاع السنع العتيبي يفخر بقومه:

يـا اهـل الـنـقـا مـنّـي سـلام يـا اهـل المـرامـيـس الـبـعـيـد
حـنّـا عـنـاهـم كـلّ عـام قـريـب، والاّ مـن بـعـيـد[5]

ويقول الفارس فهاد الحلاج خلال أحداث الأخوان يفخر بولاء قومه للملك عبد العزيز:

يـا طـــارشٍ.. يـم الإمـــام عـجّـل عـلـيـنـا.. بـالـخـبـر
مـا نـعـرف الاّ بـيـرق الإسـلام وش بـــيرقٍ دونـــه.. ظـهـر؟

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص143.
(2) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص62.
(3) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص80.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص156.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص118.

دون المحارم والخيام الطير نرمي له نسر[1]

وقال معتق بن خزيّم الرشيدي مفتخراً بقومه:

نرعى امّره، وطلوح، وامّ اسنون والي يحاربنا.. ضعيف
لعيون وضحا نابي النسنوس نرعى بها الوادي المخيف[2]

وقال حمود السليمان يفخر ببلدته الروضة:

لي ديرةٍ شرق العقاب ما حيّلوها غايرة
يجدّ.. عدلات الركاب مثل شنين الصايرة[3]

وهذا قول لأحد الدياحين من قبيلة مطير أثناء الاستعراض السنوي أمام شريف مكة خلال موسم الحج يفخر بفعل قومه، وقد تساهل في قافية العجز:

حنّا لفينا يا شريف من نجد مرذين النضا
يا ما فرقنا من وليف للطير مكتوبٍ عشا[4]

وقال ابن كمي الحربي يفخر بقومه:

حنّا ليا قيد الجمل قيد الخطام يفرح بنا الداني ويكرهنا الخصيم
حنّا.. ليا منّا ثنينا.. بالحسام ما نضرب الاّ الروس والعظم الصميم
حنّا ترانا بالملاقا.. ما نضام عدوّنا من فعلنا.. دايم سليم[5]

ويقول حاد من قحطان أيضاً:

حنّا إلى صاح النذير ما نكتفي بمروبعات
نركي على حدّ الشطير ورث الجدود الماضيات[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص295.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص92: عن الصويان.
(3) الفنون الشعبية للدويش، ص141، والعقاب جبل في نجد.
(4) تاريخ الدياحين لحمدان المطيري، ص289.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص13.
(6) نسبها فايز البدراني للشيخ محمد بن بخيتان أمير المشاعلة من قحطان في أحديات وألقاب، ص60.

ويقول حاد من قحطان أيضاً:

من دون سمحات الوجيه بنات (ظبيان) القديم
نعطي المعادي اللي يبيه شلفٍ تخالف بالصميم[1]

ومثله قول حاد من ذوي عطية من قبيلة عتيبة:

لى روّحت شقح البكار وامّ الحويّر كبّته
نركب.. مزاغيف المهار والرمح نروي جبّته[2]

وقال حاد من عتيبة يفخر بقومه:

نرعى الوسامي والبرا مردود عينيك.. يا عجفا سنام
من دونها نروي القنا، والعود ومن طاح قدم نحورهن ما قام[3]

وقال حاد من الرولة يفخر بقومه، ويذكر إبلهم المشهورة (العليا):

العليا ترعى بالخطر والرجل فوق المعلبة
حنّا كما سيلٍ حدر نفّ العدى بالمجنبة[4]

وقد نسبها السديري لفهد بن رمال الشمري، وأولها: (سبلا.. ترتّع بالخطر) كما نسبها لحاد مجهول من شمر، وأولها: (نرعى البويضا بالخطر)، وذكر الحديثي أنها تنسب أيضاً لمحمد الربع الشمري.[5]

وقال حاد من الرولة:

لعيون من فجّ الذرا، ويويق عطشان يبغي شوفنا
عاداتنا.. فكّ الوسيق جيب القلايع حوفنا[6]

(1) نسبها فايز البدراني لصالح بن جحدب بن بخيتان من المشاعلة من قحطان في أحديات وألقاب، ص62.
(2) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص117.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص150.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص65: عن موسيل.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص172.
(6) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص78: عن موسيل.

وقال حاد من الرولة يفخر بقومه:

أحـــلى مـــن حـبّـــي لـلـطـمـوح تـــلـــويـــحـــتـــي.. مـــن فـــوقـــهـــا
عـــاداتـــنـــا.. نـــطـــح الـكـمـين والـــطـــامـــح.. نـلـحـق عـوقـهـا
والـخـيـل بـالـيـوم الـشـديـد بـــرمـــاحـــنـــا.. نـســوقـــهـــا
الـــطـــيـــر نـــرمـــي لـــه عـــشـــاه والـضـبـعـة.. تمـلا شـدوقـهـا[1]

ويقول حاد من الرولة يفخر بقومه:

حـريـبـنـا مـثـل الـعـلـيـل والـــيـــا بـــرى عـــاده بـــلاه
عـــاداتـــنـــا ذبـــح الـحـلـيـل والـطـامـح نـلـحـقـهـا هـــواه[2]

وقال حاد من الرولة، وقيل من السبعة:

نـركـب عـلـى مـثـل الـشـنـين مـــن فـوقـهـا فـصـلـة حـمـاه
نـخـلـي الـعـجـوز مـن الـجـنـين والـطـامـح.. نلحقها هـــواه[3]

ويقول حاد من الدهامشة يذكر شيخهم راكان المجلاد:

(راكـــــان) يـصـوّت بـالمـنـام يـــا مـــن يـبـشّـرني بـــ عـقـيـل
ربـعـي مـحـــدّدة الـجـمـل كـسّـارة الـجـمـع الـثـقـيـل[4]

وقال حاد من الدهامشة:

حـنّـا زيـــزوم الـحـرب الاوّل نـــصـــبر، ولـــو انّـــه ثـقـيـل
كـم مـن طـمـوحٍ مـن عـدانـا راحـــت تـــدوّر لـه حـلـيـل[5]

وفي غرض الفخر بالقبيلة قول حاد من جماعة الفارس ندا بن نهيّر الويبار الشمري:

ربـعـي مـقـابـيـس الـعـدى خـيّـالـهـم مـا لـه نـطـيـح

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص193.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص204.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص166.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص117.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص203.

يـــا سربـــــةٍ تـتـبـع نـدا كـم هـلّـلـوا خـلـف الـطـريـح[1]

وقال حاد من الثابت من قبيلة شمر:

حـنّـا هـل الـجـدعـا وكـاد إن اقـبـلـن، واقـفـن بـنـا
حـنّـا ذراكـــم مـن شـمـال وكـــلّ الـــحـــراب بـجـنـبـنـا
يـا مـن يـسـايـل شـيـخـنـا يـا ربـعـنـا وش ذنـبـنـا؟

وذكر السديري أن الثابت صفوا صفين، وقاموا يلحنون الأحدية السابقة على ظهور الخيل مما يعطينا فكرة عن طريقة الأداء الجماعي للحداء.[2]

وقال حاد من الصايح من شمر:

الـخـربـة.. لـلـنـمـر الـصـيـود المـــــوت.. في جـيـلانـهـا
ربـعـي.. فـــروخٍ لـلأسـود إن ضـبـضـبـت خـيـلانـهـا[3]

وهذا حاد آخر يذكر شجاعة قومه، وأظنه مولى يذكر فعل أعمامه، فيقول:

يـا عـيـال شـــدّوا روسـهـن لمّـــا عـــامـــي يـلـحـقـون
لـبّـاسـة الـجـوخ الـحـمـر قـطّـاعـةٍ مـا يـرحـمـون

وروى السديري الأحدية السابقة أيضاً بصياغة أخرى، ونسبها لمولى للدريعي الشعلان كما نسبت لمولى ابن محيّا من عتيبة بهذه الصياغة:

يـا اهـل الـسـبـايـا روسـهـن لمّـــا عـــامـــي.. يـلـحـقـون
نـثّـــارة الـــدم الـحـمـر قـطّـاعـةٍ مـا يـرحـمـون
إلى تـــلاقـــن سربـــتـــين عـنـد المـحـارم يـلـتـقـون[4]

وتشابهها أحدية لحاد من القعاقعة من الرولة بهذه الصياغة:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص157، ولاحظ أن هذه الأحدية تشبه أخرى موجودة عند حديثنا عن غرض الدعاء.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص192.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص139.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص142.

نـــرحـــل، ونـــصـــلـــح زمـلـنـا لـجـل انّ اهـلـنـا.. يـرحـلـون
وقـــطـــعـــانـــنـــا تـــبرى لـنـا درهـــش لـهـم يـا ابـيـض عـيـون
نـطّـاحـة الـجـمـع الـثـقـيـل يـــوم الـلـقـا مـا يـرحـمـون[1]

ويقول حاد آخر:

حـنّـا عـمـامـك لـو رحـلـنـا يـا قِـــرد.. مـن نـنـزل عليه
بـحـرابـنـا يـامـا طـعـنّـا وكـم فـــارسٍ صـلـنـا عـلـيـه[2]

ومنه قول أحدهم يفخر بنسب قومه:

حـــنّـــا.. كـمـا صـــافي الـذهـب وابـيـض مـن الـخـام الـجـديـد[3]

وهذا قول لحادٍ آخر من شمر:

مـشـنـشـلاتٍ صـنـعـهـن بـالـديـر بـــاطـــرافـــهـــا.. لـــدن الـقـنـا
بـحـرابـهـن نـرمـي الـعـشـا للطير وكـــلٌّ شـكـا.. مـن ضربـنـا[4]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص144.
(2) الأغنية الشعبية لعطا رفعت، ص178.
(3) الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، ص46، والحسنة حماة الشبل وأسود النقعة لحسن المقبل، ص38.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص164.

التهديد:

يعدّ التهديد في حداء الخيل غرضاً ملحقاً بغرض بث الحماسة، لأنه يهدف إلى بث الرعب في نفوس الخصوم كتمهيد للمعركة، ومن أمثلة هذا الغرض اخترت النماذج الآتية:

يقول الشيخ راكان بن حثلين يهدد خصومه:

الـفـاطـر الـلـي مـا عليها وسـوم تـرعـى الـربـيـع، ونـيّـهـا تبنيه
عـطّـت بـريـحٍ.. كـنّـه اليشموم مـن فـوق غـرسٍ.. طـوّلـوا حاميه
مـاني بـسـبّـاب الـرفـيـق ارخـوم سـبّ الـعـرب مـا يـرتـفـع راعـيـه
يـا ويّ شـلـفـا حـدّهـا مسموم يـا ويـل.. مـن تـضـوي عـلـيـه[1]

وقال الفارس سعد بن حويلة العجمي يهدد خصوم قبيلته بإعادة الكرة:

لا تـحـسـبـوا.. شـديـدنـا بـنـزوح والـلـلـه.. نـحـاربـكـم قـريـب
تـرى الـخـطـر مـن بيننا مطروح مـن فـوق مُـومـيـة الـسـبـيـب[2]

ويقول الفارس سعد بن حويلة العجمي في أحدية نشم منها رائحة التهديد:

يا اهـل السبايا الـلي مع الأجناب مـا تـاخـذون اثمـانـهـا؟
أنـا، وربـعـي نـورد الـهـيّـاب والـــدار نـحـمـي اوطـانـهـا
دارٍ.. بـلا عـــزٍّ.. خـراب والـعـــزّ.. مـن سـكّـانـهـا[3]

وقال علي الضويحي السويط خلال حربه ضد الشيخ سعدون باشا السعدون (أبو ثامر):

والـلـه مـا اشبّيها تجيب حصان مـا دام (ابـو ثـامـر) حـريـب

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص114.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص131.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص131.

بـــاغٍ.. إلى جـا لـلـرمـك.. مـيـدان لـيـهـا تـــسـرّب عـــدوّهـــا تـسـريـب
إمّـــا يـنـجّـيـهـا رفـيـع الـشـان والاّ.. نـخـلّـيـهـا تـعـيـب[1]

وللشيخ لزام بن ظاهر أبا ذراع الظفيري يذكر منطقة (أبو عجاجة) التي حضر فيها ستة أكوان (حروب)، وقال يهدد بالكون السابع:

(أبـــو عـجـاجـة) وش بـلاك صـــارت بـــراســـك.. رابـعـة
أكـــــوان ســتّـة مـطـبـقـات وبـعـد عـلـيـك الـسـابـعـة[2]

وقد نسبها السديري للشيخ عجمي السعدون بهذه الصياغة:

يـا بـو عـجـاجـة يـالـوزيـر ثـــارت بـــراســـك رابـعـة
ســتّـة عـلـى راســـك مـضـن وبـقـت عـلـيـك الـسـابـعـة[3]

ويقول الفارس شعلان الصران من القشعم يهدد أحد خصومه الشجعان، وهو الشيخ علي الضويحي السويط:

شريـــت حـمـرا مـن الـرمـك بـــشّر (عـــلي) بـحـيـالـهـا
والـلـه ان تـلاقـن سربـتـين عـلـيـه لارخـــى حـبـالـهـا[4]

وتروى أيضاً بهذه الصياغة:

يـا مـــوضّي لابـــن صرّان وصـيّـتـك مـا شـالـهـا
يـا عـلي جـتـنـي مـنـوقي وابـــــشرّك.. بـحـيـالـهـا
والـيـا.. تـلاقـن سربـتـين عـلـيـك لارخـــي حـبـالـهـا[5]

وهي تشبه أحدية نسبها السديري لعبد الله البجيدي هذا نصها:

يـا مـا حـلا هـذب الأصـيـل كـنّ الـعـدو.. دعـا لـهـا

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص261.
(2) مجلة المختلف، ع160، ص111.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص244، وأبو عجاجة اسم موقع.
(4) شبكة العراق الثقافية على شبكة الإنترنت.
(5) منتديات ملتقى الظفير الرسمي، ورواية عن أبي (يرحمه الله).

والى تـــلاقـــن.. سربـتـين عـــلّي ارخـــــاي حـبـالـهـا
مـتـسـلّـحٍ.. شـلـفـا سـنـين جـدع المـجـوّخ فـالـهـا[1]

ويقول العاصي الجربا مهدداً، ورافضاً الصلح:

يـا ونّـــــــة.. ونّـيـتـهـا بـاقـصـى الـضـمـايـر تـسـتـديـر
ضـيّـعـت انـا طـير الـحـبـاري وقـنـصـت بـالـفـرخ الـصـغـير
لا زال ربـعـي يـركـبـون الخيل الـصـلـح، والـلـه مـا يـصـير[2]

ويقول عبيد الشريعيب الشمري يهدد بعض خصومهم في الغزوات التي أعقبت دخول السيارات للبادية العربية:

تـبـاشروا في شـوفـة الـتـنـبـيـل فـرحـوا يـحـسـبـونـه مـسـاك
لـحـقـهـم الـشـيـخ الأصـيـل يـا حـسـين مـا هـذا هـذاك
وان طـعـت شـوري يـا هبيل ازبـن عـلـى الـقـريـة.. وراك[3]

ويقول الفارس نون الحيال البدري يهدد الشيخ عجمي السعدون المتحالف وقتئذ مع الوالي التركي، وهو المقصود بوصف (المدير)، فيقول:

أمّ الـعـلا عـيّـوا بـهـا الـيـتـمان نـقّـالـة الـشـلـفـا الـشـطـير
نـبـغـي نـــطـــارد عـمّـنـا خـل يـنـفـعـه حـكـي المـديـر[4]

وقال الشيخ يوسف بن حسيّا الرفيعي يذكر جمله (بيّوض) متحدياً الحملين، وهم (شمر، وزبيد) عندما طالبه الشيخ العاصي الجربا برد خيل كسبها في إحدى الغزوات:

حـمـلـيـنـكـم مـا كـلّـفـن بـيّـوض يـرتـع بـهـن.. هـن والـرديـف
لـعـيـون بـيـــضٍ.. فـرّعـن ردّ الـنـقـا طـبّ المـضـيـف

وقال يوسف بن حسيا في نفس المناسبة:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص229.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص202.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص237.
(4) عشائر العراق لعباس العزاوي، ج1، ص95. واليتمان هي عزوة عشائر الأجود من المنتفق.

يـالـعـاصي مـا نـــدّي الـرمـك مـــن فـوقـهـن نـاخـذ هـبـوب
نـطـعـن، ونـدمـي حـرابـنـا لـعـيـون مـن ردنـــه عـبـوب[1]

وقال محمد الصغير شاعر العرضة المعروف في مدينة عنيزة عندما فشلت مفاوضات الصلح بين الملك عبد العزيز، وقادة الأتراك سنة 1322هـ (1904م) إبان موقعة البكيرية، وهي عرضة على وزن الحداء:

بـايـمـانـنـا.. لى جـا المـشـير الـسـيـف مـع بـارودهـا
الـصـلـح مـا والـلـه يـصـير بـــوّاقـــةٍ.. لـعـهـودهـا
(الـــروم) جـتـنـا.. لـه زفـيـر وبـــلادنـــا.. مـقـصـودهـا
مـن دونـهـا الـسـيـف الـشـطـير مـا هـي بـــورث جـدودهـا
لـعـيـون.. لـبّـاس الـحـريـر عـــذرا تـقـضّ اجـعـودهـا[2]

وقال الشيخ حامد بن زهيميل المطيري يهدد، وهو في طريقه لإحدى الغزوات:

والله، وانا حامد لاصبّح في المضيق لاصـبّـح الـريّـان، واهـــدّد بناه
وامّ الـعـيـال انّي لاخلّيها حريق والسوق الاقصى لا تمدرا من وراه[3]

ومن التهديد أيضاً هذه الأحدية للشيخ هذال بن فهيد الشيباني العتيبي حيث يقول خلال إحدى غزواته البعيدة:

خـمـسـين لـيـلـة.. مـقـبـلـين والـــزمـــل نـــرقـــع في حـفـاه
مـــن هـــجـــر نـــبـــي حـقّـنـا وطـــويـــق ورّكـــنـــا عـــلاه[4]

وهذه أحدية لابن مشنوطة العتيبي، ولعله (طاحس) كما رجح سليمان الحديثي، وقالها يهدد بعض خصومه:

حـــدّيـــت لـظـيـا عـنـد نـاشي شـلـفـا.. يـطـرّقـهـا وريـــع

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص130.
(2) من شعراء بريدة لسليمان النقيدان، ج2، ص46.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص71.
(4) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص108.

الـــحـــرب بـــرقـــه بـالمـنـاشي صـلـحٍ مـضى مـا سـدّ ريـــع[1]

ويقول الفارس دخيل بن رديني بن قويد الدوسري مهدداً:

جـيـنـاك مـــن وادي الـغـضـا نـتـبـع.. لـحـمّاي الـبـلـيـد
مـــن فـــوق زيـــنـــات الـحـذا يـا ويـل مـن هـو لـه ضـديـد[2]

وقال دخيل بن رديني بن قويد مهدداً أيضاً:

يـالـلـي تمـنّـى حـربـنـا حـنّـا لـحـربـك نمـتـنـي
نـــروي مـقـاديـم الـقـنـا لـعـيـون مـن ركـب الـحـنـي[3]

وقال الشيخ بداح الحطيم الغبيشي الدوسري يهدد، ويتمنى حضور غزوة فاتته:

لـعـيـون ذودٍ زيـع.. بـالإصـلاح ردّ الـــبـرا لي.. يـا شـبـيـب
لـيـتـي جـذبـنـي يمّـتـه صـيّـاح مـن فـوق قـبّا مثل لـون الذيب
إن كـان شـيـخ الـقـوم مـنّـي راح حـقّـي مـن الـدلّـة.. سـريـب[4]

ومنه أيضاً قول دشين بن سلطان الحقباني العتيبي خلال حرب اليمن الأولى:

يـا واصـــلٍ مـنّـا زبـيـد قـل لـه نـبـا صـنـعـا وراه
إلى نـــوى بـكـرا الـشـديـد الـطـيـر نـطـرح لـه عـشـاه
المـــوت مـعـنـا فـــ الـحـديـد والـــســـمّ يمـشـي في قـــراه
مـن مـات مـنّـا هـو شـهـيـد والـــروح مـا نـدرا عـــلاه[5]

وهذا الشيخ ضيف الله الذويبي يهدد خصمه مؤكداً رفضه الارتحال عن مكانه في (أبي مغير) إلا أن ترتحل هضبة رحية إلى الرحران، وهو مطلب مستحيل، فيقول:

عـلـيّ اشـبّ الـنـار.. حـيّـة لـيـا دنـهـرت نـار الـهـدان

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص185.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ص100.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص 100.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص73.
(5) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص51.

قولوا لي: الهضبة رحيّة تشدّ يمّ الرحران[1]

ورواها فايز البدراني بهذه الصياغة:

قولوا للهضبة رويّة تشد، وتزبن رحرحان
حنّا نشبّ النار حيّة ليا همّدت نار الهدان
للعدّ.. ماجوبٍ عليّه عدٌّ لنا.. طول الزمان[2]

وعن افتداء وادي الرمه بالأرواح يقول علي الزقيعا الحربي مهدداً:

اللي يبي وادي الرمه تايه ولا عنده دليل
أرضه.. عليه محرّمة بربعي كعام اللي يعيل[3]

وقال الشيخ مشعان بن بكر العنزي مهدداً:

يا طارشي يمّ الخصيم عن حربنا.. يرجع ورا
لابدّ.. من يومٍ عظيم يدري به اللي ما درى[4]

وهذه أحدية منسوبة لابن مهيد في مخاطبة الشيخ جديع الهذال يقول فيها:

يا جديع والله ما نام حتّى يطير اغبارها
النوم.. بعيوني حرام وحصة ما خذنا ثارها[5]

وقال الفارس عويدات الخمشي العنزي يهدد بعض خصومهم:

يالي تحاول ذودنا بشرّ خويّك.. بالفلس
إمّا قتيل سيوفنا والاّ.. ربيطٍ بالمرس[6]

وقال عماش الدويه العنزي يخاطب بعض خصومهم:

(1) عالية نجد لسعد الجنيدل، ج2، ص596.
(2) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص187.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص268.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص58.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص59.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص275.

يالي تمنّى حربنا حنّا عمى عين الحريب
بالكون يعرف ضربنا يبحل معالجة الطبيب[1]

ويشبه أولها أول أحدية لحاد من شمر بهذه الصياغة:

يالي تمنّى حربنا من حربنا.. ما تستفيد
لازم تواجه ضربنا بالسيف مصقول الحديد[2]

وقال غافل بن مهمّل العنزي يهدد أحد خصومه:

والله لولا حكم الإمام والله.. ما تنزل جوّنا
نودع بيوتك كالهدام ومحاربك ما همّنا[3]

وقال عضيب بن مسيلط السبيعي يعد امرأة من قبيلته بإعادة إبلها إليها بعد أن كسبها الخصوم في غزوة لم يحضرها:

العذر من راعي العفر لوفي على وسق الجموح
والله ان يردّ لها العفر علمٍ تشوش به الطموح[4]

ويقول الشيخ مشرف الدندل من شيوخ العقيدات في منطقة البو كمال بسورية يخاطب خصمه (القشولي):

يا القشولي عقلك ضليل ماني رغيب لسوقها
أبغي ليا هاب الذليل أرمي المدرّع فوقها[5]

وهذا حاد من قبيلة النعيم في قطر يقول على لسان شيخ النعيم ناصر الجبر، ويهدد خصومهم متعهداً بعدم إبرام الصلح قبل إطلاق سراح حاكمهم الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني من سجن البحرين، وذلك قبل واقعة (دامسة) سنة 1284هـ (1867م):

حرّم عليك الصلح منّا ما دام قاسم في الحديد

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص269.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص155.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص278.
(4) سبيع الغليا لخالد القريني، ص221.
(5) ملف وسم مجلة المختلف، سبتمبر 1999م، ص12، وفي الأصل: (بيو عقل ظليل).

لابـــــدّ.. مـــا تـــارد سـفـنّـا بـالـسـيـف مـصـقـول الـحـديـد[1]

وقال حاد من شمر متمنياً حدوث الحرب، ومهدداً:

الـــحـــرب الاوّل فـاتـكـم نـبـي لـنـا حـــربٍ جـديـد[2]

وهذا قول لحاد من شمر يهدد خصمه:

يـــالـــلي تمـــنّـــى حـربـنـا غـويـت يـا غـــاوي الـدلـيـل
كـــم واحـــــدٍ مـــن ضربـنـا دمّـــه عـلـى الـشـلـفـا يـسـيـل[3]

ويقول حاد من شمر مهدداً خصومه:

تـــنـــزّحـــوا.. عـــن جـوّنـا روحـــــوا عـــن الـــديـــرة يمـين
نـبـيـه.. لـــــدقّ انـيـاقـنـا شـــقـــحٍ.. تـجـاذبـــن الـحـنـين

وتشبهها أحدية للشيخ سعدون العواجي سترد ضمن النقائض.[4]

وهذا حاد من الأحامدة من قبيلة حرب لعله شيخهم سعد بن جزا يهدد شريف مكة عبد المطلب بن غالب بن مساعد خلال حربهم سنة 1268هـ:

قولوا لعبد المطلب سيد الجميع ما همّنا جمعه ولا جمعٍ وراه
إن كـان يبني للقلَع حتى نطيع حنّا قلعنا الضلع بانيه الإلـه[5]

وروى العبيد في (النجم اللامع) البيت الثاني بهذه الصيغة:

إن كـان عنده قصر تبنيه اليمين فانا عندي قصور بانيها الإلـه[6]

وتشبه الأحدية السابقة في غرضها قول حاد من قبيلة حرب أيضاً يهدد شريف مكة:

شريـــف مـا نـعـــرف شريـف مـــا نـعـــرف الاّ.. ربّـنـا

(1) التحفة النبهانية لمحمد النبهاني، ص126.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص17.
(3) تاريخ نجد لأمين الريحاني، ص223، وذكر الريحاني أنه سمع نساء شمر في معركة جراب يتغنين بهذا الحداء لتحميس المقاتلين.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص152.
(5) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص54.
(6) النجم اللامع لمحمد العبيد، ص105.

نـعـبـا لـه الـصـبّ الـنـظـيـف لي مـا نـصـفّـي حَـبّـنـا[1]

وهذا حاد من عشائر المنتفق يهدد عبد الكريم المشري خلال حربهم سنة 1322هـ (1914م) عند بلدة الزبير، فيقول:

يـا طـــارش لـعـبـد الـكـريـم اســلــم، ولا تــسـلّـم عـلـيـه
إن قـــدّر الـلـه الـعـظـيـم مـن الـصـبـح إنـصـلـهـا عـلـيـه[2]

ومثله قول حاد من المنتفق يخاطب شيخه ناصر الأشقر بن راشد السعدون (أبو علي) عند تحويل مشيخة المنتفق إلى قائمقامية في زمن منصور باشا الأخ الأكبر لناصر، ويهدد بقتل العساكر الأتراك الذين دخلوا سوق الشيوخ:

يـا (بـــو عـــلـي) يـالـمـوردة أمـــيـرنـــا.. صـايـر مـديـر
ذبـــح الـعـســاكـر.. فـنّـنـا وش عـاد لـو جـانـا الـمـشـير[3]

وهذا حاد من قبيلة الظفير يهدد خصومه بمعركة مقبلة، ويذكر أرضهم (كلاوة) في بادية العراق، فيقول:

(كـــلاوة) يـا بـنـتٍ هـنـوف تـومـي لـنـنـا.. بـردانـهـا
الـلـه عـلـى يـــومٍ تـصـير عـــجّ الـرمـك بـركـانـهـا[4]

وهذا حاد من الرولة يهدد بقتل سرايا جنود الترك (السواري)، فيقول مخاطباً قائد الأتراك ممدوح باشا:

مـمـدوح والـلـه مـا نـروح نـهـوش دون ديـارنـا
لـعـيـون مـن قـرنـه يـلـوح ذبـح الـسـواري كـارنـا[5]

وقال حاد من الدهامشة يهدد خصمه:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص184.
(2) التحفة النبهانية لمحمد النبهاني، ص223، وأصل صدر البيت الثاني: (وان قدر الله والرسول).
(3) إمارة المنتفق لحميد السعدون، ص194، وليس لناصر الأشقر (باني مدينة الناصرية) ولد اسمه (علي)، ولكنها كنية عامة لكل من اسمه (ناصر).
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص158.
(5) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص79: عن موسيل.

يـا راعـــي الـوضـحـا الـسـمـين الـــجـــربـــا.. حـــذرا تـشـاربـه
والى تـــلاقـــن سربـــتـــين الـشـيـخ.. نـدقـم شـاربـه[1]

ومن الأحديات الطريفة قول حاد مجهول يهدد من أجل استرجاع ناقة جارته:

أريـــــــد.. نـــاقـــة جـــارتي مـثـل الـــوَغَـد لى قـال اريـد
إن كـــان تـدعـى الـنـونـنـة أنـا ادّعـــي فـــارس عـنـيـد[2]

ونسبها السديري لحاد من البدور بهذه الصياغة:

إن مـــا جـلـيـنـا عـارنـا نـحـسـب مـن حـسـاب العبيد
نـــريـــد نـــاقـــة جـــارنـــا مـثـل الـوغـد لى قـال اريـد
حـنّـا حـمـيـنـا ديـارنـا وبـايمـانـنـا صـافي الـحـديـد[3]

وأثناء الذهاب للغزو كان بعض المحاربين في بادية الشام ينشدون مهددين خصومهم:

مـن شـاعـر جـيـنـا صـايـلين تـسـمـع رزيـــز امـهـارنـا
إن سـاعـف الـلـه الـكـريـم بـالمـيـزر نـاخـذ ثـارنـا[4]

ويقول حاد يهدد خصمه:

ذيـــبٍ عـــوى بـديـارنـا وديـــــار حـيّـانـه وراه
إن مـــا.. حـمـيـنـا دارنـــا والاّ نـجـوز مـن الـحـيـاه[5]

ويقول حاد مهدداً بعض خصومه:

يـالـلـي تـــدور اركـابـنـا حـنّـا عـلـى عـمـرك نـدور
مـن ذاق.. كـون احـرابـنـا يـجـزع، ولـو انّـه صـبـور[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص137.
(2) الموسوعة النبطية الكاملة لطلال السعيد، ج2، ص148، والنونة كما يبدو تعني الشجاعة، والوغد هو الطفل الصغير.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص194.
(4) عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا، ص314، وحداء الخيل لأحمد العريفي، ص115، والميزر من أنواع البنادق.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص160، وروى الدويش صدر البيت الأول بهذه الصياغة: (يا زايرٍ لديارنا)، ص143.
(6) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش. . ص143.

ويقول حاد يهدد قائد خصومهم:

حـمـرا تـراقـص بـالـحـديـد تـقـعـي عـلـى عـرقـوبـهـا
إن مـا ذبـحـتـك يـالـعـقـيـد يـحـرم عـلـيّ اركـوبـهـا[1]

ويقول حاد مهدداً خصمه:

يـا نـاصـر بـكـرة جـارنـا تـلـفـي عـلـيـكـم بـالـذهـاب
كـل يـوم حـمّـالٍ يـشـيـل حـنّـا ويـاكـم لـلـقَـلاب[2]

ويقول آخر مهدداً:

يـالـلـي تـلـوبـد بـالـشـعـيـب مـا عـنـدنـا الاّ سَـبـعـكـم
نـرمـي الـعـشـا لـلـذيـخ الاطـوق ونـطـرح.. قـعـيـدة ربـعـكـم[3]

ويقول حاد من بادية الشمال مهدداً:

يـالـلـي تـقـول انّـا افـطـحـة سـلّـم.. بـبـلـعـومـك نـصـير
صـايـر قـطـع.. مـا بـيـنـنـا ياكل (خـ..) الـ يطلب قصير[4]

(1) الخيل عند العرب عز وكبرياء لأحمد محارب، ص١٧٧
(2) رواية عن أبي (يرحمه الله).
(3) ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد لأبي عبد الرحمن الظاهري، ج3، . ص126.
(4) رواية عن أبي (يرحمه الله).

التحذير:

إن غرض التحذير يشبه التهديد، ولكن له خصوصية تميزه، فهو ألطف من التهديد، ولذا فرزناه في غرض مستقل، وهذا ما توضحه الأمثلة التالية التي اخترناها من الحداء:

نبدأ مع قول الفارس تريحيب بن نايفة الهاجري محذراً:

ترى الحبر كمّل القرطاس — كثر المساول.. ما يفيد
أخذ الخبر يا شيخنا من راس — وخلّ المحاوس.. من بعيد[1]

ويقول الفارس مشاري بن عبد الله بن ثامر السعدون يحذّر ابن عمّه الشيخ ناصر باشا بن راشد بن ثامر السعدون، ومعاتباً خلال جفوة بينهما:

انته ولد راشد يا شيخ — وانا ولد عبد الله اخوه
بالك تجسّرني عليك — مثل الولد لى طقّ ابوه[2]

ويقول الشيخ ظاهر بن قاف أبا ذراع الظفيري محذراً، يخاطب أبا العلا العصيمي:

اذكر لهم.. شلفاً شطير — ليا جيتهم يا با العلا
يا ما حلا نسّ العشير — عقب المودّة والغلا[3]

ويقول الفارس شطّي بن فهد بن رمال الشمري يحذّر أحد خصومه، ويفخر بقومه، وذلك خلال إحدى المعارك:

اركب على الحمرا الذنوب — حمرا، واصيل معرّبة
عن حربنا لازم تتوب — وشجاعكم ما قرّبه

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص50.
(2) حكايات عن المنتفق لحميد السعدون، ص198.
(3) عقود الجواهر في المختار من تراجم فرسان العرب الأواخر لطلال الشمري، ص148.

لي هدّةٍ.. تدري بها — كان السبايا سرّبه[1]

وقال الفارس محسن بن قاعد العنزي الملقب بـ (رخيص الروح) محذراً من الغفلة، وقد كرّر قافية العجز:

اقعد تنبّه.. لا تنام — النوم لا يطري عليك
احرص طويلات السنام — الوضح لا تلوم عليك[2]

ويقول طالب الجويعان العنزي يحذر بعض خصومهم من قبائل الشمال من قرب هجوم العواجي شيخ ولد سليمان من عنزة عليهم، وهو تحذير ممتزج بالتهديد:

يا هيه.. يا راعي الذلول — نادي السبايا.. نادها
الوْلد جوك من الجنوب — ولد العواجي.. قادها[3]

وقال شباب بن بنية الرويلي عندما سرقت بندقيته، وهو هنا يحذر سارقها من العقاب:

قولوا لمن خذا البارود — قبل الصباح يجيبها
ربعي هل العليا سنود — ما ينتصر حرّيبها[4]

ويقول عماش الدويه العنزي يحذّر خصومه من التفكير بمهاجمة إبله:

الفطّر اللي عندنا — حاميها عمّن غزا
واللي يجينا عندهن — الموت.. منّا له جزا[5]

ويقول شارع بن زبار الغويري العتيبي محذراً خصومه:

تسعين ليلٍ.. بالشمال — لين اكتبر عشب الجنوب
جايٍ.. على الشقحا عدال — يفرح بها الداعي النصوب
نرعى بها، ونحقّق الأفعال — ليا هابها الشيخ الهيوب[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص158.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص27.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص184.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص167.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص269.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص152.

وهذا حاد آخر يحذر من سطوة فارس يدعى (سعدون)، ولم يذكر عبد الله الدويش راوي الأحدية المقصود بها، ولعله يعني سعدون باشا بن منصور شيخ المنتفق، فيقول:

بـالـك تـوهّـق، واتـعـبر سـعـدون واقـف بـالـطـريـق
مـتـعـلّـمٍ.. أكـل الـهـبر كـل يـوم سـاكـن لـه فـريـق[1]

ويقول حاد يحذر أحد قادة الأتراك، وينصحه بعدم التعرض للعشائر العربية، ويذكر أن عليه الانكفاء في (القشلة) أي الحصن، فيقول:

يـا (بـاشـا) غـارن خـيـلـكـم وصـلـن.. وردّن بـعْـجَـلـه
ارجـع، وصـلّـح قـشـلـتـك وخـلّ المـراجـل لاهـلـه[2]

ويقول حاد من شمر يحذر من قرب نشوب الحرب:

يـا نـايـمٍ.. نـوم الـفـهـد الـحـرب.. جـت رسـايـلـه
الـحـرب يـبـغـى لـه ولـد يـصـبر عـلـى.. مـلايـلـه[3]

وتشبهها أحدية لمجهول بهذه الصياغة على قافية أخرى:

يـا نـايـمٍ نـوم الـفـهـد لا تـقـعـدون الـنـايـمـة
عـطـوا الـعـشـايـر حـقّـهـا والـروح مـا هـي دايـمـة

وقال حاد من شمر يحذر خصمه، وينصحه بترك القتال:

يـا راعـي الـشـلـفـا الـعـريـض خـذ لـك عـسـيـب، وخـلّـهـا
عـيـبٍ عـلـيـكـم.. نـقـلـهـا لى عـاد مـا تـمـلّـهـا[4]

ويقول حاد آخر يحذر أي معتد على إبله، فيقول:

مـن هـو يـجـفّـل فـاطـري وجـدي عـلـى سرّاقـهـا

(1) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص145، ولديه في الشطر الأخير من غير مفردة (له)، وزدناها لاستقامة الوزن.
(2) الخيل عند العرب لأحمد محارب، ص177.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص162.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص162.

يـنـقـل حـتـوفـه، واكـفـتـه الـلي يـجـي لـفـراقـهـا[1]

وقد نسبها السديري للشيخ يوسف بن حسيّا الرفيعي بهذه الصياغة:

مـحـدٍ يـقـرّب فـاطـري وايـدي عـلـى سرّيـقـهـا
الـلي مـولّـم خـامـتـه يـنـحـر مـحـاري فـلـيّـهـا[2]

ويقول حاد آخر محذراً:

يـا طـارشٍ.. يـمّ المـعـادي قـل لـه تـرى الـنـشّـة وراك
بـقـت اسـودٍ، والمـسـلـماني يـوم انّ ربّـك مـا هـداك
يـوم انـت.. في سـنّ الـجـهـل الـلي وطـا غـيـرك.. وطـاك[3]

(1) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص144.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص133.
(3) ديوان الشعر العامي لألبرت سوسين، ص77، وكلمة (المعادي) زيادة من عندي، وإلا ففي الأحدية لقب لشخص لم أؤثر توضيح اسمه.

التحريض

هناك أحديات كثيرة ترد في التحريض على القتال، وقد اخترنا بعضاً منها:

قال عبيد بن تمر الشريعيب الشمري عندما كان نازلاً مع الفدعان من عنزة، يحرضهم على القتال:

يـا مـا حـلا.. عـزل الـكـمـين ... بـالـردّة. فـوقٍ مـن عـلي
ويـا مـا حـلا.. نـهـار الـيـوم ... شـفـتـه.. بـأيـام اجـهـلي
أبي مـع اوّل الـفـدعـان ... أفـيـض غـيـظـي، وازعـلي[1]

وقال الشريعيب يحرض الشيخ محروت بن فهد بك الهذال على القتال:

يـا شـيـخ.. عـنـدي لـك نصيحة ... نـصـيـحـةٍ.. مـا ابي جـزاك
أشـوف خـيـلـك.. مـسـتريحة ... خـلّـيـتـنـا، وحـنّـا ذراك
حـنّـا لـكـم.. مـثـل المنيحة ... لابـوك، وجـدّك مـن وراك
وتـر ضـيـفـنـا خـاطـر ذبـيـحة ... إلـيـا تـعـشّـاني.. كـلاك
سـيـفٍ، ولا يـداوي جـريحة ... إلـيـا وطـا خـشـمـي وطـاك
وعـدوانـكـم مـا هـي صحيحة ... وبـقـلـوبـهـم.. كـذبٍ غـلاك[2]

وقال عبيد الشريعيب يشكو من تقلبات الدنيا، ويخاطب الشيخ عقيل الياور بعد أن أمره بترك التحريض على الحروب في شعره:

(عـقـيـل).. هرجي فضّة، وذهبان ... ولا حـكّـيـنـا.. حـكي الضعيف
الـحـكـم.. مـا دام لبني عثمان ... الـحـكـم.. لـلـخـالـق يـقـيـف

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص235.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص237.

والـحـكـم قـبـلـك زوّلـه سلطان ... نـهـج مـلَـط.. مـا لـه رديـف
واخـوات نـورة دشّروا بـرزان ... والـبـيـت.. خـلاّه الـشـريـف[1]

وفي التحريض على الأخذ بثأر ابنه (الهادي) يقول العاصي الجربا، ويذكر إبله المسماة (هبوب) التي غنمها خصومه:

هـبـوب تـذكـر عـنـدهـم ... حـلـوبـةٍ.. لاهـل قـنـاة
لابـدّ نـاخـذ ثـارهـا ... بـيـومٍ يـهـيـل المـرضـعـات
يـلـزم عـلـيـنـا ردّهـا ... فـرضٍ كـما فـرض الـصـلاة[2]

وهذا العاصي أيضاً يحرض حفيده (دهام بن الهادي) على الأخذ بثأر أبيه، ويقول:

تـركـت عـيـالي.. كـلّـهـم ... وانـخـاك يـا ولـد اوْلـدي
مـاكـر حـرارٍ.. مـن حـرار ... مـحـفـوظ، ولا عـرقـك ردي
احـذر تـنـبّـه لا تـنـام ... افـطـن لـحـقّـك لا ايْـغـدي[3]

وتشبه سابقتها هذه الأحدية للفارس سلطان بن جابر العزيز السعدون يخاطب ابنه بندر حيث يقول:

تـركـت عـيـالي كـلّـهـم ... وانـخـاك يـا بـنـاخـي امعـيـوف
عـن عـمـلـةٍ لابـد تـصـير ... يـا لـيـتـني حـيٍّ، واشـوف[4]

ويقول سعد بن دابس المطردي العنزي يحرض شيخه على الحرب، فيقول:

يـا شـيـخـنـا ويـش الـبـصـيرة ... ربـيـطـنـا.. كـزّ الـسـواد
إمّـا اشـتـروا ربـعـي.. ذخـيرة ... والاّ انـتـبـدّل قـربـكـم بـبـعاد
وان صـمّـل الـعـايـل هـديـره ... نـجـيـه.. بـالـعـلـم الـوكـاد[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص234.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص201
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص207.
(4) رواية عن أبي (يرحمه الله).
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص132.

وقال غانم اللميع العنزي يحرض الشيخ ندا بن ضبيان على القتال:

يـــا (نـــــدا) شـــبّـــوا نـــارهـــا كـــان انـــت شـــيـــخٍ لـلـجـهـام
حـــنّـــا.. مـــقـــابـــيـــس الـــبـــلا والمـــنـــســـدح خـــلّـــه يـــنـــام[1]

وقال غانم اللميع العنزي يحرض شيخه على القتال:

يـا شـيـخـنـا، وابـنـي المضيف حـطّـه لـنـا بـــراس الـعـلاه
مـــا مـــن ســـهـــال مـبـحّـصـة إمّـــا وَدي، والاّ زكـــاه[2]

وهذا حاد من بني صخر يحرّض شيخهم طلال الفايز (أبو اعبطان) على مقاتلة قبيلة الحويطات، فيقول:

أمـــيـــرنـــا يـــا بـــو اعـــبـــطـــان عـــلى بـــو تـــايـــه صـــلّـــنـــا
إمّـــــا.. نـــــردّ ابـــكـــارنـــا وامّـــــا.. نـــذبّـــح كـــلّـــنـــا[3]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص279.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص280.
(3) قبيلة بني صخر لخالد المطيرات، ص134.

وصف الانتصار على الأعداء وأحداث المعارك:

وجدت ضمن أحديات الخيل العامية عدداً منها يصف الانتصار على الأعداء، فأفردت نماذج منها في غرض مستقل، لأنها لا تندرج مباشرة في الأغراض الأخرى، ويتضح للقارئ ذلك من الأمثلة التي جمعتها، فبعد عودة الفرسان من ساحة المعركة منتصرين كانوا يرتجزون الأحديات يصوّرون بها ما حدث في تلك المعركة، ويصفون انتصارهم، وهزيمة خصومهم.

ونبدأ مع هذه الأحدية لشاعر الظفير المعروف سند بن مرزوق الحشار التي قالها بعد إحدى المعارك في بادية العراق:

بـــدويـــحـــس طـــيّـــرنـــا الـــكـــتـــام خـــيـــلـــنـــا.. تـــطـــارد خـــيـــلـــهـــم
خـــمـــســـمـــيـــةٍ جـــونـــا تـــمـــام عـــنّـــا.. تـــوخّـــر شـــيـــلـــهـــم
يـــنـــخـــون حـــمـــزة، والإمـــام و(قـــبـــة عـــلي) تـــومـــي لـــهـــم[1]

ويقول سند الحشار أيضاً يصف ردّهم لغزو أتاهم:

غـــســـلٍ يـــغَـــسْـــل اسروجـــهـــن مـــا وقّـــعـــوهـــن لـــجـــهَـــلـــه
جـــونـــا يـــبـــون اذوادنـــــا واذوادنـــــــا.. عـــنـــده هـــلـــه
والـــشـــيـــخ خـــلـــيّ بـــالمـــداس ضربـــة عـــديـــمٍ.. بـــزعـــلـــه
مـــن ذاق ضرب احـــرابـــنـــا يـــســـهـــج خـــويّـــه بـــعـــجـــلـــه[2]

ونسبها السديري للفارس جراح بن حزيم الظفيري.[3]

ويقول أمير من آل سعود يصف ابن عمه الملك عبد العزيز، ورجح السديري أن قائلها

(1) الذكريات الخالدة لشباط الظفيري، ص111.
(2) الذكريات الخالدة لشباط الظفيري، ص111.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص61.

هو الأمير سلمان بن محمد بن سعود بن فيصل آل سعود يصف معركة روضة مهنا سنة 1906م التي قتل فيها الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد:

نمـــرٍ.. مـن (الـــعـــارض).. عـدا — نمـــــرٍ.. مـخـالـيـبـه.. تـخـيـف
نمـــــرٍ.. عـــثـــا.. في صـيـدتـه — بـــين الـــخـــوابي والـــصريـــف
لـو ان (إبـــن مـتـعـب) شـجـاع — ذريـــف، وصـــيّـــاده.. ذريـــف
الـشـيـخ.. خـــلّي.. بـالمـداس — يـــوم اشـمـلـت خـيـلـه صفيف
هـــزيمـــةٍ.. وقـــت الـسـحـر — كـسـب بـهـا راعـي الـعـسـيـف[1]

وقال عبد الله بن أجباص من أهالي قرية الرس يصف أحداث موقعة الجديدة التي جرت سنة 1226هـ بين الجيش السعودي وجيش طوسون باشا، وهي من الأحديات القديمة تاريخياً:

يـا بـو كـفـوفٍ.. خضّبت بالحنّا — مـا شفت يـومٍ في مـلاوي الخيف
يـوم المـدافـع بـالـعـجـل.. يحدنّا — والشمس غابت والقمر ما شيف[2]

وهذا الشيخ ناصر بن عمر بن قرملة القحطاني يصف مشاركته في فتح الأحساء سنة 1331هـ تحت راية الملك عبد العزيز آل سعود (أبو تركي)، ويذكر هزيمة الحامية التركية:

في شـفّ ابـو تـركي نـقـود الخيل — في كـنّـة الـجـوزا.. مـع المـظـماه
نـسـهـج قـوايـلـهـا ونـسـري الليل — والـلـي قـعـد مـنّـا، فـلا نـتـنـاه
والـحـكـم عـدّلـنـاه بـعـد المـيـل — والـبـيـه.. حـوّلـنـاه مـن مـبـنـاه[3]

وقال الشيخ عشق بن زيد بن شفلوت القحطاني يصف نتيجة إحدى المعارك، وكسبهم لخيل خصومهم:

الـخـيـل سـبـعـة واربـعـين — مـا راح مـنـهـا الاّ ثمـان
لـعـيـون جـرعـات الـحـنـين — نـطـعـن بـحـدّات الـسـنـان[4]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص147.
(2) النجم اللامع لمحمد العبيد، ص10.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص97.
(4) عقود الجواهر لطلال الشمري، ص192.

وتروى الأحدية السابقة بهذه الصياغة:

يـا مـن يـبـشر هـل الـبـطـين — بـالـعـزّ.. هـو ويّـا الأمـان
الـخـيـل سـبـعٍ واربـعـين — مـا راح مـنـهـا الاّ ثمـان[1]

ويقول الفارس علي بن دهيم العازمي المتوفى سنة 1330هـ متأثراً بإصابته في معركة كنزان واصفاً إحدى المعارك:

يـا بـوي تـرى اطـيـب ربـعـنـا — اثـنـيـن، والـثـالـث طـريـح
هـــذي شرايـــد خـيـلـنـا — بـالـشـين والـعـلـم الـقـبـيـح
يـوم الـسـبـايـا.. رفّـعـت — أوحـيـت انـا سـمـري يطيح
يـا مـن يـبـشّر عـشـقـتـي — طـرحـت انـا الـعـود المـلـيـح[2]

وقال عواض بن قبيل القثامي العتيبي يصف مناخ (عرجا) سنة 1313هـ:

يـا ليت (مـزنـة) حـاضرة وتشوف — نـهـار سـوّ المـوت.. في علمانها
حنّا على عرجا وهـي يـمّ اشعوف — يـوم الفرنجي يعتقب دخّـانـهـا[3]

ويقول ميشع القثامي العتيبي يذكر انتصارهم في إحدى المعارك:

يـا عـود مـوزٍ مـا يـداني اللمس — عـــلاه.. طـابـور الـحـرس واعـين
لـيـتـك تـنـاظـر في عـشـيّـة أمـس — يـوم انّ ربـعـي لـلـقـا.. حاسين
قمنا نـسـقّـط جـوفـهـنّ الخمس — لـين ادبـحـوا شيخانهم مقفين[4]

وهذه أحدية للشيخ براك بن سحمان الشيباني العتيبي يقول فيها:

الـجـيـش عـقـب الـهـوش ردّيـنـاه — كـلّـه لـعـيـنـا لابـس الـسـبـهـان
كـم عـيـطـمـوسٍ عـنـدهـم مشفاه — بـاكـر يجيهم بـالـخـبـر سـبـعـان[5]

(1) منتقى الأخبار لخالد القحطاني، ص170.
(2) شيوخ وشعراء لسعود الهاجري، ج2، ص308.
(3) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص73.
(4) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص100.
(5) شعراء عتيبة لمحمد العصيمي، ج2، ص102.

وهذه أحدية لمزيد بن تايب المقاطي العتيبي يصف فيها إحدى المعارك:

يـا طـــارشٍ مـنّـا تـــردّ اعـلـوم يـا ليـت ابـو تـركي بعينه شاف
الـخـيـل كّـدت مـثـل كـدّ الـروم سقنا المـزيّـن، والجموع ارداف[1]

ويقول الفارس ذيب بن شالح بن هدلان القحطاني يصف انتصاره في إحدى المعارك:

صـــاح المـصـيّـح بـالـبـنـات يـا اهـل الـسـبـايـا اظـهـورهـن
أحـــــدٍ تـــوطـــنّـــه، ومـــات وأحـــــدٍ نـجـا بـنـحـورهـن
كـــلّ الـــضـــواري عـيّـدت والـضـبـعـة تـاكـل سـورهـن[2]

وهذا شاعر القشعم الفارس شعلان بن صران يصف انتصار قومه في إحدى المعارك بعد سيطروا على مضارب خصومهم، فيقول مخاطباً ولده (الدرزي):

أوّل نـــهـــاري بـالـفـلاة والـــعـــصر انـــا بـديـرانـهـم
يـالـــدرزي عـمّـر لي سبيل ولّـــع لي.. مـــن نـيرانـهـم
قـالـوا لي شـالـوا بـالـعـتيم لاهـــل الـــعـــوا حـيرانـهـم[3]

وفي نفس الحادثة قال ابن خشفان الويسي القشعمي:

عـقـاب مـن غـوش الـعـلـم جـــوعـــان يـشـكـي ذيـبـهـم
خـــلّ ان تـلاحـق ربـعـنـا خـــاف الـعـدو يـبـدي بـهـم
عـاداتـــهـــم ردّ الـقـفـا لـــو بـطّـلـوا تـرتـيـبـهـم[4]

ويقول الشيخ مشاري بن عبد الله السعدون بعد أن استرد ناقة جارته (ضوية)، وقتل ناهبها، وعلق رأسه برقبتها:

نـاقـة (ضـــويّـــة).. زرفـلـت وراس (المـــعـــادي) طـوقـهـا
كـــم غـــروةٍ تـبـكي وتـصـيـح حـــنّـــا ذبـــحـــنـــا شـوقـهـا

(1) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص88.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص110.
(3) لكود القشعم لمحمد منير، ج1، ص307، ورواية عن أبي (يرحمه الله).
(4) لكود القشعم لمحمد منير، ج1، ص307.

الـــجـــارة.. شـقّـت جـيـبـهـا وحـــنّـــا نـخـيـط افـتـوقـهـا[1]

ويصف الشيخ شاهر بن مضيان الحربي إحدى المعارك، فيقول:

يـا سـيـف، يـا لـيـتـك تـشـوف يـــوم المـصـقّـل لـــه لمـيـع
يـا مـا حـلا ضرب الـسـيـوف بـرقـاب حـــيران الـربـيـع[2]

ويقول الفارس ضيف الله بن زايد الحماد الحربي يتحدث عن انتصارهم على قوم بدأوهم بالغزو:

أنـــا امـــس ادرّب مـهـرتي حـتـى وجـب وقـت الـغـيـاب
والـــيـــوم ردّت خـيـلـهـم بـيـن الـــقـــرارة والـهـضـاب
بـيـــومٍ مـن ايّـــام الـوغـى يـشـيـب لـــه.. راس الـشـبـاب
جـــونـــا.. يـبـون اذوادنـــا وحـصـيـلـهـم روس الـحـراب[3]

ولضيف الله بن زايد الحربي أحدية مشابهة يقول فيها، وهي أشبه بالفخر:

يـــوم انّي اشري مـهـرتي وابـيـع زيـنـات الـحـلـيـب
أبي.. مـــع اوّل سربـــةٍ أنـطـح بـهـا وجـــه الـحـريـب
ربـــعٍ.. مـضـارب شـلـفـهـم مـا فـاد بـه طـبّ الـطـبـيـب
الـشـمـس في يـــوم الـوغـى تـغـيـب بـه قـبـل المـغـيـب[4]

وقال التويجري من حرب بعد إحدى المعارك:

يـا جـمـعـةٍ.. راحـــت شرود وامـــيـرهـــم.. دجـنـا عـلـيـه
لـعـيـون راعـيـــة الـقـعـود الـــلي تـوصّـيـنـا عـلـيـه[5]

(1) رواية عن أبي (يرحمه الله)، وقد نسبها السديري لابنه عبد اللطيف بن مشاري السعدون، وفي الأصل بدل كلمة (المعادي) لقب انتساب لم أوثر ذكره.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص154.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص182.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص182.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص51.

ويصف الفارس ندا بن عقيل الوهبي الحربي تصديه لغزو أتى على إبل أبيه، فيقول:

يا عريج نايم ما دريت ... تقول.. حنّا بالأمان
لو انت من طيبك هقيت ... ما تعطي الدنيا.. ضمان
بغوا منايحك، وعصيت ... عارضتهم، والربّ اعان
يوم اعتزوا، وانا اعتزيت ... ما هبت.. ضرب الجبّخان
للقوم بيديني ثنيت ... لعيون مرصوف الثمان[1]

ويقول عبد الهادي بن سويد الحربي يذكر الفارس رباح بن غليفيص البدراني:

يالي تصوّت لك مجيب ... لا تحسب ان نجد استراح
الرمح.. بالأدنى يصيب ... رحتوا كساير.. من رباح
ذيب الشميطا له قنيب ... والوسن حطّه له.. مراح[2]

وقال الشيخ جهز بن شرار المطيري بعد إحدى المعارك، وقد كسب إبلاً من خصومه:

ملحٍ.. عليهنّ الوسوم ... الباب فوق ارقابها
يوم الحرايب، والزحوم ... أنا احمد اللي جابها
ترى الظلايم ما تسّر القوم ... في حظّ من يسعى بها[3]

ورواها السديري بصياغة أخرى هي:

سودٍ عليهنّ الوسوم ... الباب.. فوق ارقابهن
يوم الحرايب، والزعوم ... أنا احمد اللي جابهن
والاّ الظلايم ما تدوم ... في حظّ من يسعى بهن[4]

ويصف الشيخ عبد الله بن ماجد الهذال إنقاذه الإبل من أعدائه، فيقول:

(1) قبيلة الوهوب لخضر الحربي، ص240.
(2) منتديات البدارين على شبكة الانترنت.
(3) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص88.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص67.

اللي نووا في بوقنا ... من ضربنا راحوا دمار
يبون.. أخذتْ نوقنا ... ومن دونها ما من عذار[1]

ويقول الفارس سلامة الكاسب العنزي يصف معركة جرت عند (فيضة التنهات):

شرّ العمايير يا غشيم ... ذبح الرجال اثباتها
عركات بالعصر القديم ... وشهودها.. تنهاتها[2]

وقال ثاني خادم المهيد يصف انتصارهم، ويذكر ما فعله النوري بن مهيد في تلك المعركة:

السربة اللي بيّنت ... يا عبيد وش جرى لها؟
غنم، والنوري ذيبها ... لا ما تغازت.. جا لها
لشاشهم مثل الخشب ... لليل.. محدٍ شالها[3]

ويقول الشيخ دخيل بن الرديني بن شارع بن قويد الدوسري يصف إحدى المعارك:

يا من يبشّر.. ربعنا الأدنين ... الدحي.. خلّي زايفٍ مرعاه
نبته تجدّد.. توّ ما جا زين ... من فعل خيّالٍ.. تعرف اعزاه
لى من ركبنا.. ليّنات القين ... يا ويل.. من بنحورنا تاطاه
لى جا نهارٍ فيه شوف العين ... الطيّب اللي تظهره يمناه
كم شيخ قومٍ عندنا له دين ... يبكون قومه.. من بعد فرقاه[4]

ويقول صحين بن حويزي القويد الدوسري يذكر إحدى المعارك:

الشيخ.. درباه الغشيم ... ما ردّعوا له يوم طاح
حرٍّ.. جنيته من قديم ... وابيه.. لطيور الفلاح[5]

وقال الشيخ فدغوش بن شوية السبيعي يصف معركة جرت عند (خشم العان) قرب

(1) آل هذال لخلف بن حديد، ص88.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص140.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص52.
(4) شيوخ وشعراء لسعود الهاجري، ج2، ص71، وأحديات وألقاب لفايز الحربي، ص332.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص171.

الرياض، ويتمنى لو حضرها الملك عبد العزيز آل سعود ليرى فعلهم:

يا هيّةٍ من عند خشم العان — يا ليت (ابو تركي) يشوف
جهّالنا تركض على الدخّان — إن قابل الجمع الزهوف
إلى سلم فرّاج مروي الزان — اللي غدا.. جعله ذلوف[1]

وهذا حاد من الحوازم من قبيلة حرب يصف شدة إحدى المعارك التي خاضوها، ولا يبدو أنها انتهت بانتصارهم، فيقول:

يلومنا يا ربعنا من لا حضرنا — من لا ندر معنا البرح هاك النهار
يغيب عنّا ما يجيه الاّ خبرنا — يشرب حلا. يوم انّنا نشرب مرار[2]

ويقول حاد من الرولة يصف فعلهم بأعدائهم:

يا هجمةٍ.. عندها حرّاس — والموت.. عند اركانها
ياما قطعنا عندها من راس — ما درهمن.. حيرانها

وذكر السديري أنها رويت له أيضاً بهذه الصياغة:

يا هجمةٍ.. دونه حرس — والموت.. عند اركانها
من دونها قطع النفس — إن درهمن حيرانها[3]

وقال حاد من الرولة بعد مقتل (النعواشي) شيخ السردية:

يا طارشٍ.. للجندلي — اسلم، وسلّم لي عليه
ارع (النعواشي) بالبطين — وامهارنا.. راجن عليه
حنّا خذينا.. ثارهم — لعيون من نطري عليه

ويقول حاد من السبعة يصف نتيجة إحدى الغزوات:

غزو القراري روّجتْ — بين الرويشد والجضيع

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص289.
(2) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص241.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص140.

يا غزوةٍ.. ما فوّدتْ — أيتم بها.. ميّة رضيع[1]

وقال حاد من الفردة من حرب يصف إحدى معاركهم:

مهارنا.. داجن على (جمعان) — خيّال زينات الرطين
وذيب الخلا.. يقنب على (ماوان) — بين العجاجة، والبطين[2]

وقال حاد من شمر يصف إحدى المعارك:

جمعٍ تزبّر، واحتمى الميدان — والذيب.. يتبع جرّته
وسميّته هلّت على عذّال — حتى الهواوي قشّته[3]

ويقول حاد آخر يتحدث عن هزيمة أحد خصومهم:

بنت (الشرابي) صيّحت — شقّت.. جديد اثيابها
والدقّة الصارت عليه — تسوى (الجزيرة) وما بها[4]

ويقول آخر يصف كسبهم لناقة أحد خصومهم:

زرقا.. لعبادي عندنا — يا اقناد وين اللي تقول؟
ربعي كفوهم بالطلب — كفية قدح.. بيد امهبول[5]

ويقول حاد بعد إحدى المعارك:

يا (محمد).. يا بدين الضيف — راعي الوعيدة.. جالها
(سليمان).. عمّر له سبيل — من حفرتك، وادلالها[6]

والاحدية السابقة فيها بعض الشبه من أحدية أخرى منسوبة لحاد من الرولة، ونسبت كذلك للشيخ تركي بن مهيد يقول قائلها في مخاطبة الشيخ دغيم الهذال:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص139.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص201.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص177.
(4) الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، ص77، وحداء الخيل لأحمد العريفي، ص98؛ عن الظاهري.
(5) رواية عن أبي (يرحمه الله).
(6) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص١٠١.

يـا دغـيّـم، ونـشـوفـك بـديـن بـديـن، ولا انـت بحالنا
جـنّـب عـن الـصـيـهـد.. يمين نـبـي نـكـيـل اعـيـالـنـا[1]

ويقول حاد:

يـا سربـةٍ جـت اتـحـدا مـا سـنّـدوا جـهّـالـهـا
يـامـا عـذلـنـاهـم صحيح ويـامـا بـطـل عـذّالـهـا[2]

ويقول أحدهم يصف شدة إحدى المعارك:

الملح يـضرب في مـثـاني الخيل إمّـا يـجـي، والاّ.. يـروح
لعيون من ريحه زباد وهيل اللي عن الخايب طموح[3]

وقال حاد يصف إحدى المعارك:

يـا سربـتـيٍن ورّدن يـامـا حـلا تـوريـدهـن
تـجـاولـن حـيـن المسا صـكّـن عـلى ضـديـدهـن[4]

وقال حاد مجهول:

يـا لابـتـي تـوّي شربـت الكيف والـكـبـد جـلّـيـنـا صـداه
مـن عـجّـةٍ.. صـارت عليهم بـين الـسـويـدا، والـعـلاه[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج، ص45.
(2) منتديات قبيلة الفضول.
(3) مجلة فواصل، ع25، ص100، ونسبها فايز البدراني للفارس مساعد بن صلاح السليمي.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، 160.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص204.

طلب النجدة وإجابتها:

ومن الأغراض الشعرية لحداء الخيل، والتي نشتمّ منها أيضاً قتام المعارك، ونسمع منها صهيل الخيول، طلب النجدة وإجابتها، وهي من الأغراض الحربية التي ظهرت نماذجها في شعر الحداء، كما نلحظ في الأمثلة القادمة:

ونبدأ مع الشيخ العاصي بن فرحان باشا الجربا، وهو يقول يطلب نجدة أنسبائه عشيرة (الصبحي) من شمر، ويذكر في الأحدية زوجته (عدلة):

(عـدلـة) شـقّـت ثـوبـه زبـون والـدمـع مـلـىّ اعـيـونـهـا
تـتـنـا (ضـنـا صـبـحـي) يـجـون والـشـيـمـة مـا يـرمـونـهـا[1]

وقال الشيخ هجرس بن جبرين الشمري عندما أجاب طلب الأمير عبد العزيز الرشيد لمساعدته رغم خلاف سابق بينهما:

يـا شيخنا، يـا مـقـدم الشجعان نـجـيـك.. لـو حـنّـا طـنـايـا
نـجـي عـلى قـبٍّ بـنـات حصان وسـيـوفـنـا مـثـل الـحـنـايـا[2]

وقال مناحي بن دهيثم الشمري يجيب طلب أحد الشيوخ:

يـا شـيـخ لـو حـنّـا بعيد نـجـيـك، وان حـلّ الـلـزوم
والى تـلاقـن.. سربـتـين نـرمـي الـعـشـا لـلي يـحـوم[3]

وقال مناحي بن دهيثم في نفس الموضوع السابق:

تـسـعـين لـيـلـة.. يـالأمـير والـزمـل مـا حـفـنـا عـلـيـه

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص200.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص117.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص74.

لابـــدّ مـــن يـــومٍ يـصـير ... الـلـه.. يـعـاونّـا عـلـيـه[1]

ويقول دبي بن فلاح الشلاقي الشمري:

عـيـنـيـك، يـا شـقـح الـقـصـير ... حـسّ المـــدوّه.. جـابـهـا
لـعـيـون مـن نـهـده صغير ... الـحـقّ مـا يمـشى بـهـا[2]

وتشبهها أحدية رواها السديري أيضاً بتكرار قافية العجز، ونسبها لضافي الجلوي العنزي هذا نصها:

عـيـنـيـك، يـا شـقـح الـقـصـير ... الـحـقّ مـا يمـشى بـهـا
نـخـاف مـن هـرجٍ يـصـير ... سـوالـفٍ يمـشى بـهـا[3]

ولطالب الجويعان العنزي أحدية تشبه سابقتها، ويقول فيها:

عـيـنـيـك، يـالـشـقـحا الـزعـول ... يـا عـاتـبـة.. بـعـقـالـهـا
عـيـنـيـك، والـصـايـل بـصـول ... دونـك حـبـوس ابـطـالـهـا[4]

ويقول الشيخ سعدون العواجي يحث أخاه الأكبر الشيخ فريح على مساندة قبيلته في نصرة صيحة (حصة الهذال) في الحادثة المشهورة:

يـا فـريـح، يـا عـوق الـعـديـم ... يـا راعـي الـزنـد الـطـايـلـة
حـصـة تـنـاديـك وتـصـيـح ... شـافـت نـجـوم الـقـايـلـة[5]

ويقول الشيخ جهبل أبو زهرة الخمشي من عنزة:

عـيـنـاك.. يـا داعٍ يـصـيـح ... وان قـيـل: يـا عـيـال الـفـلاح
الـلـي دنـا يـومـه يـطـيـح ... بـين المـبـيّـت، والـصـبـاح[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص74.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص99.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص177.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص184.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص136.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص66.

ويقول الفارس سعد بن عوينان الرويلي يخاطب الملك فيصل بن عبد العزيز في عهد أبيه الملك عبد العزيز:

عـيـنـاك، يـا ولـد الـمـلـك ... يـا ذخـر ابـونـا، وجـدّنـا
الـعـلـيـا.. تـرعـى بـظـلّـكـم ... لـو الـعـدو.. مـا يـودّنـا[1]

وقال ظاهر أبا ذراع هذا الحداء يستجيب لنصرة قومه بعد وفاة (عقوب السويط) في حادثة السرب المشهورة سنة 1911م:

لـعـيـنـاك يـا راعـي المـضـيـف ... يـالـلـى بـنـيـتـه بـالـعـدام
حـريـبـنـا.. مـثـل الـخـريـش ... تـسـهـر عـيـونـه مـا يـنـام

وقد نسبها السديري لحاد من شمر بهذه الصياغة، وإن كانت نسبتها لظاهر أبا ذراع أشهر لارتباطها بحادثة معروفة:

جـيـنـاك يـا راعـي المـضـيـف ... يـالـلـى بـنـيـتـه.. بـالـعـدام
حـريـبـنـا.. دايـم مـخـيـف ... نـسـهـر عـيـونـه مـا تـنـام[2]

وهذه أحدية للشيخ هذال بن فهيد الشيباني عندما أجاب دعوة الشيخ محمد بن هندي للقتال:

سـلام يـا شـيـخٍ مـراسـيـلـه لفنّا ... يا بـانٍ بيت الحرايب.. للحريب
لـيـت الـلـيـالـي بـغـيـبـهـن.. علّمنا ... حتى ليا جات الحرايب ما نغيب[3]

وقال الشيخ عالي الفجري العتيبي يطالب قومه بأخذ الثأر من خصومهم:

يـا شـدّة.. راحـت عـلـيـنـا عـار ... مـن فـوق عـدٍّ مـارده مشهاه
تـكـفـون يـالـظـفـران نـبـي الـثـار ... نـبـي نـردّ الـبـيـت في مـبـنـاه[4]

ويقول حاد من السويط يذكّر بحمايتهم لـ (ماجد الحثربي) الذي عاذ بهم في الحادثة

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص133.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص156.
(3) منتديات قبيلة عتيبة على شبكة الانترنت.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص211.

المشهورة في التراث البدوي:

بـــوّاق المـلـحـة.. لـو هـرب — الـــلي عـلـومـه خـاربـة
نـلـحـق عـــلى قـــبٍّ طـلـب — مـلـــزوم نـــدقـم شـاربـه
والـبـيـت لـــه.. حـــقٌّ وجـب — والـــحـــثربي قـــد لاذ بـه
سـلـم الـعـرب، كـلّ الـعـرب — دخـيـلـنـا لـه واجـبـــه[1]

ويقول حاد من السبعة من قبيلة عنزة في مخاطبة شيخهم المتوفى سليمان المرشد، ويذكر إبلهم (العرفا):

سـلـيـمان، لـو تـقـعـد تـشـوف — الـعـرفـا.. وش جـرى لـهـا؟
بـــين الـــســـويـــدا والـعـلا — خـلـجٍ تـــدور اعـيـالـهـا[2]

وقال حاد من الدهامشة عندما فزعوا لنجدة الشيخ فهد بيك الهذال خلال معركة:

يـا طـــارشي لابـــن هـــذّال — عـــدّ الـصـحـيـح، ومـا جـرى
حـنّـا حـمـيـنـا ديـــرةٍ لـه — وفـــزوعـــنـــا.. كـــلّـــه ورا
الـــلي تـــجـــاوز عـــبرةٍ لـه — والـــلي عـنـد قـريـط اقـــصرا[3]

وقال حاد من شمر يستنجد بقومه:

يـا طـــارشٍ، وان جـيـت شـمّـر — انـــخـــوا طـويـلـين الـرمـاح
صـــيـــارمٍ.. مـــن فـــوق ضـمّـر — قـــبٍّ.. يـدقـنّ الـســماح[4]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص151.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص102، والخلج جمع خلوج، وهي الناقة الثكلى.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص207.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص171.

المدح:

استخدم الشعراء حداء الخيل في مدح الفرسان والشيوخ، ولدينا عدد من الأمثلة على هذا الغرض اخترنا منها النماذج الآتية:

ونبدأ مع قول نفل بن ركب الديحاني يمدح أخاه الفارس رفاع بن ركب:

صـاح الصياح وقـيـل: وخـذ الـذود — والـــــذود.. حـنّـا نـحـتـمـيـه
(رفّـاع) لبس الـشـال، والمـاهـود — واليـا لبس جـوخ الـشرف زاهيه
يـصـلّ سربـتـنـا عـلى الـبـارود — والمـــوت.. مـا يـطـري عليه
لـين الـعـشـايـر شـافـن المـفـرود — وولـيـدهـن.. درّن عـلـيـه
ونـجـنّـب الـطـارد.. عـن المـطـرود — لعيون من يزهى الخضاب يديه[1]

وقال محترش الهاملي المطيري يمدح الشيخ فدغوش المريخي قائلاً:

مـا عـنـدنـا.. ذودٍ سـبـيـل — الـــذود (ابـــو عـــلي) وراه
(فـدغـوش) فـكّـاك الـشـلـيـل — أنـــا، وذودي.. في ذراه[2]

وقال الشيخ الحميدي بن سقيّان المطيري يثني على أخيه علوش:

أنـا احـمـد الـلـه جـاب لي علّوش — لـو راح.. مـا سرّ الـسـداد
إلى تـعـلّـيـنـا بـنـات كـروش — الـخـيـل نـوطـيـهـا الـحـماد

وقد نسبها السديري لفيصل بن الحميدي بن سقيان، والتصحيح من محقق كتابه سليمان الحديثي.[3]

(1) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص83.
(2) عقود الجواهر لطلال الشمري، ص307.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص303.

وقال الشاعر المعروف شالح بن حطاب بن هدلان القحطاني يمدح جاره الفارس عرهان بن سعود السهلي:

ماجور يا غوجٍ تحت عرهان — اللي على سوّ البلا.. حاديه
يثنيه عند صغيّر الحيران — والروح تدبيره على واليه[1]

وقال الفارس شالح بن هدلان يمدح ولد (ذيب)، ويذكر شجاعته:

يا عشبةٍ.. بين الهضاب — ترعى نبات وسوقها
ما بين نجدٍ، والجنوب — الخيل..نضيّق سوقها
الخيل وان جتنا جميع — ذيب السبايا عوقها
يركب على الصفرا الجموح — مثل النداوي فوقها[2]

وقال باني بن مشرع العوهلي السبيعي يمدح فعل بعض فرسان قومه في إحدى الغزوات:

ردّ السلام لظافرٍ، ودحيم — والعود حامي الجاذيات
ربعٍ كرام، وينطحون الضيم — وقت الأمور الكايدات[3]

وقال ثواب بن مساعد الديارقة السبيعي يتمنى حظ (مثيب)، وأظنه أخوه، فيقول:

يا ليت حظّي مثل حظّ امثيب — لى من بدا للجازيات
أظنّي اصبر.. مثل صبر الذيب — ياطا عليهن.. حافيات[4]

وقال الشيخ دلّي بن عيد الأمّير العنزي يثني على الشيخ جدعان المهيد:

ما غير (اخو قطنة) فزع — جدعان.. عيّى لا ينير
عسى جواده ما تطيح — يوم اللقا حظّه كبير[5]

وقال الشيخ سعدون العواجي يثني على فعال ولده (عقاب):

(1) ضميمة من الأشعار القديمة لسلطان السهلي، ص116.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص153.
(3) سبيع الغليا لخالد القريشي، ص142.
(4) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص26.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص104.

يا (عقاب) يا مروي السنين — ياللي حريبك.. ما ينام
يا عزّ.. جرعات الحنين — يا شوق مردوع الوشام[1]

وتشبه الأحدية السابقة أحدية تنسب لحاد من قبيلة شمر يمدح فارساً منهم اسمه (عضيب)، فيقول:

يا عضيب، يا مرخي الجرين — يا شوق.. مردوع الوشام
مخلى العجوز من الجنين — ياللي صويبك ما ينام[2]

وقال سعدون العواجي يمدح ولده عقاب، ويهدد الشيخ فهيد الفواري الشمري:

يا (فهيد) شدّوا حيلكم — عقاب.. ليثٍ ما يهاب
(عقاب) يذعر خيلكم — والخيل تجفل من عقاب[3]

وقال عقلا الجويعان العنزي يمدح الشيخ مشل العواجي:

حرٌّ شهر، وادلى بكم — جاكم على جرّة خطاك
سيفه حكم بارقابكم — من عندنا هذا جزاك[4]

وقال العقيلي بن نايف المجلاد يمدح ابن عمه مناحي بن محمد بن تركي المجلاد بعدما أصيب في إحدى الغزوات:

يا مناحي طيبك سجّله — ويكون باليوم الثقيل
من فوق حمرا محجّلة — تثني ليا هاب الذليل
تريّضه، وتعجّله — وان كعكع الغوج الهزيل[5]

ويقول سند الخمشي يمدح الشيخ محمد بن تركي بن مجلاد العنزي الملقب بـ (سعران):

حطّ الحطب يا بن سعد — قم.. سوّ فنجالٍ نظيف

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص135.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص173.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص133.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص257.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص260.

للشيخ.. لى منّه قعد إلى جلس وسط المضيف
يستاهله هاك الولد حمّاي زينات العطيف[1]

ويقول عايد الخمشي في أحدية، يبدو أنها في مدح الملك عبد العزيز آل سعود:

يالله.. يالوالي.. عظيم الشان سلّم لنا اللي دايم جديد
الحرّ الاشقر.. عندنا سلطان ما دقّ به.. سرّ العبيد
ترى الوعد، وان حطّوا الميدان حرٍّ.. مخاليبه تصيد

وروي عجز البيت الثاني بصياغة أخرى هي: (الفيصلي.. عوق الضديد).[2]

ويقول علي المهيد يثني على بعض قومه:

يا (عكلي) دوّه للطيوح ميّاحةٍ لا تردّها
(أبو زبن) عمّ العبيد الدرعا.. مروٍ حدّها
الدرعا قاسية الحديد رطب اللحم ما ردّها[3]

وقال ابن شفلوت القحطاني يثني على الشيخ فليان بن حمد أبو راس السبيعي في أحد مواقفه الطيبة:

يا ليت شاة الربع لفليّان فانّ النقا.. يثني على راعيه
فكّ الدخيل وكرّم الضيفان ترفع له البيضا لاجل طاربه[4]

وقال العاصي الجربا يمتدح فعل ابنه الهادي، فيقول:

يالهادي.. هذي هقوتي ما هي هقو.. خطو البلد
تر لابتك غوش اليمن ما هم مجمّع.. من بلد
يالهادي يا طير الهداد من جيت في وجهك سَعَد[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص149.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص212.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص267.
(4) سبيع الغليا لخالد القريشي، ص197.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص208.

وقال العاصي الجربا أيضاً يخاطب ولده الهادي، ويذكر نسبه من جهة الأخوال:

جدّك.. لجدّانه ضديد قدراني ما تداني النكاد
ما دكّ بك برقا عباة طلعك بعيدٍ.. بالحماد
بك الزعيلي والدويش وعضيب خال امّك وكاد[1]

ويمدح العاصي الجربا شيخ الجبور مسلط باشا الملحم الذي أعانه، وفتح له ديار قومه للإقامة فيها، فيقول:

أبو شبل قدّ الحرايب ما داور الخيرات عنّا
الشيخ هو عزّ القرايب لولاه والله ما سكنّا[2]

وقال العاصي الجربا أيضاً يمدح أخوال ولده الهادي (آل صبحي) من شمر:

خوالك يا ويّ يا خوال خوالك.. همّ العنبرة
خوالك مسوطة العجاج ما هم.. مشاورة المَرَه
من لاها جونا سايرين داسوا عثاثة، واحجرة[3]

وفي مدح الشيخ (عجيل الياور) أيضاً يقول ابن دوخي خلال التنافس بين عجيل، وابن عمه دهام الهادي على مشيخة قبيلة شمر:

توني لقيت الغيهبي ليثٍ.. تقفّى سربته
يا دهام: ياورنا عجيل من (لندن) جتنا رتبته[4]

ويقول حجي الرماح أحد أتباع الأمير سعود الرشيد يثني على فعل الفارس هباش بن هرشان الشمري الذي أنجد الأمير سعود في حرب الجوف، وكان قد سعود قد أمر أحد مماليكه في مناسبة سابقة بقتل هباس، ولكن المملوك فشل في قتله، فقال حجي يذكر بتلك الحادثة:

العبد.. لو انّه ذبح هبّاس يا مير من يسطي عليك بليل؟

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص196، والقدراني مربط من مرابط الخيل الأصيلة.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص201.
(3) عقود الجواهر لطلال الشمري، ص194.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص40: عن السديري.

عـوق العـديم اليـا خـذا مـرواس يـقـلـط.. إلى هـاب الـذلـيـل[1]

وقال هزاع بن علي الشمري يمدح حمود السبهان عندما استرجع حكم حائل للأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد:

يـا بـو عـلي عـمـرك يـطـول نـارٍ طـفـت، واحـيـيـتـهـا
عـقـب الـسـوالـف، والـعـلـوم أنـت الـذي شـبّـيـتـهـا[2]

وقال الطوير بن حضيري من الثابت من شمر المعروفين بـ (أهل الجدعا) يثني على فعل فارس منهم اسمه (نحو بن منّاع)، وكان قد استطاع التصدي لهجوم أتى على ركب من جماعته، وهم نائمون، وتمكن نحو من مشاغلة الغزاة حتى استقيظ الركب، وتمكنوا من رد الهجوم:

خـيـلٍ.. تـولّـت خـيـلـنـا عـيّـى عـلى الـسـربـة.. نـحـو
يـردّهـا.. قـفـو الـطـريـح لا مـا هـل الـجـدعـا صـحـو[3]

وقال مناحي بن دهيثم الشمري يمدح أحد الفرسان:

يـا اهـل الـسـبـايـا روسـهـن لمّـا يـجـي.. عـنـان الـعـزوم
لـه عـادةٍ جـدع الـعـديـم إن طـاح، والـلـه مـا يـقـوم[4]

وقال مناحي بن دهيثم يمدح أيضاً:

الـلـه.. يـسـلّـم شـيـخـنـا نـرعـى بـه مـن مـرّ الـشـجـر
الـشـيـخ، وان ردّ الـنـقـا نـعـاف.. مـربـاع الـحـجـر[5]

ويقول عبدالله بن أبو راسين الحربي يمدح فارساً يدعى (فلاح):

كـلٌّ يـقـول انّي ولـد وكـلٌّ يـقـول انّي مـثـل فـلاح
(فـلاح).. مـا مـثـلـه ولـد يـفـرح بـه غـرقـان الـصـيـاح

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص76.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص126.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص185.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص74.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص75.

ويـفـرح بـه الـلـي بـالـوعـد ويـجـيـب لـه.. شـقـحٍ لـقـاح[1]

وقال وديد الجلاوي الشيباني يمدح الشيخ محمد بن هندي آل حميد:

افـرج لـنـا.. يـا فـارجٍ لمحمّد مـن المـوارت وخـلـطـهـنّ اسـيـوف
يـضـرب بحدّ السيف دون الشرفا لـين الـسـبـايـا عـوّدنّ اوقـوف[2]

وقال عايد بن تايب المقاطي العتيبي يمدح الشيخ الفارس عبيد بن تركي بن حميد في إحدى الغزوات:

نـركـب عـلى الـصـفـرا أم شـامـة ونـوحّـد الـربّ الـجـلـيـل
في ظـلّ.. لـبّـاس الـعـمـامـة عـبـيـد لـهّـاب الـذلـيـل[3]

وقد نسبها السديري للشيخ محمد بن تركي المهيد العنزي بهذه الصياغة:

اركـب عـلى الـزرقـا أم شـامـة واقـدم عـلى الـربّ الـجـلـيـل
في ضـفّ مـن يـكـرب حـزامـه يـقـدم إلى هـاب الـذلـيـل
يـصـفـق بـنـا خـطـو الـجـهـامـة يـودع شرايـدهـا قـلـيـل[4]

وقال عايد بن تايب المقاطي يمدح الشيخ بجاد بن سلطان بن هندي بن حميد في لحن خفيف من الحداء يشبه ألحان الهوبال، فيقول ذاكراً فرسه (الصقهاء):

كـل الـجـذعـان خـيّـالـة وابـو جـهـجـاه لـحـالـه
ردّ الـصـقـهـا لـلـتـالي فـعـلٍ لـبـوه، وخـالـه[5]

وقال حميّان الحويقل الدماسي العتيبي يمدح الشيخ محمد بن هندي آل حميد:

سـلام يـا شـيـخٍ لـنـا، شـيـخٍ قديم المشعل الـوضّـاح.. بـوّاج الظلام
خيّالها، وان ركب زينات الرهيم ان زرفلت حـيران.. مزبور الجهام

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص230، ولو كان عجز البيت الأول: (يقول انا مثل فلاح).. لكان أسلم للوزن.
(2) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص111، والموارت هي البنادق من نوع المارتيني.
(3) بعض مرابط الخيل لتركي القداح، ص40.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص33.
(5) بعض مرابط الخيل لتركي القداح، ص43.

وقد نسب السديري البيت الأول منها لنعيس القمحر العضياني العتيبي، وألحقها ببيت آخر هو:

ليا تعلّى.. فوق جثلات السبيب يرمي العشا وان هجّ مردوم الجهام[1]

ويقول الشيخ سعد بن حويلة العجمي يمدح الشيخ سلطان بن فلاح بن راكان الحثلين خلال معركة كنزان سنة 1915م:

الخيل صفّاتٍ على سلطان تتليك يا سقم الحريب
تقلط إلى من ثوّر الدخّان إلى عوى ذيبٍ.. لذيب[2]

وقال الشيخ ناصر بن سرحان العجمي يمدح الفارس درعان بن محمد بن درعان عندما قتل الأمير عبد الله الطلال الرشيد ثأراً للأمير سعود الرشيد الذي قتله الطلال غدراً، وهما يتباريان في الرمي:

هذا جزا لبس الحرير من فوق حيلٍ مكرمات
ذبّاح عمّه بالجرير عشّاه طيورٍ حايمات[3]

وقال محمد العمّاج يفخر بنفسه، ويمدح بعض رفاقه:

يا بنت شومي لي، وابن حنّاش وعند الردي لا تقعدين
شومي لغمرٍ في اللقا هوّاش يثني خلاف المستحين[4]

وقال الشيخ لزام بن ظاهر أبا ذراع الظفيري يمدح بعض رفاقه في أحدية منها:

عاشت يمينك يا ولد شوابعك جت من بعيد
هذي مراكيض الولد ما يضرب الاّ بالوريد
حنّا ذراكم.. من شمال ننحي العدو عنكم بعيد[5]

ويقول الفارس مضحي العاكور البقمي يمدح قائداً اسمه (عبد العزيز)، ولعله يعني

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص88، ولديه في صدر البيت الثاني: خيال بدل خيالها.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص130.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص93.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص93.
(5) عشائر العراق لعباس العزاوي، ج1، ص304.

الملك عبد العزيز رغم أن الشاعر كان وقتئذ ضمن جيش الشريف:

عبد العزيز مفرّق الخلّان ولّع مقابيس البلا.. فالعود
خلّى جرايرها على العدوان ونشّب قرودٍ في وجيه قرود[1]

وقال منور بن دهيثم يمدح أحد الشجعان:

يا بو محمد يالشجاع عندي عزيزٍ، ومحشوم
ليا تلاقن سربتين تقلط ليا حلّ اللزوم
يا شوق وضّاح الثمان تسلم وعمرك لي يدوم[2]

وقال الأمير الشاعر ناصر بن حمد الهزاني عند ترك دار أهله (الحريق)، وسكن القويعية عند آل العريفي من بني خالد، وتزوج منهم، وهو هنا يمدحهم، ويذكر ارتحاله، وفي الأحدية نجد تساهلاً في قافية العجز:

عن دارنا.. رحنا شمال وابعدت عن دار الجفا
أقفيت، ولا عندي حلال إلاّ.. جوادي، واشعلا
وبالكفّ مصقولٍ عدال سيفٍ إلى ورّد شفى
زبنت مرويّن السلال أهل المعزّة، والوفا[3]

وقال حاد يمدح فعل آل ملحم شيوخ الجبور في سوريا، والملقبين بـ (بيت الرغيف):

سبعة جموعٍ.. صفّت العربان غاروا.. على بيت الرغيف
كونٍ يهيل، وشيّب الرضعان عند المحارم.. يا لطيف
أخوات هدلا صفّوا الميدان بالسيف.. ابو حدٍّ رهيف[4]

وقال حاد من الجبور في بادية الشام بعد إحدى المعارك يمدح الفارس حماد الحماد (أبو سطم)، فيقول:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص61.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص80.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص92.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص73.

خـزيـزتـهـم مـنّـا.. بـغـل خـزيـزتـنـا مـنـهـم عـقـيـد
عـاشـت يمـين ابـو سـطـم يـهـوش بـالـكـجـك الـجـديـد[1]

وقال حاد يمدح الشيخ مسلط الحبشان المطيري بعد معركة الرحى بحداء من الوزن القصير:

المـدح يـزهـى مـسـلـط خـيّـال كـل الـجـزرة
الـلي بـسـيـفـه يـقـلـط لـكـسر الـعـظـم وجـبره[2]

وقال حاد من قحطان يمدح الشيخين ذيب بن جعفر بن عبود، وعمه عرار، وسماه في الأحدية (أباه)، لأن العم بمثابة الأب عند العرب، فيقول:

يـا بـنـت شـوقـك مـوقـفٍ مـا غـار رمـح الـقـنـا في ايـده ولا يـرويـه
شـومي لـ ذيـبٍ هـو وابـوه اعـرار كـم سـابـقٍ.. قـد عقّبوا راعـيـه[3]

وقال حاد من بني علي من حرب هذه الأحدية ذات اللحن القصير، وفيها يثني على فعل (دغيم والندي)، وهما من فرسان قومه:

الـبـيـضـا فـال دغـيّـم عـلـى الـحـمـرا الـمـزيـونـة
والـفـعـل فـعـل دغـيّـم والـنـدّي لا تـنـسـونـه[4]

وقال حاد من عتيبة يمدح الفارس مقذل النثري العتيبي، والذي بلغت قلائعه من الخيل في إحدى المعارك خمساً وثلاثين:

أنـا فـدا الـلي جـاب غـوج هـواش بـشـلـفـا.. مـضـاربـهـا تـبـين
جـاني بـه الـنـثري مـن الـنـشـاش والـخـيـل والـبـل فـرقـتـين[5]

وقال حاد من الفدعان يمدح فارسهم محسن بن قاعد الملقب بـ (رخيص الروح):

يـا مـحـسـن يـا رخـيـص الـروح الـروح مـا يـصـخـى بـهـا

(1) قبيلة الجبور الزبيدة القحطانية لصالح المسلط، ص205.
(2) مجلة البواسل، ع4، ص30.
(3) منتقى الأخبار لخالد القحطاني، ص178.
(4) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص25.
(5) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص139.

يـالـقـرم يـا شـوق الـطـمـوح الـلي تـجـرّ اثـيـابـهـا[1]

وقال حاد يمدح الشيخ ممدوح الشعلان بأحدية من الوزن القصير:

يـا بـكـرةٍ.. حـرّة يـا مـشـيـهـا.. زفـزاف
ركّـابـهـا مـمـدوح يـقـلـط، ولا يـخـاف
تـسـل سـلـيـل المـال تـخـطـم عـلـى الاسـلاف
يـرمـي ولا يـخـطـي يـقـعـد، ولا يـنـشـاف[2]

وقال حاد من الرولة يمدح الشيخ الدريعي الشعلان، ويذكر سطوته:

الـشـيـخ.. كـيّـل مـن حـلـب وكـال مـن حـمـص، وحـمـاه
خـذا الـطـنـايـا، وانـقـلـب والـشـاوي مـطـلـوبـه عـطـاه
تـرى الـدريـعـي وان هـذب الـطـامـح يـلـحـقـهـا.. هـواه
ربـعـه.. يـرّوون الـغـلـب والـضـدّ.. يـعـطـونـه عـشـاه[3]

ويمدح حاد آخر الفارس سند الربع الشمري، فيقول:

وجـدي عـلـى الـربـعـي سـنـد يـا طـنّـب الـراعـي يـصـيـح
زبـن الـحـصـان الـيـا بـلـد الـربـعـي كـسّـاب المـديـح[4]

وقال حاد يمدح الشيخ نواف بن النوري الشعلان:

تـبـشّـروا.. يـا اهـل الـخـيـل نـوّاف شرى المـعـنـقـيّـة
سـيـقـان.. مـشـاعـل دراريـج مـن تـحـت عـود الـحـنـيّـة
قـال: اركـبـي لا تـخـافي مـا زال راسي عـلـيّـه[5]

وقال حاد من الرولة يمدح الشيخ نواف الشعلان أيضاً:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص195.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص140.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص142، ولو كانت: الذيب بدل الضد.. لكان أوفق للمعنى.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص60: عن موسيل.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص136.

تسمّعوا يا اهل الخيل نوّاف يطول شبابه
ما طول حيٍّ على الخيل الطرش.. كلٍّ يهابه[1]

وقال حاد يمدح (خليف الحدب) شيخ الثابت من شمر:

يا خليف يا شوق الطموح اللي زهت بثيابها
المرجلة.. كلٍّ بغاه وولد الحدب عيّى بها[2]

ويقول حاد من الجربان شيوخ شمر يثني على فعال ابنه (فهد):

نادوا لنا الصانع يجي يحذا لنا مهرة فهد
يستاهل الرمح الطويل ان طالع السربة زهد[3]

وهذه حاد من السهول يمدح الفارس بداح البرازي السهلي:

يالبيض يالي تنقضنّ جعود الطيّبة منكن تعشق بداح
إن حبّ ما في حبّته منقود خيّال خلفاتٍ، وجلّ لقاح[4]

وقال أحد شعراء البقوم يمدح الشيخ قاعد بن جرشان البقمي الذي أبلى بلاء حسناً في إحدى الغزوات رغم سنه الذي تجاوز السبعين:

ما فعلٍ.. الاّ.. مثل فعل العود اللي طريحه ما ابختته.. شلناه
يركب على السودا كما البالود يفرح به اللي مبعدٍ مبلاه[5]

وهذه أحدية لحاد من قبيلة عتيبة يمدح الشيخ هذال بن فهيد الشيباني:

عصريةٍ في شعيب الضال غطّى السبايا عجّها
ما اخبلك يالي حاربٍ هذال سبع القبايل.. هجّها[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص182.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص236.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص61.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص20.
(5) مجلة البواسل، ع33، ص85، ولديها: (يركب على سودته بالود)، وما أثبتناه أصوب لصحة الوزن.
(6) منتديات بوابة قبيلة عتيبة الهيلا.

وقال حاد من الدواسر يمدح الشيخ فيحان بن قويد الدوسري:

(فيحان) هوماته بعيد ما يلحقه راعي الثبار
الشيخ باللود الحديد كم حلّةٍ حطّه دمار[1]

وقال حاد من حرب يمدح ولد الشيخ محمد أبو الروس الذويبي:

يا ويلكم يا اهل الرمك ويلاه من جاهلٍ.. توّه صغير
من فوق حمرا باللقا تزهاه يردّها.. خلف الأمير[2]

ويقول حاد من الفردة من حرب يمدح الشيخ عبد المحسن الفرم حينما فك إبله بتهديد الغزاة بقفاز القنص، فحسبوه مسلحاً، وهربوا:

ونعم با اخو حسنا الأمير الشيخ.. كسّاب المداح
فكّ العشاير بدسّ الطير من لابةٍ تروي الرماح[3]

وقال حاد من المنتفق يمدح الفارس خالد بن بندر البراك السعدون:

من قيل خالد بالجنب توّ.. امّنت عيني تنام
بالحيد مرتع فاطري متعلّقة براس السنام[4]

وقال حاد من قبيلة الموالي في سوريا يمدح شيخهم عبد الأمير، ويذكر موضع (اسريه):

(اسريه) يا بنتٍ هنوف وعبد الأمير.. مجيرها
هذي دنياك مأسّسة مبطي، وهو أميرها[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص165.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص186.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص200.
(4) رواية عن الأخ قيس بن جذع السعدون.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص198.

الهجاء:

وجدت عدداً من الأحديات في غرض الهجاء، وقد ابتعدنا عن إيراد ما كان في الهجاء المقذع، وذكرنا ما جاء في هجاء عام لأصحاب الصفات الدنيئة كالذلة والجبن، وما شابه.

قال عبد الله بن جرشان السبيعي يهجو الجبناء:

يـا حـيـف يـا خـطـو الـولـد شرّه.. عـلـى قـرايـبَـه
والى تـلاقـوا.. بـالـوعـد مـثـل الـخـريـش الـهـاربـة[1]

وقال الفارس عقاب العواجي يذم فتاة جميلة رفضت خطبته، وتزوجت راعياً للغنم:

يـا حـيـف يـا خـطـو الـهـنـوف مـن عـشـقـهـا.. يـا حـيـفـهـا
عـافـت مـروّيـن الـسـيـوف راعـي الـغـنـم هـو كـيـفـهـا[2]

وتشبهها أحدية لحاد من المرعض من الرولة:

يـا حـيـف يـا خـطـو الـهـنـوف لا وا خـسـارة زيـنـهـا
حـيـاتـهـا.. مـا لـه خـلـف نـوم الـردي بـحـضـيـنـهـا[3]

وفي نفس الموضوع السابق يقول الشيخ فريح بن حمرون الجعفري العنزي:

أخـذ الـفـرس يـا بـن كـسـوف والـشـلـفـا.. زيّـن جـبّـهـا
يـا حـيـف يـا خـطـو الـهـنـوف تـخـلّي الـشـرود.. يـحـبّـهـا[4]

ويقول عينان الذايدي في ذم الجبناء:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص230.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص254.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص210.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص293.

يـا حـيـف.. يـا مُـرة الـذلـيـل وشـهـو لـه تـكـحـل عـيـنـهـا؟
لى عـاد مـا يـرخـي الـجـريـر لا وا حـسـايـف.. زيـنـهـا[1]

وقال فهد بن هايس المجلاد يهجو بعض من تقاعسوا عن نصرته، ويمدح ابن عمه سعران الذي نصره:

اخـسـوا يـا عـشـران الـرخـا كـبّـايـةٍ.. وقـت الـلـزوم
الـسـودا تـطـلا وجـيـهـكـم سـواد غـربـانٍ تـحـوم
سـعـران يـا عـوق الـعـديـم أطـلـب عـسى عـمـرك يـدوم[2]

وقال مناحي بن دهيثم الشمري يهجو الجبناء، ويفخر بشجاعته:

يـا حـيـف يـا خـطـو الـولـد لا يـعـجـبـك زولـه شـنـاح
يـتـقـي.. إلى حـلّ الـلـزوم وعـجـلٍ إلى قـيـل الـفـلاح
دنّـوا لي الـحـمـرا الـجـمـوح الـلي كـما ظـبـي الـبـيـاح
أردّهـا.. خـلـف الـطـريـح واعـجـبـك الى ثـار الـصـيـاح[3]

وقال موسى بن ساير المويتع المفضلي يهجو الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم عندما هدد بغزو الكويت سنة 1961م:

يـا طـارشي لـعـبـد الـكـريـم غـوش الـعـرب حـطّـوا وعـد
كـلّ الـعـروبـة مـا تـبـيـك يـالـخـبـل يـا قـلـب الـوغـد
بـقـلـوبـهـم حـبّ الـصـبـاح الـيـوم، وايّـامٍ.. بـعـد[4]

وهذه أحدية نسبها عبد الله الدويش للشيخ عجمي باشا بن سعدون السعدون، وفيها يهجو الجبناء، فيقول:

كـبّـه تـكـبّـك يـالـذلـيـل حـتـى امّـي تـرمـي مـن بعيد

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص277.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص296.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص75.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص83.

المـرجـلـــة بـــعـــود الـقـنـا والـــسـيـف مـصـقـول الـحـديـد

كذا رواها الدويش [1]، والصحيح أن هذه الأحدية ليست لعجمي باشا، ولعله تمثل بها في إحدى معاركه بل هي لابن عمه (غالب بن حمود العمر العبد الله السعدون) كما رواها معاصره الباحث يعقوب سركيس، وذكر سنة 1945م ما نصه: (سمعت في الغراف قبل نحو خمسة وأربعين عاماً من يتغنى، ونحن على ظهور الخيل بحداء لغالب العمر العبد الله السعدون)، وذكر الحداء التالي.

وفيها يعيب غالب البنادق النارية من نوع (المالطي)، ويفضل عليها السيوف، والرماح المظهرة لشجاعة الفارس الحقيقية، وصياغتها الصحيحة كالآتي:

فـخـر الـنـشـامـى بـالـقـنـا والـسـيـف مـصـقـول الـحـديـد
(المـــاطـــلي) مـــا بـــه فـخـر حـتّـى امّـي تـرمـي مـن بـعـيـد[2]

ويقول الشيخ مناحي الهيضل العتيبي يهجو البنادق الآلية، وقد تساهل في قافية العجز في البيت الثالث:

يـا كـيـف يمـدح راعـي النيشان حـذفـة شرودٍ.. بـــ امـهَـوا
خـطـلان الايـدي مـا لـهـم مـيـزان الـخـبـل، والـطـيّـب.. سـوا
مـا عـاد يـوجـد لـلـعـرب مـيـدان ويـــلاه.. يـا عـصـرٍ مـضى[3]

وقال الشيخ محمد بن سقيّان المطيري يهجو الجبناء:

راعـي جـوادٍ مـا يـضّر الخيل عـــى جـــواده يـعـقـرا
يـضرب بشلفا مثل نجم سهيل مـن يـد صـبـيٍّ يـذكـرا[4]

وذكر محمد السديري أن الأحدية السابقة رويت له أيضاً منسوبة لحاد من الدواسر بهذه الصياغة:

يـا ربعنا تكفون يـا اهـل الكيف أحـمـوا لـحـسـكـات الـوبـر

(1) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص135.
(2) مباحث عراقية ليعقوب سركيس، ج2، ص311.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص77.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص38.

تـعـيـش يـالـلي ردّهـا بـهـديف لـعـيـون بـــرّاق الـنـحـر[1]

وهذه أحدية جمع فيها الفارس شعلان الصران القشعمي بين هجاء بعض من تخلّفوا عن إحدى المعارك، ومدح فارس أبلى فيها بلاء حسناً، واسمه (كنيهر)، فيقول:

مـثـل الأرانـــــب.. لـبّـدوا مـا بـيـن شـقـرا وام عـريـش
يـسـلـم كـنـيـهـر جـبرقي وقـت الـحـرايـب.. يستهيش[2]

وقال الشيخ محمد بن سقيّان المطيري يهجو الجبناء:

راعـي جـوادٍ.. مـا يـضّر الخيل عـــى جـــواده يـعـقـرا
يـضرب بشلفا.. مثل نجم سهيل مـن يـد صـبـيٍّ يـذكـرا[3]

وقال الفارس هابس بن عشوان المطيري يهجو أحد الجبناء:

الـــلي يـنـيـر.. بـشـبّـتـه يـعـتـادهـا.. لـو هـو كـبـير
يـلـعـن هـنـوفٍ حـبّـتـه الـــلي عـــن الـلـقـوة يـنـير

ويذكر السديري أن الشاب المقصود بالهجاء جاء إلى هابس بعد المعركة، وقال: «يا هابس.. انتظروا للقوة الثانية، وإذا جبنت مرة ثانية اذبحوني ذبحاً.. لا تغسلوا ظهر سابقي»، وكان هابس قد أمر بغسل فرس الشاب بالصابون لأنه أساء لها، وبالفعل في المعركة القادمة استبسل ذلك الشاب، وقاتل إلى أن قتل.[4]

وقال حاد من شمر يهجو الجبناء:

يـا حـيـف يـا خـطـو الـولـد مـثـل المـــســـوح.. مـحـيّـنـة
والى تـــلاقـــوا بـالـوعـد يـا ربـعـنـا مـن عـيّـنـه[5]

ويقول حاد من شمر يهجو الذليل:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص122.
(2) لكود القشعم لمحمد منير، ج1، ص307، ورواها لي أبي (يرحمه الله) بصياغة لصدر البيت الأول: (مثل الخرانج رنّبوا).
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص38.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص112.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص150.

لا تـتّـقـي بي يـالـذلـيـل المـــوت الى دارك لـقـاك
لا تـتـقـي الاّ بـالـجـلـيـل ربّـــك إلى حـبّـك وقـــاك[1]

وقال حاد من شمر:

هـبـيـت يـا خـطـو الـولـد مـا يـنـسري بـه بـالـظـلام
عـنـد المـحـارم مـقـعـده بـالـهـوش مـا يـقـول الـكـلام[2]

ومثلها قول حاد من عنزة:

هـبـيـت يـا خـطـو الـولـد يـربـطـهـا، والـصـايـح يصيح
ودّك يـغـسّـل مـركـبـه وتـعـطـى لـكـسّـاب المـديـح[3]

وقال حاد من الفدعان يهجو الجبناء:

شردان والـلـه مـا تـبـيـك لـو بـالـذهـب تـوزن لـهـا
عـشـيـقـهـا زبـن الـطـحـوس لـه حـربـةٍ.. يمـلّـهـا[4]

ويقول أحدهم يهجو أحد البخلاء بعد أن دعاه لطعام قليل:

يـا واش يـا عـبـد الـعـزيـز خـرّبـت بـيـتـك ش ادعـوا؟
مـاكـولـكـم خـبـز الـشـعـير إن عـضّـه الـشـايـب.. عـوا
واجـفـانـكـم عـين الـبـعـير غـطّـين.. والـثـالـث هـوا[5]

ومن طرائف الهجاء قول بعض أهل البادية في الكويت يهجو بعض أقربائه:

يـا اهـل الـطـماطـا والـجـويـت يـا عـلّ (الأشـقـر) فـودكـم[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص156، وذكر فايز البدراني أن هناك من ينسبها لموسى بن عتيق السليمي.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص164.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص181.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص166.
(5) الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، ص193.
(6) أغاني العمل لطارق السلطان، نسخة الكترونية.

النقائض والمساجلات في الحداء:

أولا: النقائض

عرف العرب النقائض والمساجلات في شعرهم عموماً، واستخدموه في الأراجيز على وجه التخصيص هنا، وكانت أجواء المعارك والمنازعات والمنافرات مشجعة لظهور الكثير منها كما أوردنا في الباب الأول في مساجلة مرحب والإمام علي يوم خيبر، واستمر الحال في أحديات الخيل لدى البدو الأواخر، وقد انتقيت من تلك النقائض والمساجلات ما وجدته صالحاً للنشر، وابتعدت عن الأشعار التي تثير بعض الحرازات، ولا طائل من إعادة التذكير بها:

ومن النقائض، هذه الردية بين الشيخ جمل بن لبدة والشيخ راكان بن حثلين عندما كانا يسايران الإمام فيصل بن تركي على ظهور الخيل، فقال ابن لبدة:

والـلـلـه.. لـولا فـيـصـل وامـر الإمـام.. امـطـاع
إن قـد نـشـدّ، ونـنـزل بـين الـحـسـا، وانـطـاع

فرد عليه الشيخ راكان بن حثلين مذكراً إياه بحادثة سابقة:

إنّـه يـكـذب يـا فـيـصـل مـا هـو لـكـم مـطـواع
نـتّـافـة لـحـيـة مـرشـد والـشـيـخ الآخـر ضـاع[1]

ومن النقائض قول الشيخ سلطان الدويش يخاطب الشيخ فلاح بن راكان الحثلين:

يـا طـارشي وان جيت ابـن راكـان اسـلـم، وسـلّـم لي عـلـيـه
ذيـدانـنـا.. مـا تـروي الـحـيران و(الـشـذّي).. بـنـنـزل عليه

فرد عليه الشيخ فلاح بن راكان:

(1) الأدب الشعبي في جزيرة العرب لعبد الله بن خميس، ص479، ولديه: إلاّ ان نشد وننزل.

يـا راكـبٍ مـن عـندنا ظبيان أشـعـل.. يـقـدنّـه.. يـديـه
يـا راكـبـه وان جيت لي سلطان ردّ الـبـرا.. مـنّـا.. عـلـيـه
شـاورت انـا الـشبّـان والشيبان و(الـشـذّي) قـالـوا مـا تـجـيـه[1]

وقبل إحدى المعارك شرب فارس اسمه (ضرباح) فنجان الشيخ محمد الطويل العجمي، وكانوا قبل الحرب يديرون فناجين القهوة بأسماء فرسان خصومهم، فمن شرب فنجان فارس ما وجب عليه لقاءه في الحرب، وقتله، وقد قال ضرباح:

عـلـيْ.. مـلاقـاة الـطـويـل مـحـمّـدٍ.. نـبـغـي لـقـاه
مـن فـوق غـوجٍ لـه صهيل مـا هـو يـسـنّـد.. بمـعَـداه

فقال محمد الطويل خلال المعركة يتحداه:

يـا مـن ذكـر لي شـارب الفنجال شرّاب.. فـنـجـال الـطـويـل
كـانـه صـدوقٍ.. ينطح الخيّال يـثـنـي.. لـيـا هـاب الـذلـيـل
وانـا عـلى الـلي كـنّـها الـغـزال وان صـحـت.. تـرفـع بالشليل
مـن فـوقـهـا رجـلٍ قـديـم افـعـال و(ضربـاح) مـا هـو لي عـديـل

وفي نفس المعركة قال حاد يعتقد أنه ضرباح أيضاً، والذي قتله الطويل في المعركة:

صـفـرا مـحـنّـاة الـشـلـيـل مـا بـذّهـا كـثـر الـهـوايـا
عـلـيْ مـنـاطـحـة الـطـويـل إلى الـتـقـن حـمـر المـنـايـا[2]

ومن النقائض قول الشيخ تركي بن حميد العتيبي مخاطباً الشيخ جمل بن لبدة من شيوخ قبيلة قحطان في أحدية من اللحن القصير:

يـا واصـلـيْنٍ جـمـل لا يـركـب المـثـبـورة
يـذكـر لـيـوم الـقـرنـة يـومٍ تـحـوم طـيـوره

فرد عليه الشيخ جمل بن لبدة:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص144، ولديه في عجز أحدية سلطان: (والشذي نبي ننزل عليه)، وما غيرته أسلم للوزن.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص177، ج2، ص34.

تـركي خـيّـالٍ طـيّـب ويـدورني، وادوره
يـهـل عـلـيـنـا واركـب فـوق الـصـفـرا المـذكـورة
والـلـه لارمّي سيفي واقـحـم شبـا المـسـمـورة[1]

ومن النقائض المعروفة قول حاد من القمزة من قبيلة عتيبة يذكر حمايتهم لإبل امرأة تدعى الطريسة:

نـحـفـظـك يـا ذود الـطـريـسـة مـن بـدّ.. ذيـدان الـبـنـات
ونـحـماك مـن راعـي اللميسة ونـحـماك.. مـن راعـي الحصاة
كـم واحـدٍ.. نـقـطـع رويـسـه وانـا بـشـيره.. بـالمـات

فرد عليه الفارسان سويحل العلباني، وشبيب بن دواس العلباني، وهما يحدوان:

جـيـنـاك يـا ذود الـطـريـسـة والـخـيـل.. دونـه مـزريـات
كـلٍّ نـقـص مـن دون قيسه ويـن الـعـلـوم الأوّلات؟[2]

ومن النقائض ما جرى عندما قال عيد أبا العويرا الحربي يحمّس قومه، ويذكر الشيخ حجاب بن نحيت:

الـصـيـف طـاح بـديـرة الأجـنـاب وسـحـج العشاير هايفت لغثاه
سـتّـين لـيـلٍ.. خـادمـين احـجـاب والـيـوم.. كـلٍّ مـاقـفـه ينخاه
مـن لا يجي في المـاقـف الغضّاب يـا ربـعـنـا.. مـا تـنـوخـذ عـذراه
بـار الـقـريـب، وبـاروا الأصحاب ولا عـاد ينفعنا قـصـير الـشـاه
يـا ذيـب يـالـلي في الـخـلا قـنّـاب عـن نـجـد قـزّاني قـنـيـب اعـواه

فرد عليه الشيخ مناحي الهيضل العتيبي قائلاً:

الـديـرة الـهـا سـلّـةٍ وانـصـاب وانـصـابـهـا خـفّ ومـراه

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص46، ص65.
(2) صحيح الاخبار لمحمد بن بليهد5، ص274، والحداوي لمحمد السديري، ج2، ص44، و(راعي الحصاة) هو ابن حويل القحطاني، و(راعي اللميسة) هو الفارس جري بن هملان القريشي السبيعي.

ربعي.. كما سيل النحا.. نهّاب يركب على روس العدام اغثاه
وان ما خذينا البيت بالاطناب يحرم علينا نجد ما نرعاه[1]

والأحدية السابقة تشبه ما نسبه السديري لعلي بن واصل يفخر بقومه، ويذكر الشيخين حجاب بن نجيت، وفيصل الدويش:

يا نجد ما سمّاك من جلّاب إلاّ بسيفٍ يشلق الجمهاه
والاّ.. بيوم مثل يوم حجاب أو مثل (فيصل).. يوم حدّرناه
حنّا مثل سيل النحا النهّاب اللي يشيل عن الزبار اغثاه[2]

ونسب السديري بعض أحدية الحربي للحدب من شمر.[3]

ومن النقائض أيضاً قول الشيخ عبد العزيز بن مضيان الحربي ذاكراً هضبة (جلوى) في عالية نجد:

(جلوى) ورا.. ما تعلقين من يوم خلّوك اقصراك
شوري عليك.. تهوّدين الضيط برايه ما هداك
نحماك يالوضحا السمين وجهام خوذي به هواك
ربعي ورا (حبشي) يمين وايضا لهم.. حيٍّ وراك[4]

فرد عليه طاحس بن مشنوطة بأحدية نسبت أيضاً لشارع الوهاب الدماسي، وكلاهما من فرسان قبيلة عتيبة:

يا دارنا.. لا ترهبين اقفايانا.. اقبالٍ علاك
(جلوى) ورا ما تفزعين يوم الحرايب جت وراك
برقا ايحمونك من يمين وحنّا من الشام انحماك[5]

(1) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص95.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص269.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص211.
(4) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص65.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص103.

وذكر السديري أحدية العتبان منسوبة لدغيليب بن خنيصر العتيبي بهذه الصياغة:

جلوى ورا ما تزعلين يوم الجنب صكّوا علاك
برقا ايحمونك من يمين وحنّا من الشام انحماك[1]

ومن النقائض قول الفارس ضيف الله العفّار بن تركي بن حميد العتيبي:

بدّلت انا حمّ الرمك بحصان بدّلتها.. بولدٍ جموح
أبي إلى جا للرمك.. ميدان عليه نرخص كلّ روح

فرد عليه الشيخ جهز بن شرار العبدلي المطيري:

لو شاوروني ما شريت احصان شريت لي حمراً هبود
أبي قطيعٍ واردٍ.. لقطان والاّ من المحدث يقود[2]

وروى سعد الجنيدل رد جهز بصياغة أخرى يذكر فيها حصانه (طمران) هي:

أنا احمد اللي جاب لي طمران واخّر لي الصفرا الهبود
نبا قطيعٍ.. واردٍ لقطان والاّ من المحدث يقود

وذكر السديري صياغة أخرى لأحدية جهز بن شرار جاء فيها قوله:

أنا احمد اللي جاب لي طيران حصل لي الحمرا الهبود
نبي بها طرشٍ على لقطان والاّ.. من المحدث يقود

فرد عليه حاد من عتيبة:

ترى الوعد طخفة وابا الحيران إن كان راسك فيه زود
فرسك.. تركبها بغير اعنان لعيون نقّاض الجعود[3]

ويقول الشيخ شبيب بن حجنة النفيعي يهدد بقتال أحد خصومه:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص179.
(2) ديوان الشعر العامي لأبي عبد الرحمن الظاهري4، ص128، ولديه اسم الشاعر هو ناصر بن شرار، والتصويب من ديوان جهز بن شرار للعصامي، ص107، و(لقطان، والمحدث) موردا ماء في ديار عتيبة.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص68.

مـــن عـــيّن الـعـفـرا الـشـقـاح الـــلي جـرسـهـا.. لـه دنـين؟
ذبّت (طـويـقٍ).. مشيها صوفاح تمـــشي، وتـجـرع بـالـحـنـين
يا ليت من واجه عندها (كوكاح) أنـــا، وربـــعٍ مـسـتـحـين[1]

وقد رواها السديري بصياغة مقاربة على النحو الآتي:

مـن عـيّن الـوضـحـا الـضـيـاح الـــلي جـرسـهـا.. لـه دنـين
ذبّت (طـويـق)، ومشيها صلفاح تمـــشي، وتـجـرع بـالـحـنـين
يا ليت من هو حاضٍ (كوكاح) أنـــا، وربـــعٍ مـسـتـحـين

وذكر السديري أن الشيخ شجاع بن قويد الدوسري المقصود بأحدية ابن حجنة رد بأحدية يقول فيها:

(شـبـيـب).. يـا طـير الـفـلاح ذودك.. خـــذوه الـغـانمين
بـايمـانـنـا.. سـمـر الـرمـاح تـفـرق خـديـنٍ.. مـن خـدين
وانـــا عـلى الـصـفـر الـشـنـاح قـــدّام ربـــعٍ طـيّـبـين
اقـبـل.. تـرى دربـك سماح وانـــا مـع الـوضـحـا.. كمين
دلّـلـتـهـا.. وسـط الـبـيـاح وضـحـاك.. مـن عـقـبـه سـمين[2]

ومن النقائض قول حاد من شمر:

خـيـلٍ تـجـيـنـا مـن شـمال خـيـلٍ تـنـازى بـامّ خـمس
خـيـل الـحـدب وابـن رمـال خـيـلٍ تـحـمس الـقـلـب حمس

فرد عليه الشيخ مناحي الهيضل العتيبي:

نـعـبـى لـكـم جـمـع الاخـوان بمـصـقّـلاتٍ مـا تـداني الـلـمس
جـوكـم مـع الـغـبـشـة شـمام ومكتّبين ديـونـهـم قبل امـس[3]

(1) آحديات وألقاب لتركي القداح، ص58.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص155.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص77.

ومن النقائض ما قاله الشيخ محسن الفرم العلوي الحربي يحمّس قومه:

بـنـي عـلي يـا ذخـر جـدّي الأجـنـبـي.. عـيّـى يـقـوم
يـعـدّ قـرب جـدودهـم مـن قـوّمـه فـعـل الـلـزوم
أنـا بـخـيـص.. بـقـربـهـم وش لـه بـتـرديـد الـعـلـوم؟
طـلـب الـفـريـدي عـنـدنـا الـسـيـف والـقـبّـا الـقـحـوم

فرد عليه ابن دهيليس الفريدي الحربي:

إن جـيـت اخـو حـسـنـا الأمـير قـل لـه: مـحـيّـا وامـحـشـوم
نـعـبـا لـه الـلـي عـنـدنـا ونـــزوّده عـنـد الـلـزوم
مـع سربـــةٍ.. مـن ربـعـنـا نـجـمٍ يـدكّـون الـحـزوم
ويـلـقـى بمـيـدان الـرمـك فـارسٍ عـلى قـبّـا عـزوم[1]

وقال فاضي القصيم الحميداني المطيري:

سبّتني اللي سترها مكشوف عـسـاه يـعـدم صـيـبـهـا
قـدر الـعـشـا دايـم تـلـوفـه لـوف والـقـنّـعـة تـرمـي بـهـا

فرد عليه الشيخ نايف بن هذال بن بصيّص المطيري:

شـلـفـاك مـا غـطّـت بـدمّ الـجـوف ولا عـالـجـوا صـويـبـهـا

فقال فاضي القصيم:

شلفاي قد شربت لدمّ الجوف وقـد عـالـجـوا صـويـبـهـا
قلعت حمرا، والعياد تشوف حـمـرا.. خـرف سـبـيـبـهـا
يـا مـن خـبـر شـيـخٍ نـزل بالجوف راس الـفـرس.. يـتـقـي بـهـا
وانـتـه عـلى الضيحة ولدّ الشوف لـك بـنـدقٍ.. تـرمـي بـهـا

ومن المفارقات أنه عندما قتل الشيخ نايف بن بصيص كان فاضي القصيم هو من تولى

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص233.

قتل قاتله.

وخلال معركة الصريف حدا الشيخ سلطان الدويش شيخ قبيلة مطير، وكان مع جيش الشيخ مبارك الصباح:

يا سابقي زان الطرب والكيف — من يوم ابو جابر ظهر
نبي نطارد مكرمين الضيف — شمّر هل البوش العفر
إمّا نحيناهم بحد السيف — والاّ.. خذونا بالظفر

فرد عليه الأمير ماجد العبيد الرشيد بعد انتصارهم في الصريف بأحدية طويلة تداخلت مع أحديات أخرى قيلت بنفس المناسبة، ومن أحدية الرشيد قوله:

أهلا هلا بك.. يوم دار الكيف — قرّت عيونك.. بالنظر
أعطيك ماجوبك بحكم الضيف — شلفٍ.. يفجنّ النحر
يخبر به اللي جالسٍ بالسيف — ينبيه.. من جاب الخبر[1]

وذكر السديري أن حادياً من شمر أجاب الدويش بأحدية مشابهة لأحدية ماجد الرشيد بهذه الصياغة:

(سلطان).. هو عقلك خفيف؟ — عرّضت روحك.. للخطر
إنشد عريقٍ.. بالصريف — واشرف على الموت الحمر
إن جاك (ابو متعب).. تعيف — ما زبّنك عنه البحر[2]

وهذه نقيضة مشهورة قيلت بعد حادثة مقتل بعض شيوخ عشيرة البدور بأمر من عجمي باشا السعدون في أواخر سنة 1910م حيث قال (الغباري) شاعر عجمي مهدداً (نون الحيال) شيخ الرسن من البدور:

خمسة ذبحنا بسيفنا — وخمسة وراهم يلحقون
وان كان طال بنا المدى — نلحق على راسك يا نون[3]

(1) النجم اللامع لمحمد العبيد، ص352. ولديه صدر البيت الأول: (يا سابقي توي شربت الكيف). ولدى السديري مطلعها: (يا والله اللي ترّ زان الكيف).
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص 143.
(3) الأمثال الشعبية في البصرة لعبد اللطيف الدليشي، ج1، ص313.

وقد نسبها السديري لعجمي نفسه، ورواها بصياغة مقاربة هي:

خمسة ذبحت بسيفنا — وخمسة بثرهم يلحقون
إن ساعف المولى الكريم — لالحق على عمرك يا نون[1]

فرد عليه نون الحيال:

خمسة ذبحتوا بسيفكم — خطّاركم عقب السلام
بالطيف راسي تقضبه — متوسّطٍ غوش العمام[2]

ومن النقائض المتعلقة بالمنتفق أيضاً ما رواه النبهاني في تحفته حين قال الشيخ ظاهر بن قاف أبا ذراع الظفيري سنة 1322هـ (1904م) يخاطب الشيخ فالح باشا السعدون يتحدث عن تبعية العشائر له في مواجهة ابن عمه الشيخ سعدون باشا:

(ذي) ديرتك تو ما صُفَت — تفتّحت.. بيبانها
هميلتك.. (جتك اتْعَدي) — جتّك تخط برسانها
سفينتك.. تفلّشت — تنخاك.. يا سِكّانها

فرد الشيخ سعدون باشا المنافس لابن عمه فالح على مشيخة المنتفق بهذه الأحدية، ويوجه حديثه بها لأحد قادة الترك:

من البصرة الفيحا وشمال — بيدي اسعرت نيرانها
يا باشا لابتي اللي معك — افهم تراني حصانها[3]

ومن النقائض أيضاً قول الفارس شعلان بن صران القشعمي مخاطباً الشيخ علي الضويحي السويط:

سودا (علي) ما وقّعت — راحت.. بذيب المسرجات

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص243.
(2) عشائر العراق لعباس العزاوي، ج4، ص95.
(3) التحفة النبهانية لمحمد النبهاني، ص450، ولديه أحدية ظاهر مختلة الوزن على الشكل الآتي:
(ديرتك توما تفتحت ببيانها = هميلتك جتك تخط برسانها
سفينتك تفلشت. تنخاك يا سكانها)
وقد أصلحناها ليستقيم الوزن.

لـعـيـون.. ربـعٍ فـرّعـوا غـوش المشـورب بـالـوطـات
طـاردتـكـم.. بـبـيـوتـكـم والـغـوج مـا لي بـه شـفـات

وتروي هذه الأحدية بصياغة أخري كالآتي:

يـالـلي تـريـد اذوادنـا حـوض المـنـايـا بـالـغـلاة
غـوش المـشـورب لابـتـي عـصـاة.. مـرّيـن بـحـلاة[1]

فرد عليه الشيخ علي الضويحي السويط مغيراً القافية:

الـغـوج.. خـلّي بـالمـحـاس مـن كـفّ مـروي عـودهـا
شـعـلان يـا شـوق الـهـنـوف هـالـنـوب.. لا تـعـودهـا
سـوداي مـا صـيـده ردى يـلـزم عـلـيّ ردودهـا
سـودا مـضرّيـها عـلى الـدخـان واهـل الـسـبـايـا شـهـودهـا[2]

ومن ذلك أيضاً قول الشيخ سطام الشعلان يذكر زوجته (تركية بنت جدعان المهيد):

بـنـت اخـو قـطـنـة يـا نـوّاف تـركـيّـة.. لا تـجـونـهـا
لـيـا تـلاقـن.. بـالـسـماح أقـلّـطـك.. لـعـيـونـهـا

فرد الشيخ نواف القعيشيش:

بـنـت اخـو قـطـنـة يـا سـطـام شـقـحـا.. يـعـوزك لـونـهـا
تـسـعـة جـمـوعٍ.. غـرّبـت مـا ظـنّـتـي.. يـعـطـونـهـا[3]

وتشبهها أحدية نسبها السديري لحاد من عنزة يقول فيها:

عـيّـنـت (قـطـنـة) يـا ولـد وضـحـا يـعـوزك لـونـهـا
هـفـت عـلى جـمـوعٍ ثمـان مـا ظـنّـتـي.. يـدّونـهـا[4]

(1) موسوعة العشائر العراقية لثامر العامري، ج5، ص226. والمشورب لقب لابن ثويني شيخ القشعم.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص265.
(3) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص81: عن موسيل.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص175.

ومن ذلك أيضاً قول العاصي الجربا يذكر إبله (هبوب):

هـبـوب تـبـغـى لـه مـصـيـف تـنـزّحـوا عـن جـوّهـا
تـنـزّحـوا.. يـا اهـل الـقـنـاة والـحـرب نـشـعـل ضـوّهـا[1]

فرد عليه حاد من سنجارة من شمر:

يـالـعـاصي يـا الـراس الـكـبـير تـبـي المـراجـل.. تـوّهـا
(هـبـوب) تـبـغـى لـه صـبـاح تمـشي وتـخـازر بـوّهـا[2]

ومن نقائض الأحديات مجهولة الناظمين قول أحدهم عندما التجأ للكويت متسلم البصرة مصطفى آغا سنة 1203هـ، فأرسل حاديهم إلى حاكم الكويت يطالبه بتسليم دخيله قائلاً:

يـا بـن صـبـاح أدّي الـدخـيـل والاّ.. فـمـالـك مـسـكـنـه

فرد عليه أحد الكويتيين برجز ثلاثي التفاعيل:

ترى (السموءل) كافرٍ ما ادّى الدخيل هل كيف سادات العرب تعجز عنَه؟[3]

وهذه أحدية لرجل من العجمان كان في سجن الكويت في زمن الشيخ مبارك الصباح، وذكر السديري أن سجنه فيما يبدو لم يكن بسبب جريمة كبيرة، ولكن الشيخ مبارك كان يريد توبيخه، وإلا فهو يعطف عليه، فقال العجمي بصوت جهوري:

يـا لابـتـي.. صـكّـوا عـلـيّ الـبـاب والـرجـل.. حـطّـوا بـه حـديـد
إلى غـشى زمـل الـبـنـي ضبضاب مـن ذلّ.. جـعـلـه مـا يفيد

فسمع الشيخ مبارك بما قال العجمي، فطلب من أحد جلسائه، واسمه (عرعمان) أن يرد عليه، فقال:

ابـشـر.. بـصـكّ الـبـاب، والأنـشـاب صـيـدتـك هـذي.. يـوم عيد
رمـاك حـظّ الـشـيـخ.. يـالـكـذّاب شـيـخٍ.. مـخـالـيـبـه تـصـيـد

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص201.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص168.
(3) تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد، ص221. وأضفنا مفردة (ترى) في صدر الرد ليستقيم الوزن، وهي من أقدم ما وصلنا من شعر الحداء.

وبعد ذلك سامحه الشيخ مبارك، وأطلق سراحه.[1]

خلال مصادمات جرت بين الفدعان من عنزة بزعامة الذئب الأعرج (عبيد الغبين)، وعشيرة البقارة بزعامة شيخهم (بدر) في البادية السورية قال شاعر الفدعان مخاطباً أرض (البيضا) التي كانوا يتنازعون عليها:

البيضا يا بنتٍ هنوف ... عيّت عن الشايب بدر
تبغي لها ذيبٍ عرج ... يفلح سهلها من حدر

إلا أن شاعر البقارة رد عليه قائلاً:

البيضا البنت الهنوف ... حليلة الشايب بدر
هواها لنا عذب لطيف ... وعليكم حنظلٍ سدر[2]

وقال حاد من بني سالم من حرب خلال مصادماتهم مع الأتراك:

من دولة السلطان داري خايفة ... أراقب الوادي ولا ادري وش وراه
ماني كما اللي فوق قنّه نايفة ... محارمه عنده، ومطعومه وماه

فرد عليه حاد من الأحامدة من حرب:

ياللي تصيّح ما بك الاّ العافية ... مير انت قبل الخوف طشّيت العباه
نسرح من الفقرة ونمسي الصافية ... وان ثوّر المرمول نمشي في سناه[3]

* * *

ثانيا: المساجلات الودية

رغم أن النقائض تعد من المساجلات الشعرية، إلا أننا فرزنا عدداً منها حين وجدناها تتسم بالودية بعض الشيء، فاعتبرناها من المساجلات الشعرية التي لا تتفق وتعريف

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص245.
(2) التاريخ والعجيلي لمحمد جدوع، نسخة الكترونية.
(3) من مرويات ابن قابل لعبد الرحيم الأحمدي.

(النقائض) في الصفحات السابقة، وأوردنا لها بعض الأمثلة:

من المساجلات قول زوجة الشيخ كنعان الطيار من شيوخ ولد علي من عنزة تمتدح فعل زوجها:

جاكم على قبّاً قحوم ... يا هيه.. ياللي بالشعيب
حرٍّ.. تنفّض مخلبه ... مجرّبٍ.. ضربه عطيب
اليوم.. يومٍ للهدد ... كنعان يا سقم الحريب

فأجابها زوجها كنعان الطيار قائلاً:

لعينيك يا عذب اللمى ... أضرب وانا ضربي عجيب
يا بنت ياللي تنظرين ... تكحّلي.. بفعلٍ غريب
قلع الرمك.. كارٍ لنا ... وملاعب احراب الحريب
إن زغرت الكافر ذبح ... يرحم، ولا اظنّه يعيب[1]

ومن المساجلات قول عبد الرحمن بن فواز الأحمدي الحربي:

لي ديرةٍ مسكانها خالف عليّه ... قبل اقتضي بالدين من عدوانها
إمّا سكنّاها بشلال الدميّة ... والاّ عزفناها، وبعنا مالها

فرد عليه عيد بن راجح الحربي موافقاً لما ذهب إليه، وإن غيّر القافية:

الدار ما تنباع لى صارت مضنّة ... يا شفّ بالي ما عن الكرسي مطير
لازم نقاسيها على نارٍ، وجنّة ... من غيرها ما نرتوي من جمّ بير[2]

ومن ذلك قول الشيخ هذال بن فهيد:

يا نجد.. يا مال العذاب ... عذّبتني طول السنين
ان جيت اصحّح لك جناب ... دايم، وخلاّتك تبين

(1) موجز تاريخ أسرة الطيار لعبد الله بن عبار، ص83.
(2) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص238.

فرد عليه ابنه جهز قائلاً مغيراً القافية:

يـا خبلـكم يـا طـالـبـين الـهـون مـحـدٍ يـخـلاّ مـسـتريـح
نـجـدٍ حـصـان وراكـبـه مجنون دايـم وركّـابـه يـصـيـح[1]

ومنه قول الشيخ كفش الزقروطي عندما سمع أن بعض جماعته قد تعرضوا للغزو في غيابه، فقال يأسى لهم رغم الخلاف الذي كان يفرق بينهم:

عـلـمٍ لـفـا.. مـن لابـتـي يـا دبـيـس اخـاف انّـه صحيح
يـا لـيـتـي حـاضر يـومـهـم كـل يـوم مـع مـرقـب.. نصيح

فرد عليه ابن عمه دبيسان:

لابـةٍ.. لمـولي الـعـتـبـات مـا نـريـد حـضرة يـومـهـم
مـن عـقـبـنـا راحـوا شـمات فـوق الـجـيـاد هـدومـهـم[2]

ومن المساجلات أيضاً قول عبد الرحمن بن مسمار الظفيري يصف حصانه:

الأدهـم ضـيّـع خـطـوتـه ومـرعـيـد في ركـضـه يـزود
لى روّحـن تـالي الـنـهـار يـا ذيـاب لا شـافـه حـسـود

فأجابه سماح بن جدعان المسماري الظفيري قائلاً:

مـرواح الادهـم لاق لي لـولا مـصـاريـعـه يـطـير
أبي.. مـع اوّل لابـتـي ومـا دبّـر المـولى يـصـير
لى صـاح صـيّـاح الـضـحـى مـا اغـبـط ابـو مـالٍ كـثـير[3]

وهذه مساجلة ودية بين الشيخ عجمي باشا السعدون شيخ المنتفق، والشيخ علي الضويحي السويط (قبل المعارك الواقعة بينهما)، وبدأها عجمي قائلاً:

يـا (عـلـي) هـذي ديـرتي ورثٍ لـنـا مـن اجـدودنـا

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص69 - ج2، ص119.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص10.
(3) الذكريات الخالدة لشباط الظفيري، ص113.

وهـذي حـقـوق امـشـرّعـة لـشـهـودهـم، واشـهـودنـا

فرد عليه الضويحي مواقفاً لما ذهب إليه، ويذكر الشيخين ضيدان بن حثلين، وعقاب بن عجل:

يـا شـيـخ.. هـذي ديـرتـك ورثٍ لـكـم مـن الـجـدود
ضـيـدان مـلـكـه في الـحـسـا وعـقـاب مـلـكـه في زرود[1]

ومن المساجلات الودية الطريفة ما رواه السديري من أنه اجتمع في مجلس الشيخ عجمي باشا السعدون ثلاثة من الفرسان هم ابني عمه (حامد بن بدر المشاري السعدون، وعبدالله بن غالب العمر السعدون)، والشيخ ظاهر أبا ذراع، فطلب أن يقول كل واحد منهم أحدية، فبدأ ظاهر، وقال:

أنـا رفـيـقٍ.. لـلـرفـيـق لـيـما تـبـيـنّ لي بـلاه
والـيـا تـجـانـف بـالـطـريـق ارجـع عـلى كـبـده غـثـاه

ثم قال عبد الله بن غالب العمر السعدون:

أنـا رفـيـقٍ.. لـلـرفـيـق عـنـده اجـاهـد عـزوتي
مـعـه، ولـو تـاه الـطـريـق حـتـى يـشـاهـد سـطـوتي

وأخيراً قال حامد بن بدر المشاري السعدون:

أنـا رفـيـقٍ.. لـلـرفـيـق لـيـا قـسـنّ احـبـالـهـا
مـا نـتـركـه لاحـدٍ يـضـيـمـه وربّـك يـدبّـر حـالـهـا[2]

ومن المساجلات قول الفارس (شعلان الصران) يمدح قومه (القشعم) بلقبهم (غوش المشورب) نسبة إلى شيخهم ابن ثويني الملقب بالمشورب، وذلك بعد إحدى الغزوات، والتي قتلوا فيها أحد فرسان خصومهم، واسمه (شذر):

غـوش المـشـورب لابـتـي عـقّـال.. كـدّوا لـلـعـزوم
خـلّـوا شَـذر مـا وادعـوه طـير الـهـوا فـوقـه يـحـوم

(1) عقود الجواهر لطلال الشمري، ص182.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص72.

فقال ذياب السحيم رداً عليه:

جـــاني جـــوابـــك واعـــجـــبن ... يـــالـــقـــرم خـــيّـــال الـــقـــتـــام
غـــوش المـــشـــورب لابـــتـــي ... مـــن بـــعـــدهـــم مـــا لي عـــمام[1]

ومن المساجلات قول حاد من عنزة:

يـــا راعـــي الـــصـــفـــرا الـــقـــحـــوم ... وقّـــف، وابـــا اعـــطـــي واردي
والـــلـــه.. لاصـــل عـــشـــقـــتـــي ... لـــو دونـــه.. الـــف بـــواردي

فردت عليه محبوبته:

أهـــلاً هـــلا.. يـــا صـــاحـــبـــي ... يـــالـــلـــي جـــدعـــت المـــاردي
أنـــت الـــشـــجـــاع الـــلـــي نـــبـــي ... مـــا انـــت الـــذلـــيـــل الـــشـــاردي[2]

وقد ينظم الحداء على الشكل المربوع، ونماذجه القديمة قليلة كما في مفاخرة جرت بين الحوازم والأحامدة من قبيلة حرب بعد مناوشة لهم مع عساكر الأتراك عند باب البحر في المدينة المنورة، فقال شاعر الحوازم:

يـــالـــلـــي تـــحـــطـــنّ الـــخـــضـــاب ... يـــالـــبـــيـــض ســـالـــنّ الـــركـــاب
الـــلـــي قـــعـــد عـــنـــد الـــزهـــاب ... هـــــــذاك.. قـــلّـــت ثـــابـــتـــه

فأجابه شاعر الأحامدة:

يـــالـــلـــي تـــهـــدّنّ الـــشـــعـــر ... يـــا كـــاســـيـــاتـــه بـــالـــزهـــر
ربـــعـــي نـــصـــوا بـــاب الـــبـــحـــر ... يـــوم الـــقـــبـــايـــل.. هـــابـــتـــه[3]

ومن المساجلات أيضاً قول حاد من حرب:

اللي مضى يا شيخنا كيد العدى ... واليوم مالك حسّ يالذيب العزوم
يا طول ما قالوا على البيرق عدا ... واليوم مركز مستريح من الهموم

(1) لكود القشعم لمحمد منير، ج1، ص306.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص174.
(3) من مرويات ابن قابل للأحمدي، ص142، ورأيت في (لباب الافكار) لابن يحيى قصيدة مربوعة على هذا البحر للشاعر إبراهيم المزيد، وهي غزلية، وطويلة نسبياً، وليس فيها من سمات الحداء سوى الوزن، ولذا لم أستحسن إيرادها.

فرد عليه ابن جزا الأحمدي الحربي:

بالعون يالحدّاي ما هو من ردى ... واللي بنى الجدّان للتالي رسوم
نجمٍ على الأمّة من المشرق بدا ... خلّى الحدامى تترك الحق اللزوم[1]

ومن المساجلات أيضاً قول حاد في بادية الشمال يسأل خصمه عن غزوة جرت عليهم:

حـــدّثـــنـــي الـــزرقـــا عـــلـــيـــك ... تـــشـــكـــي، وتـــبـــكـــي حـــالـــهـــا
والـــســـربـــة الـــلـــي جـــت لـــكـــم ... بـــحـــظّـــك اشـــلـــون افـــعـــالـــهـــا

فرد المخاطب عليه معترفاً بالحقيقة قائلاً مع تغيير القافية:

الـــســـربـــة الـــلـــي جـــت لـــنـــا ... مـــزنـــة وحـــمـــق مـــمـــطـــارهـــا
غـــوش الـــدشر مـــا فـــكّـــهـــا ... الـــلـــي صـــغـــير احـــوارهـــا[2]

(1) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص239.
(2) رواية عن أبي (يرحمه الله).

الرثاء:

أثناء البحث في نصوص الحداء وجدنا بعض الأحديات التي قيلت في رثاء بعض الفرسان الذين قتلوا في المعارك أو في رثاء الأموات بشكل عام، وهذه بعض الأمثلة لهذا النوع:

ونبدأ مع العاصي الجربا، وهو يرثي ولده (الهادي) الذي قتل في معركة سنة 1905م، فيقول، ويذكر الشيخ مناور بن سوقي الشمري:

مـــرحـــوم يـــا مـــيـــتٍ لـنـا ... يـــذكـــر لـــنـــا تـــحـــت الـــثرى
يـــالـــهـــادي يـــا لـيـتـك تـقـوم ... وتـــشـــوف عـقـبـك وش جـــرى؟
مـــنـــاور يـطـلـب لـــه حـلـيـب ... يـبـي مـــن الـحـمـر.. اعـــشرا[1]

وهذا أيضاً قول للعاصي يبكي ولده:

يـــالـــهـــادي مـــا انـــسى عـبـرتـك ... كـــود الـجـمـل يـنـسى الـهـديـر
مـــن عـــقـــب فـــقـــدي سربـتـك ... الـدنـيـا مـــن عـقـبـك تـديـر
يـــامـــا وقـــع مـــن حـربـتـك ... راسٍ مـــع الـسربـة كـبـير[2]

وقال عبيد بن شريعيب يرثي الفارس دباس الراوي الشمري:

مـــرحـــوم يـــا راعـــي الـهـبـاة ... عـيّـنـت ربـعـي.. ويـنـهـم؟
عـلـمـي بـهـم يـــومٍ تـــروح ... مـا عـيـنـي شـافـت عـيـنـهـم[3]

وقال قعيد الحفري العتيبي يرثي الشيخ سلطان العبود الذي قتل في موقعة تربة سنة 1337هـ:

وجـــداه يـــا حـامـي الـــردوم ... الـــلي غـــدا يـــومـــه.. صـبـاح

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص197.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص209.
(3) رواية عن الأخ طلال الشمري.

واخـيـالـتـه حـمـرا عـزوم ... يـاطـا بـهـا المـوت الـذحـاح[1]

وقال فراج التويجر العتيبي يرثي الشيخ ناصر بن براز بن محيّا العتيبي بعد مقتله عند (هضبة ذريح) مخاطباً فرس الشيخ الصفراء:

راعـيـك.. يـالـصـفـرا الـنـوار ... خـــليّ ورا هـضـبـة ذريـح
الـشـيـوخ عـقـبـه في دمـار ... أظـــنّ قـلـبـي يـسـتـريـح[2]

وقال حاد من شمر يرثي بعض فرسان قومه:

يـــا ونّـــــــة.. ونّـيـتـهـا ... مـا هـو عـلى عـشـق الـبـنـات
عـــلى نـــــوادي ربـعـنـا ... أهـــل الـــدروع المـبـهـمات[3]

وقال حاد من شمر بعد إعدام الشيخ عبد الكريم بن صفوق الجربا الملقب بـ (أبو خوذه) سنة 1285هـ يتحسر عليه:

يـا (شـمّـر).. بـيـعـوا خيلكم ... مـن يـوم ابـو خـوذه غـدا
بـارواحـنـا.. لـو يـنـفـدى ... نـسـوقـهـا.. دونـه فـدا
مـرحـوم يـا مـلجا الـضعيف ... مـرحـوم يـا بـحـر الـنـدى[4]

وقال حاد من الدهامشة في مقتل الشيخ جديع بن منديل الهذال:

(جـديـع) منّا طـاح بالميدان ... حـامـت عـلـيـه نـسـورهـا
مـرحـوم يـا راعـي الـحصان ... يـا سراج نـجـد، ونـورهـا
خـطـاك فـيـنـا كـبر ابـان ... هـوّ، واكـبـشـات، وقـورهـا[5]

(1) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص79.
(2) بعض مرابط الخيل لتركي القداح، ص75.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص167.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص187.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص197.

النصح:

وجدنا بعض الأحديات التي يمكن اعتبار (النصح) هو الغرض الأساس من نظمها، وهذه بعض الأمثلة لها:

نلتقط قول الشاعر القصيّر القرف الحربي في هذا الحداء الطويل ينصح أخاه بالإقدام:

يا خوي انا باوصيك، وادرا العاقبيّة ... دوس المنايا تعتلي في كّل صوت
لا تحسب انّ الذل.. يدفع لك منيّة ... والعزّ ما يرميك في حومات موت[1]

ويقول موسى بن عتيق الحربي متغزلاً، وداعياً، وناصحاً:

قلبي مع الحمرا الزعول ... ما غلّطه.. زين البنات
يا ربّ.. تعطيني ذلول ... تظهر.. على المتعايلات
والبندق اللي ما تفول ... تطشّ حتى الحايمات
أنصب لها المركى واقول ... لعيونكن.. يالمرزمات
واحذّر البيض الجهول ... عن الردي يالخايبات
شومن لزينين الفعول ... كلٌّ يدور البايناتٍ[2]

وينسب للشيخ محمد بن هندي آل حميد العتيبي قوله، وهو ينصح مقاتليه بالإقدام في المعارك، وذلك خلال حربه مع الأمير حمود العبيد الرشيد:

اللّه.. يلومك يالذليل ... ما شفت بالدنيا طراه
ما يحشم الاّ من يعيل ... والعمر.. ياصل منتهاه[3]

(1) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص237.
(2) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص21.
(3) الفنون الشعبية للدويش، ص139، وزادها بيتين آخرين باختلاف قافية الصدر، ولذا رجحت أنهما من أحدية أخرى يقول فيهما:
لابدّ من كونٍ يصير = على (حمود) ومن تلاه
يا شيخنا شيخٍ كبير = والشيخ تمشي في هواه

وذكر السديري أن أحدية مشابهة نسبت لحاد من العفسة على هذا النحو:

اللّه يلومك.. يالذليل ... ما ذقت للدنيا طراه
ما يسلم الاّ.. من يعيل ... والمنسدح كلٌّ وطاه[1]

وروى الدويش أحدية لمجهول بهذه الصياغة:

يا صاحبي عمّر سبيل ... القلب به شيٌّ حداه
ما يندم الاّ من يطيح ... والمنسدح كلٌّ وطاه[2]

ويقول فاجر السلات العتيبي ينصح بالشجاعة، ومواجهة الأخطار:

عيبٍ على اللي يشرب الفنجال ... ما يقطع الفرجة.. على راعيه
إمّا يخلّي الدمّ له.. وشّال ... والاّ.. يجيب الشّر مستازيه[3]

وقال حاد من الروقة ينصح أحد الشيوخ، ولعله يقصد الشيخ مسلط بن ربيعان، وتنسب إلى فراج التويجر الدماسي العتيبي:

اليوم.. يا (مسلط) عليك اللوم ... في حال، والاّ حال ما نشناك
أنا نذيرك.. يا صحيب القوم ... يمناك لا تقطع بها يمناك
ترى عدوّك لو صفا لك يقوم ... لابدّ.. ما ياطا عالاك[4]

ومن النصائح قول الشيخ مسلط بن فالح الحبشان الحميداني المطيري:

حرام.. ذبحك للذليل ... يالي تروم الطايلة
لى صرت ما تشفي العليل ... من الرجال العايلة
خلّيتهم.. قاعٍ هشيل ... بحدّ السيوف الهايلة[5]

ويعني بحمود ابن عبيد الرشيد، والشيخ ابن ربيعان.
(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص43.
(2) الفنون الشعبية للدويش، ص144.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص287.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص167.
(5) مجلة البواسل، ع4، ص30.

ومن النصح هذه الأحدية للعاصي الجربا:

أشـــقـــر ذويـــبـــه.. عـــذّبـــك واغـــــواك نـــقّـــاض الـجـعـد
بـنـت الـــــردي.. لا تـاخـذه يـجـيـك مـثـل ابْـــوَه ولـــد[1]

ويقول الأمير ضاري بن فهيد الرشيد ناصحاً:

دنـيـــاك، وان هـبّـت هـبـوب يـــا مـــير، واغـــــرف جـمّـهـا
واعـــــرف حـسـابـك لـلـحـروب إمّـــا تـجـيـك.. أو يمّـهـا[2]

وقال الشيخ كفش الزقروطي ينصح ابنه زيدان بالشجاعة:

شـيـل الـمـــتـــازي.. خـلّـهـا عـلـيـك بـالـشـلـفـا الـشـطـير
خـلّـك شـجـاعٍ مـثـل ابـوك زيـــدان.. خـمـدة لا تـصـير[3]

وقال الشيخ جدعان المهيد ينصح فتاة اسمها (نوا):

ال مـا يـــروّي حـربـتـه لا تـاخـذيـنـه يـا نـوا
إن سـاعـف الـلـه والـنـصـيـب مـهـارنـا.. يـردن ســوا[4]

وفي نصح الفتيات بالزواج من الشجعان يقول الأمير أحمد بن محمد السديري:

يـا بـنـت يـا عـين الـغـزيـل يـالـلـي مـقـيـلـك بـالـغـروس
لا تـاخـذيـن الاّ الـغـلـيـم الـلـي عـلـى الـسـربـة رمـوس[5]

وفي نفس الموضوع السابق يقول أحمد السديري:

يـا بـنـت يـالـلـي تـقـرضـين الهيل شـوفـك مـع الـطـيّـب طـفـوح
شـومـي لمـن يحمي جفيل الخيل إن سرّب الـغـوج الـجـمـوح[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص206.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص176.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص11.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص58.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص34.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص34.

وهذه نصيحة من الفارس جري بن هملان السبيعي لفتيان قومه، فيقول:

الـمـــدح يـا صـبـيـان قـومـي مـا يـــاتي الاّ بـالـغـصـايـب
مـــن لا يـفـيـده في شـبـابـه مـا يـدركـه لى صـار شـايـب[1]

والأحدية السابقة نسبها فايز البدراني للشيخ زيد بن كمي، وجاء البيت الثاني لديه بهذه الصياغة:

إن مـا حـصـل بـــاوّل شـبـابـه مـا حـصّـلـه والـــراس شـايـب[2]

كما نسبها السديري للشيخ هذال بن فهيد الشيباني بهذه الصياغة:

الـمـــدح يـا صـبـيـان قـومـي مـا يـــاتي الاّ بـالـنـصـايـب
مـــن لا يـحـوشـه في شـبـابـه مـا حـصّـلـه والـــراس شـايـب[3]

ولعل الأحدية التالية هي أشهر ما قاله البدو في فن الحداء، وهي معروفة في كل بوادي العرب سواء في الجزيرة العربية أو العراق أو الشام أو مصر، والكل يرويها، ويزيد فيها أبياتاً حتى وصلتنا بهذا الشكل، وهي في النصح باختيار الزوجة من المنبت الحسن حيث يقول حاديها المجهول:

عـــرّب ولـيـــدك.. عـرّبـه الـنـــار مـــن مـقـبـاسـهـا
بـنـت الـــــردي لا تـقـربـه لـو هـو طـويـلٍ راسـهـا[4]
الـــعـــزّ.. بـــاوراك الـنـسـا الـــلي عـــريـــبٍ سـاسـهـا
والـــجـــري.. في ربـع الـنـضـا والـخـيـل في أسـداسـهـا[5]

ويقول حاد من الرولة ينصح غيره بالإقدام:

يـا خـايـفـين مـــن الـمـنـايـا الـمـــوت مـا جـا لـه نـذيـر

(1) سبيع الغليا لخالد القريني، ص214.
(2) قصص وأشعار من قبيلة حرب لفايز الحربي.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص123.
(4) الفنون الشعبية للدويش، ص144.
(5) حداء الخيل لسعد الصويان، ص70، والحداوي لمحمد السديري، ج2، ص169، وتاريخ سينا لنعوم شقير، ص372.

الـخـوف مـا فـكّ الـحـبـاري ولا طـوّل الـعـمـر الـقـصـير[1]

وذكرها السديري منسوبة لعدة أشخاص، وهم: (فارس من شمر، وعماش الفقير العنزي، وحاد من المهيد) كما ذكر أحدية مشابهة منسوبة لحاد من بني علي من قبيلة حرب يقول فيها:

يـالـلي تـحـطـنّ الـخـزاري لا تـعـشـقـنّ الـلي يـنـير
الـذلّ.. مـا فـكّ الـحـبـاري ولا طـوّل الـعـمـر الـقـصـير[2]

ويقول حاد يخاطب الشيخ محمد بن تركي المجلاد:

يـا شـيـخـنـا كـبّ الـهـمـل واثـبـت لـيـا جـاك الـنـذيـر
ربـعـك مـحـدّدة الـجـمـل نـطّـاحـة الـجـمـع الـعـسـير
كـلّ المـفـافي، والـزمـل لـو عـانـدك شـيـخٍ كـبـير
حـنّـا لـهـم.. مـثـل الـعـمـل لـيّـا يـتـوب، ويـسـتـخـير[3]

وقال حاد من الرفيع ينصح بمصاهرة الشجعان:

يـالـلي تـدوّر لـك نـسـيـب أعـطـيـك انـا الـعـلـم الـيـقـين
الـعـفـن لا تـطـلـع عـلـيـه ولا يـعـجـبـك لـو هـو سـمـين
خـلّ الـعـفـن لـو طـمّـعـك عـطـهـا.. لـطـلـقـين الـيـمـين[4]

وقال حاد ينصح الآباء بتزويج بناتهم لأهل الشجاعة والفروسية:

الـبـنـت الـلي قـرنـه طـويـل خـسـران يـا مـصـخـي بـهـا
إلاّ.. لابـن عـمٍّ قـريـب والاّ.. لمـعـشّي ذيـبـهـا[5]

(1) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص115: عن موسيل.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص81.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص208.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص199.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص148، ولديه مطلع الأحدية: (البنت يالي قرنها طويل)، وما أثبته أسلم للوزن.

الحكمة:

هناك بعض الأحديات يقدم فيها بعض الفرسان خلاصة خبرتهم مع الحياة، فينطقون بأبيات تحتوي على الحكمة، وقد انتقينا منها هذه الأمثلة:

ونبدأ مع قول الفارس جري بن هملان السبيعي:

الـغـوج لـه حـقٌّ عـلى الـركّـاب مـا هـو مـن المـركى يـحـود
الـروح.. مقفاها مـن الأسـبـاب والـعـبـد يتنى يـومـه المـاعـود[1]

وقال حاد مجهول يذكر أسباب الراحة في الحياة الدنيا:

تـرى الـطـرب يـا اهـل الـطـرب خـزّ الـبـكـار المـسـمـنـات
وتـرى الـطـرب يـا اهـل الـطـرب ركـب المـهـار الـصـافـنـات
وتـرى الـطـرب يـا اهـل الـطـرب أخـذ الـبـنـات المـتـرفـات[2]

ومن الأمثال الشعبية التي جاءت على وزن الحداء هذا المثل الذي يحدثنا عن الطبع الغالب للتطبع:

مـن لا يـسـوقـه مـرضـعـه سـوق الـعـصـا مـا يـنـفـعـه

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص62.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص173.

الاستئذان:

وجدت بعض الأحديات في الاستئذان، فرغبت بأن أفردها في غرض فني منفصل من خلال النصوص الآتية:

قال الشيخ علي الضويحي السويط يستأذن الملك عبد العزيز آل سعود عندما كان إلى جانبه في بريدة، وسمع بأن قومه سيتعرضون للغزو في غيابه:

الـرخـصـة يـا ولـد الإمـام ... وديـارنـا.. عـاده بـلاه

(الـسـودا) لى جـت بـالـرسـن ... قـامـت تـودّي لي.. وصـاه[1]

وأورد السديري أحدية أخرى لعلي الضويحي السويط في نفس المناسبة السابقة، وفي وزنها بعض الاختلال:

نـطـلـبـك الـرخـصـة يـالإمـام ... الـديـرة.. عـاده.. شرّهـا

لابـدّ.. مـن يـوم يـصـير ... أجـلي عـن كـبـدي مـرّهـا

وصّـيـت لـرخـيّـص وصـاة ... الـسـودا.. يـزوّد.. بـرّهـا

عـدوّنـا.. نمـشي عـلـيـه ... عـيـنـه.. بـالـشـبّ نـذرّهـا

قال الفارس رفاعي بن ضيدان العشاي العتيبي يستأذن الملك عبد العزيز في محاربة قبيلة يطلبها بثأر أبيه، فلم يأذن له الملك لأن القبيلة المقصودة حصلت على الأمان منه:

عـبـد الـعـزيـز الـسـدّ مـنّـي بـاح ... أبـيـك تـرخـص يـا عـقـيـد الـقـوم

بـاغٍ أدوّر شـايـبٍ لي راح ... عـلّي الى مـنّـي نـسـيـتـه.. لـوم[2]

(1) عقود الجواهر لطلال الشمري، ص218.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص266.

الشكوى:

ترد بعض الأحديات في الشكوي من الدنيا، والتذمر من تقلباتها، وهذه نماذج لما يمكن أن يندرج تحت هذا الغرض:

يقول الشيخ حمد بن مجدل من شيوخ العمايز من بني خالد في إحدى المناسبات، وهو نص يقف متأرجحاً بين الحداء، والعرضة:

البارحة بالليل انـا.. سهدي يزيد ... والجفن الاقـشر يالربع نومه عداه

سـلام يـا ربـعٍ.. يـعـزّون الرفيق ... ومساعفينه كـلّ مـا يبغى هـواه

يـا لابـتـي مـا عـاد لي حـيٌّ صديق ... واليا بغيت الصلح ما حيٌّ عطاه

صبّوا رصاص الدرج من صافي الحديد ... وقولوا لطلاّب الخطا ينزح وراه[1]

وقال حمود بن عويد الحميداني المطيري يشكو لابن عمه عقوب بن قاسي تفرق قومه:

ربـوعـنـا يـا عـقـوب صـاروا قـوم ... يـا حـيـف مـا هـو ودّنـا

صـار الـعـوض فينا سـدر والـتـوم ... يـا ويـلـهـم.. مـن ضـدّنـا[2]

وفي نفس الموضوع السابق يقول الشيخ عقوب بن فاضل الحميداني:

يـا ربـعـنـا.. شـانـت سـلـوم الناس ... وازريـت لا الـقـى لي دخـيـل

ادخـل عـلى سـيـفٍ يـجـبّ الـراس ... وصـمـعٍ.. تـداوي لـلـغـلـيـل[3]

ويقول حمود بن قاسي الحميداني عندما رحل عنه ابن عمه ثنيان الحميداني:

(ثـنـيّـان) شـدّ، وكـبّـنـا ... واسـتـجـنـب الـصـفـرا الـجـمـوح

(1) رسالة من الأخ درباس المجدل.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص86.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص258، ونسبها لي مسلط بن غازي الحيشان لقالح بن حيشان الحميداني.

والـــيـــا اعـتـنـيـنـا ربّـنـا ... مـا عـنـدنـا بـالـلي يـــروح[1]

وقال الشيخ سلطان بن مهيلب الوسمي المطيري يخاطب الشيخ مشاري بن بصيّص:

يـا بـو مـحـمّـد بـاروا الـصـدقـان ... تـــوّي دريـــت انّـــك رفـيـق
والـلـه لـولا الـقـيـظ والـصـمّـان ... إنّي عـلـى سـلـم الـطـريـق[2]

ويقول الفارس عبد الله بن بلادان العفاسي المطيري يشكو إصابة جواده في المعركة:

لا عـــدت يـا كـــون الـحـروب ... عـاقـوا جـــــوادي.. يـا عـلي
في ســاعــةٍ صـــارت هـبـوب ... يـوم اعـتـلى الـخـيـل اجـفـلي[3]

وقال الأمير ماجد بن حمود الرشيد يشكو هموم الدنيا:

هـنّـيت قـلـبٍ لا عـلـيـه، ولا له ... ولا هـمّـه الـطـارد ولا المـطـرود
ولا حـضـر ركـب الخيل والخيّالة ... ولا همّه: لا سعدى ولا مسعود[4]

وقال العاصي الجربا يشكو إدبار الدنيا عنه بعد مقتل ابنه الهادي، وإقبالها على أخيه عبد العزيز والد عقيل الياور:

الـــبـــيـرق بـــيـرق الـــــدرّات ... والـــيـــــوم.. بـيـرقـنـا نـصـل
الـحـيـل حـيـل ابـــو عـقـيـل ... وحـــيـــلي مـــن الـركـبـة نـصـل
الـــعـــام مـــــشـروبي حـلـيـب ... والـــيـــــوم.. مـــاكـــولي بـصـل
مـــن عـقـب ركـبـــي لـلأصـيـل ... الـــيـــــوم.. مـــركـــوبي عـــصـــل[5]

ويقول ثاني العبيدي الصايحي الشمري يشكو فراق قبيلته بعد رحيلهم:

أريـــــد اصـــلّـــح فـــاطـــري ... خـــــلاوي مـــا عـــنـــدي قـصـير

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص86.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص145.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص230.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص31.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص198.

لا وا حـســايـف لابـتـي ... راحـــوا يـعـطّـون الـنـفـيـر[1]

ويقول علي الضويحي:

يـا ديـــرتي صـــارت عـــروس ... مـــلّـــك عـلـيـهـا الـقـايـلـة
غـــدا بـــهـــا.. ولـــد الـدويـش ... راعـــي الـعـلـوم الـطـايـلـة[2]

وتشبهها أحدية لحاد من سبيع:

يـا ديـــــرةٍ غـــابـــوا هـلـك ... عـــــرّس عـلـيـك الـقـايـلـة
لابـــــدّ.. مـــن دور الـفـلـك ... وتـظـهـر عـلـومٍ طـايـلـة[3]

ويقول ابن سويط يخاطب أبا العلا من العصمة من عتيبة يشتكي له من تنكر الأصحاب:

إن جـيـتـهـم يـا بـا الـعـلا ... أذكـــر لـهـم.. شـلـفـا سـنـين
عـقـب المـــــــودّة، والـغـلا ... يـا مـا حـلا كـسـر الـخـديـن[4]

ويقول غانم اللميع العنزي يشكو من خلافات قومه:

الـلـه يـا ربـــعٍ جـفـونـا ... لـــو بـــدّنـــا مـــن بـــدّهـــم
مـن عـقـب مـا حـنّـا قـرايـب ... الـيـوم صرنـــا ضـــدّهـــم[5]

وقال غانم اللميع العنزي في الشكوى من الخلافات بين قومه:

يـا مـحـمّـد يـا تـالي الـصـديـق ... يـا شـوق مـــردوع الـوشـام
تـقـاطـعـت مـا مـن رفـيـق ... إلاّ رفـيـعـين المـقـام[6]

وفي الشكوى أيضاً هذه الأحدية التي قالتها فتاة من قبيلة عتيبة، وللأحدية مناسبة عندما قتل أخو الفتاة شخصاً من قومه، وأجلي عن دياره هو وأهله، وبعد سنوات أربع مر

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص53.
(2) قاموس البادية لشاهر الأصقه، ص366.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص216.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص150.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص278.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص279.

بهم ركب يقوده الشيخ هذال ابن فهيد الشيباني العتيبي، فرفعت أخت القاتل صوتها، وقالت:

يا ليتني مع ربعة ابن فهيد حتى اتمذّه.. في الحياه
اربع سنين.. وكنّ قيّد.. قيد في دار من لا أعرف لغاه

فلما سمعها هذال توسط لدى أصحاب الدم، ودفع لهم مبلغاً كبيراً حتى تم الصلح.[1]

وقال حاد من شمر:

البارحة نومي قدا والعين عيّت لا تنام
والليلة عقاله يدا لعيون مردوع الوشام[2]

وقال حاد مجهول يشكو بعد إحدى المعارك:

البارحة.. رجلي توسج والعين طار عماسها
ما هاضني كود الخلوج اللي تشقّ لباسها
الله.. على صفرا تلوج الشيخ يذاود راسها[3]

(1) الفريس لمجموعة من المحررين، ص22.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص197.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص178.

الدعاء:

يكثر شعراء الحداء من تضمين أشعارهم بالدعاء لله طلباً للتوفيق في غزواتهم خلال ذهابهم (حسب معتقداتهم)، مما يجعله غرضاً فنياً بحد ذاته، وهذه بعض الأمثلة له:

يقول الشيخ هادي بن ثقل بن رويضان السهلي قبل إحدى المعارك يدعو الله أن ينجي فرسه (الكحيلة)، وولده (عثفر):

ياالله يا منجي الدريك من الملا تنجي الكحيلة من صواديف الشرور
وتفكّ عثفر من مقادير البلا خيّالها.. لى من هبا كلّ امعثور[1]

ويقول جدعان بن فرحان الذراعي الظفيري داعياً الله بالنصر:

من خشم الليفي حدّرت شعلٍ.. تنصّت ديرته
تبي نجوعٍ.. بالسهل بالأمغر شبّت نيرته
ياالله طلبتك.. يالولي إنّه لربعي خيرته[2]

وقد نسبها السديري لعلي الضويحي السويط بالصياغة الآتية، وإن كان قد أشار إلى أنها تنسب لغيره:

من خشم البيضا حدّرت شعلٍ.. تنوّت ديرته
تبي نجوعٍ.. بالسهل بالامغر.. شبّت نيرته
يا هيّةٍ، والله ان تصير مثل اللهب.. سعيرته
ياالله طلبتك.. يالولي تكتب لربعي خيرته[3]

وهذا شاعر من الرولة من قبيلة عنزة يقول سائلاً الله له التوفيق في غزوته:

(1) ضميمة من الأشعار القديمة لسلطان السهلي، ص127.
(2) الذكريات الخالدة لشباط الظفيري، ص113.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص262.

يـالـلـه طـلـبـتـك يـا الـغـفـور ... يـا بـا الـدراج الـعـالـيـة
تـجـعـل لـنـا حـظٌ يـثـور ... بـالاوّلـة، والـتـالـيـة[1]

كما رواها السديري لحاد من عبدة من شمر بهذه الصياغة:

يـالـلـه يـا مـنـشي الـغـيـوم ... راعـي الـدروج الـعـالـيـة
تـجـعـل لـنـا حـظٌ يـقـوم ... لـيـا بـلـتـنـا الـبـالـيـة[2]

وهذا حاد من شمر يدعو قبل إحدى الغزوات طالباً من الله السقيا:

يـالـلـه طـلـبـتـك يـالـجـلـيـل ... تـرمـي الـحـيـا بـديـارنـا
عـاداتـنـا جـدع الـعـديـم ... لـعـيـون جـلّ ابـكـارنـا
والى تـلاقـى سربـتـين ... جـدع المـدرّع كـارنـا[3]

وقال حاد من الرولة يدعو بالسقيا:

كـريـم يـا بـرقٍ سرى ... يـسـقـي الـغـدف ومـعـيّـلـة
يـسـقـي مـداهـل نـوقـنـا ... وضـح، وذراهـا مـنـيّـلـة[4]

ويقول حاد من عتيبة داعياً الله أن يرزقه بفرس صفراء:

يـالـلـه طـلـبـتـك يـالـجـلـيـل ... يـا عـامٍ.. بـغـيـوبـهـا
صـفـرا.. تـلـوّح بـالـشـلـيـل ... تـقـعـي عـلـى عـرقـوبـهـا[5]

ويقول حاد آخر:

يـالـلـه يـالـلي سايـلـه مـا خـاب ... أنـا، وغـيري في رجـاه انعيش
ليا لحقنا بـ امّ نصف اخشاب ... نرهي العشا لمعكّفات الريش[6]

(1) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص52: عن موسيل.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص168.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص178.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص166.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص158.
(6) منتقى الأخبار لخالد القحطاني، ص180، وأم نصف أخشاب نوع من البنادق القديمة.

وقال حاد آخر يدعو:

يـالـلـه طـلـبـنـاك الـهـدى ... والـسـتـر والـعـلـم المـلـيـح
ربـعـي.. مـدابـيـس الـعـدى ... إن حـوّلـوا خـلـف الـطـريـح[1]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص149.

المداعبات:

نظراً لسهولة وزن حداء الخيل، فقد استغله الشعراء في بعض المداعبات الشعرية الطريفة، وهي في الغالب بعيدة عن أجواء المعارك، وقد جمعنا عدداً من تلك الأحديات:

من طريف ما قيل على وزن الحداء، قول نافع بن فضلية الحربي من رفاق الملك عبد العزيز آل سعود، حينما رأى بقرة ترعى (روضة الخفس) خلال إحدى مخيمات الملك في الربيع، والبقرة كانت للأميرة موضي بنت عبد العزيز، فقال نافع هذه الأحدية:

عـيـنـيـك يـا بـقـرة مـضـاوي ... ارعـــي، وحـنّـا مـن وراك
الـخـفـس مـا هـو لـك حـراوي ... مـير المـلـك طـوّل خـطـاك[1]

ويروي الشيخ حمد الجاسر من ذكريات عمله كاتباً للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في هجرة عروا سنة 1929م أنه كان يرهب الظلام، فلا يبعد عن الخيمة حين يخرج ليلاً لقضاء الحاجة، فكان أمير الهجرة الشيخ جهجاه بن بجاد آل حميد يداعبه بهذه الأحدية:

يـا هـيـه يـالـلي في الـشـعـيـب ... عـانـوا حـمـد وسـط الـزهـاب
والـيـا مـشى مـشـيـه دبـيـب ... يـــذلّ.. مـن ردّ الـركـاب[2]

ومن الطرائف ما يروى من أن الشاعر محمد بن مناور المتوفى سنة 1333هـ خرج مع بعض رفاقه من بريدة لزيارة اثنين من أصدقائهم، ولما وصلوا إليهما لم يجدوا عندهما ماء عذباً، فقال ابن مناور يمازحهما، وهاجياً على وزن الحداء:

الـلـه عـلـى طـاسـة حـلـيـب ... ومـسـقّـطٍ بـه سـكّـرة
مـا هـوب مـن ميّ الـشـعـيـب ... لى صـار عـنـد الـحـكّـرة
عـايـد.. غـدا كـنّـه غـريـب ... زرع الأخـيـضـر.. نـكّـره

(1) ديوان الشعر العامي لأبي عبد الرحمن الظاهري، ج3، ص133.
(2) من سوانح الذكريات لحمد الجاسر، ص262.

مـطـغـيـه مـيٍّ بـالـشـعـيـب ... ولا تـنـال مـسـكّـرة
والاّ الـنـجـيـدي مـا يـغـيـب ... الاّ.. ان دزّتـه المَـرَه
عـجـلٍ إلى قـالـت يـجـيـب ... المـكـحـلـة، والمـنـظـرة[1]

كان الشاعر حمد المغلوث جالساً في دكانه بسوق الجت في الكويت، فأتاه أحد الفداوية، واسمه (عبد الجليل) حاملاً بندقيته من نوع (الدكسن)، وأمره بإزالة بعض الأوساخ أمام دكانه، فقال المغلوث:

عـبـد الـجـلـيـل، ودكـسـنـه ... جـانـا، وكـشـحـنـا هـالـسـنـة[2]

ومن طريف الأشعار التي جاءت على وزن الحداء أبيات بعث بها المعلم درويش بن كرم من رعايا أبو ظبي (قبل الاتحاد) سنة 1957م عندما تداعى بنيان مدرسته لتعليم الأطفال إلى حاكم الإمارة يطلب مساعدته على إعادة المدرسة، ومما قال:

يـا شـيـخ نـبـغـى مـدرسـة ... بـنـيـان راعـي هـنـدسـة
طـابـوق، والاّ مـن الـحـصـا ... والأجـر لـك مـا يـنـحـصى

وبالفعل تم بناء المدرسة الجديدة كما أراد درويش بن كرم.[3]

ومن الأحديات الطريفة ما قاله الشاعر نامي بن سعد الثعلي العتيبي عندما رزق بابنه (مطلق) بعد أربع بنات:

يـا غـايـبٍ.. مـن عـام الاوّل ... غـايـب، وقـدّامـك بـنـات
إنـتـه ورا مـا جـيـت الاوّل ... وخـلّـيـتـهـنّ الـتـالـيـات

وقد كبر الابن مطلق، وأصبح شاعراً معروفاً، وتوفي سنة 1400هـ.[4]

ومن طرائف الشاعر عزيز الحنتوشي الغامدي المتوفى سنة 1360هـ وكان أعرجاً لإصابة في الصغر، أنه أقبل ذات يوم ضيفاً على أحد جماعته، فهاجمه كلب قبل أن يصل إلى البيت، فقام الشاعر باتخاذ اللازم دفاعاً عن نفسه، وأنشد هذه الأحدية الطريفة:

(1) من شعراء بريدة لسليمان النقيدان، ج1، ص62.
(2) ديوان حمد المغلوث لعبد الله الدويش، ص62.
(3) مقال لأحمد البحيري بجريدة الاتحاد الإماراتية (1 ديسمبر 2011م).
(4) رسالة من الأخ ماجد بن سليمان العتيبي حفيد الشاعر.

يـا كـلـب صـاح الـلـه عليك ... مـا انـتـه بـتـاكـل لـك عـرج
بـاخـذ عـصـا واومـــي عـلـيك ... والـــهـــوش.. مـفـتـاح الـفـرج

وقد ذهب شطر بيته الأخير مثلاً بين قومه، وما زالت تردده ألسنتهم إلى اليوم عندما يكون (الشر) مفتاحاً (للخير) أحياناً.[1]

ومن المداعبات الثقيلة ما ينسب للشيخ العاصي بن فرحان باشا الجربا، عندما تصالح مع قتلة ابنه (الهادي)، ودعاهم للعشاء، وأوصى بعض خدمه بأن يحدوا بالأحدية الآتية:

يـا (الـعـاصي).. قـطّـع روسـهـم ... لـعـيـون.. مـن ركـب الـحـنـي
(الـــهـــادي).. خـلـيّ بـالمحـاس ... والـجـفـن.. مـا لـجـلـج هني

وذكر السديري أن العاصي لم يكن يقصد خفر ذمة ضيوفه، وإنما أراد ترويعهم فقط.[2]

ومن الأحديات الطريفة قول فارس شجاع يداعب والدته الأرملة:

يـا يمّـه خـــوذي لـك رجـل ... بـلـكـتْ.. ولـد مـثـلي يصير
والـــثـــار لـو عـار الـعـرب ... وايـدي عـلى الـشـلـفـا قـصـير[3]

ويشبه الحداء السابق أحدية لفارس عاد من القتال، وبدل أن يخبر إحدى الفتيات بمقتل زوجها في الغزو خاطبها بهذه الأحدية مقترحاً عليها الزواج مرة ثانية، ومن هذه المفارقة وجدنا أن مكان هذه الأحدية في غرض المداعبات أليق بها:

يـا بـنـت وا شـوقـك غـدا ... مـن فـوق مـشـمـرة الـشـلـيـل
تـــخـــيّـي.. بـــالـــلي بـقـى ... خـــوذي عـلى عـيـنـك حـلـيـل[4]

(1) رسالة من الأخ سعيد بن محسن الغامدي.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج، ص208، الحني: هودج المرأة - المحاس: أرض المعركة.
(3) مجموعة من الأغاني العامية العراقية لأنستانس الكرملي، ج2، ص7، ونسبها حميد السعدون في كتاب (حكايات عن المنتفق، ص187) لشيخ المنتفق ناصر باشا السعدون.
(4) الخيل عند العرب لأحمد محارب، ص182.

الرمزية:

أثناء البحث في نصوص الحداء وجدنا بعض الأحديات التي احتوت على رموز استحقت من أجلها فصلها على حدة، ومن ذلك ما يأتي:

مما يروى عن الشاعر عبيد الشريعيب الشمري أن قومه كانوا عازمين على غزو صديقه (برهة باشا)، ولم يسمحوا له بزيارة صديقه قبل الغزو إلا بعد أن عاهدهم ألا يخبر صديقه بما علم، فلما وصل إلى برهة باشا أنشد هذه الأحدية، ورمّز بها عما يريد أن يعلمه به، فقال:

الـلـلـه.. مـن دابٍ دبـا ... مـا بـيـن ثـوبي وصـايـتـي
أقـــرا.. قـرايـة مـغـربي ... ولـحـدٍ فـهـم.. لـقـرايـتـي
بـلاي مـن جـا مـن بعيد ... وانـــا بـــلاي.. بـلابـتـي
مـا اقـدر.. أبـيـح بـسّرهـا ... يـنـهـدّ.. سـور بـنـايـتـي

وذكر السديري أنهم لم يفهموا المغزى من حدائه إلا بعد الهزيمة.[1]

ولعبيد الشريعيب أحدية أخرى يذكر فيها العاصي الجربا، وتقديمه لأحد أخوته لمنصب المشيخة عندما حاولت السلطات التركية القبض عليه، ويرسم معانيه برمزية قصصية جميلة، فيقول:

تـقـلـيـطـة الـعـاصي لاخـوه ... قـنـيـة مـتـيـن.. لـبـسّـتـه
سـطـت عـلـى نـحـوٍ.. شراه ... دهـــن، وطـــحـــيٍن.. مـسّـتـه
رقـت عـلى اجـراب الـشـحـم ... فـاتـت عـلـيـه، ومـسّـتـه[2]
يـا حـيـف.. يـا شـيـخ الـجـهـام ... فـصـل مـن بـيـتـه.. نـسّـتـه

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص235.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص238.

زبـــن عـــلى الـــســـدرة.. وراه شـــوك الـطـويـلـة.. دسّـتـه[1]

وقال العاصي الجربا يهدد ابن رقيصة من الثابت من شمر بأسلوب يشبه المدح:

وصّـــوا لابـــن رقـيـصـة يـجـي نـكـسـيـه.. مـاهـــودٍ جـديـد
تـسـتـاهـل الـحـنّـا.. يـمـنـاه الـــلي ذبـــح فـــاس الـحـديـد

وفي الأحدية تورية، فالماهود الذي يقصده هو الكفن، والحنّاء هو الدم، وذكر السديري أن الأحدية السابقة قالها العاصي في أول معرفته بمقتل ولده الهادي، وكان يظن أن ابن رقيصة هو قاتل ابنه، ثم تبين أن قاتله فارس آخر.[2]

ويقول الفارس زيد بن عمرو الجربا يحرض قومه على قتال بني متيوت، ويشير برمز لطيف لما فعله النوري المهيد عندما أخذ بثأر ابن عمه إسماعيل من الولدة:

(الـــنـــوري).. ذرّا حـنـطـتـه وحـــنّـــا حـنـطـتـنـا بـتـبـنـهـا
و(الـــنـــوري) داوى عـلّـتـه وحـــنّـــا تـــزايـــد حـبـنـهـا[3]

واختار الشاعر محمد بن قاسم الفيحاني لحن الحداء لنظم هذا اللغز الذي أبدعه ليمتحن به القراء، فقال:

بـنـشـدك يـا راوي الـسـفـير عـــن راحـــلٍ جـنّـت خـطـاه
مـــا راح يـــركـــب لـــه بـعـير ولا بـــجـــنـــحٍ.. في ســماه
مـــا قـبـلـهـا جـــدّ المـسـير ولا بـــعـــد.. يـنـزح وراه
ثـــمٍّ رجـــع داره.. بـغـير تـدبـيـر نـفـسـه مـع هـــواه[4]

ومن الغريب أن يكون الحل هو (روح الإنسان عند الوفاة)، ولكن أليس من المألوف أن يصدر مثل هذا اللغز عن شاب أضناه العشق، والهيام، وعرف أن أيامه باتت معدودة على هذه الحياة، ومات شاباً؟!

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج، ص238.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص194.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص121.
(4) محمد بن عبد الوهاب الفيحاني لعلي الفياض وعلي المناعي، ص266.

ومن الأحديات المحتوية على الرمز ما يروى عن الشيخ حجاب بن محسن بن نحّيت الحربي من أنه كان في زيارة لإحدى القبائل، فعلم أنهم ينوون غزو قوم ضيف الله الذويبي الحربي (والد زوجته فيحا)، فقال حجاب لرجل من حرب أن يبعث لقومه بهذه الأحدية:

لى جـيـت فـيـحـا يـا فـلاح ســلّـم عـلى نـجـل الـعـيـون
شـــالـــوا عـــلى شـقـحـا مـلاح دون الـعـلَـم.. لا يـنـزلـون

فلم يفطن القوم المعتدون لمقصده، ولما وصلت الأحدية إلى فيحا أخبرت أباها بأن حجاباً يقصد من البيت الثاني أنهم قادمون للغزو، وينصحهم بالتحصن بجبل (العلم) الحصين، وبالفعل انتقلوا إلى الجبل المذكور، ولم يتمكن خصومهم من مباغتتهم.[1]

(1) مجلة البواسل، ع6، ص23.

الغزل:

بلحنه الراقص، وسهولته على الارتجال استغل العشاق لحن (الحداء) في التغزل بمحبوباتهم، ومزجوه بالحماسة، فكان ينعش أرواحهم خلال المعارك، وبعضهم استخدمه كغرض شعري خالص، وسنعرض للنوعين عبر بعض النماذج كالآتي:

أولاً: الغزل أثناء القتال:

يقول الشيخ الفارس حزام بن معضد بن عامر بن خرصان العجمي المتوفى سنة 1339هـ، وقد دفن في باطن الشبك، ويذكر في هذه الأحدية زوجته علياء بنت وقيان الدوسري:

لعيون عليا نهار الهوش طبّيت — لى كمّلت فتنة صبيّ الهواوي
بنت من ينطح الزلبات عدّيت — والى عدوني مزبّنة الجلاوي
يا ليت يطرونه بالسوم يا ليت — لاشريه لو كان حجّيره غلاوي[1]

وقال مبارك الكميت الهاجري متغزلاً أثناء القتال:

يالغرو يا ضافي الدليق — يالي ممانك غالية
شومي لمن يحمي الوسيق — يثني جواده تالية[2]

ويقول الشيخ جدعان بن نايف المهيد العنزي:

الزين والله يا غزير الزين — عين المها ومرودٍ بوشام

(1) رواية عن الأخ طلال بن خرصان العجمي.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص21.

وش عذرنا عن دعّةٍ بالخيل — ونردّها.. معروكةٍ قدّام[1]

ويقول الشيخ خلف الأذن متغزلاً في إحدى المعارك:

مزيونةٍ.. لونه شقاح — ما احلى سواد عيونها
إلى ارتكت على المطواح — العمر يرخص دونها

وذكر السديري أن الأحدية السابقة رويت له أيضاً منسوبة لشمري بهذه الصياغة:

البنت اللي زينه شقاح — نجلٍ سواد عيونها
واليا ارتكت فوق السناح — العمر يرخص دونها[2]

وقال الشيخ ساجر الرفدي متغزلاً أثناء إحدى المعارك:

يا بنت يا شقرا الجدايل — يا عين ريميّ الجلد
إلى تعلّينا الأصايل — عدوّنا يشرب نكد[3]

وقال الفارس سعود بن مجول الشعلان:

الترف يا غصنٍ رجوح — ردّوا قعوده.. يا علي
والله ما اخليّ الرفيق — لو الدرك يلحق علي

وذكر الأمير السديري أنه رويت له أحدية مشابهة منسوبة لمشعان بن بكر العنزي بهذه الصياغة:

الترف يا غصنٍ يميل — اقهر جميله يا علي
ما يلحقه.. باعٍ طويل — لو الدرك يلحق هلي[4]

وقال سند بن ذويبي الرويلي خلال إحدى المعارك:

مزيونةٍ عند الفريق — حلوٍ.. سواد عيونها

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص57.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص93.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص127.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص139، وج2، ص57.

إن التقينا بالمضيق العمر يرخص دونها[1]

وقال الشيخ مشعان بن بكر العنزي متغزلاً خلال إحدى المعارك:

إن شرّعت خيلٍ بخيل يا بو زميّم.. راعني
إلى ارتهب عقل الذليل ليتك تشوف امطاعني[2]

وتشبهها أحدية لحاد مجهول يتغزل:

يا بو زميّم.. حبّني ما دام انا، وانته جميع
على نهودك.. ضبّني لين النسم منّي يريع
وان ما فعلت يسبّني واخليّ العاصي يطيع[3]

ويقول الشيخ زيد بن مطلق الصديد شيخ الصايح من شمر متغزلاً خلال إحدى المعارك، ومفتخراً:

لعيون غروٍ.. للذهب لبّاس عفرا كما ظبي الحزوم
كم شيخ قومٍ نضربه بالراس والطير من فوقه يحوم[4]

وهذه حداة نسبها موسيل، والسديري لحاد من الرولة، ونسبت أيضاً للشيخ ضاري بن برغش الطوالة حيث ذكر العريفي أن حمود السبهان أفاد بأنه سمع بأن ضارياً تمثل بها:

لابس زبون، وجبّة والموت والله ما طرا
لعيون من عطتني حبّة وامّه، وابوها ما درا[5]

ومثله قول الفارس حنس بن محمد بن جديع الديحاني:

نشبع مدابيح النسور والذيب لى منّه عوى
لعيون لجّاج الخصور وقذيلته.. تلعب هوا[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص149.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص56.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص215.
(4) عقود الجواهر لطلال الشمري، ص93.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص138.
(6) تاريخ الدياحين لحمدان المطيري، ص286.

وقد نسب السديري الأحدية السابقة للأمير عبد العزيز الرشيد، كما نسب أحدية مشابهة للفارس زعيطر بن غشم الرويلي خلال حربهم مع بني صخر بهذه الصياغة:

لعيون من تلبس زبون وقذيلته ريش بهوا
يستاهله.. خطو الولد ليا ركب فوق اشعوا
نرمي العشا للي يحوم والذيب لى منّه عوى

وذكر السديري أنه كانت على الهودج (عميرة بنت حمد الشعلان) أخت سطام الشعلان، وكانت عميرة تنخاهم، وتشجعهم، وتستثير حميتهم، فاستماتوا عندها بالقتال.[1]

ومن الغزل الرمزي حيث تصبح الأرض فتاة جميلة تقدم لها الأرواح رخيصة في وقت القتال يقول عبد الله بن رميزان بن شويع السبيعي:

سوق الثغر بنتٍ عروس ريح النفل بقرونها
عذرا.. تمدرى بالوروس كلّ العرب يبغونها
من دونها دفق النفوس مستبسلين دونها[2]

ومن ذلك قول حاد من ولد علي من قبيلة عنزة:

يا بو قرون مجدّلات مرشرشاتٍ.. بالذرير
اللي يبي حبّ البنات يرخي رسنها والجرير[3]

ويقول حاد من الشعلان:

عشيقتي.. لقيتها يوم الزوامل.. مقفيات
لولا الحيا حبّيتها لا يا بعد.. كلّ البنات
نحمي حماها وبيتها يوم السبايا.. مسرجات
من العدى فكّيتها والخيل راحن مقفيات[4]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص120 - ص228.
(2) سبيع الغليا لخالد القريشي، ص297.
(3) حداء الخيل لأحمد العريفي.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص159.

ويقول حاد من الرولة:

اطعن لعينا بنت ابن قبلان أخت الذي زبن الطريح
العين عين مشذّر الغزلان عشيقها.. ما يستريح[1]

ويقول حاد من الرولة خلال القتال:

يا شوق يا زين المذارع يا عود ريحانٍ رجوح
إمّا حمينا لك مشارع والاّ عن الديرة نروح[2]

وتشبهها أحدية نسبها السديري للشيخ سلطان الطيار، وهو متأخر عن زمن موسيل راوي الأحدية السابقة، وجاءت على النحو الآتي:

يا بنت يا عين المها يا عود ريحانٍ.. يفوح
إمّا نصفّي مشربك والاّ عن الديرة نروح[3]

ويقول حاد من الرولة:

نشمية.. تركح لنا واحلو غزّة عودها
ملبوسها ريش النعام ومدلّلٍ.. قعودها
رشوشها.. الدم الحمر والبزر طلع نهودها[4]

وقال حاد من شمر نادماً على اندفاعه في القتال من أجل الفتاة التي تحمسهم:

يا حيسفا يا كسرتي للعود من شان عريان البنات
يا زين.. ما حسبك بيوق يالترف يا عين المهاة[5]

ومثله قول الحادي يخاطب الفتاة التي تحمسهم أثناء الحرب:

يا هيه، يا راعي القعود ومقلّدٍ.. ريش النعام

(1) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص69: عن موسيل.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص205.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص141.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص83: عن موسيل.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص162.

القلب من يمّك يهوب والعين عيّت لا تنام[1]

ويقول آخر:

لعيون من لبس الحرير شقرٍ.. ذاويب راسها
والريا تلاقوا.. بالوعد والشيخ في محاسها[2]

وقال حاد متغزلاً أثناء القتال:

يا بنت.. لا لا تندمين إن قيل عشّيقك أنا
أضرب على وسط الكمين يوم البنادق له سنا[3]

ويقول حاد من الرولة خلال المعركة متطلعاً للفتاة الجميلة التي تحمسهم على هودج جملها:

أرخصت عمري والفرس دون الجمل واللي عليه
يا بو قرونٍ.. كالمرس وا قلبي مشتاقٍ عليه[4]

ويقول آخر:

يا بو ثمانٍ.. دقّهنّ ازمام يا زين ما تعطي الوجب
عاداتنا نرمي العديم اشمام من فوق.. نايّ الحجب[5]

ويقول آخر:

يا بو خديدٍ كنّه القرطاس ومعورجٍ.. دقّ الأبر
اللي خليله ما كسب نوماس وش عاد لو جاه الخبر؟[6]

ويقول آخر:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص203.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص69: عن موسيل.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص195.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص70، والمرس هي الحبال.
(5) ديوان الشعر العامي لألبرت سوسين، ص77.
(6) ديوان الشعر العامي لألبرت سوسين، ص75.

يـا بـنـت يـالـلي عـالمـصـيف ... طـلـيّ وشـوفي خـيـولـنـا
وانـتـي تـغـاوي.. بـشـعـرك ... وحـنّـا غـوانـا افـعـولـنـا[1]

يقول آخر:

الـراجـعـة.. مـا ريـدهـا ... الـلي تـسـلّـك حـالـهـا
مـا ريـد انـا كـود الـطـمـوح ... الـلي تـعـاف ارجـالـهـا[2]

وتشبه الأحدية السابقة أحدية نسبها السديري لعيد أبا العويرا الحربي بهذه الصياغة:

ويـن انـت يـا شـوق الـطـمـوح ... الـلي عـافـت ارجـالـهـا
الـخـدّ.. يـا بـرّاقٍ يـلـوح ... مـن مـزنـةٍ يـرقـى لـهـا[3]

ويقول آخر:

مـا اريـد انـا بـنـت الـذلـيـل ... لـوّ ايـتـواضـا.. خـدّهـا
أريـد انـا بـنـت الـكـريـم ... الـلي عـريـبٍ جـدّهـا
اتـعـب عـلى بـنـت الـزعـول ... لـو ادبـحـوا.. يـردّهـا[4]

وتشبهها أحدية قالها العرد الدهمشي العنزي بهذه الصياغة:

الـلـه عـلى ركـب الأصـيـل ... الـلي سريـعٍ.. ردّهـا
مـا اريـد انـا بـنـت الـذلـيـل ... لـو هـي مـلـيـحٍ خـدّهـا
أريـد انـا بـنـت الـشـجـاع ... الـلي عـريـبٍ جـدّهـا

كما نسبها السديري بصياغة مقاربة للشيخ ناصر بن عقيل العتيبي.[5]

* * *

(1) عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا، ص314، والأصل: وحنا نغاوي افعالنا، وعدلناه ليستقيم الوزن والقافية.
(2) الديوان الأثري لشاهر الأصفه، ص191.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص276.
(4) الديوان الاثري لشاهر الأصفه، ص191.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص244، ج2، ص89.

ثانياً: الغزل الصرف

وقد وجدنا في تراث الحداء عدداً من الأحديات التي قيلت في الغزل الصرف، وبث مشاعر العشق والغرام، وهذه بعض الأمثلة لهذا الغرض الفني:

يقول الفارس ذاير بن حمدان الديحاني متغزلاً:

عـيّـنـت خـلـيّ يـا خـلـيـل ... هـو شـدّ، والاّ فـوق مـاه
أبـو هـدب عـيـنٍ ظـلـيـل ... يـا ربـح تـجّـارٍ شراه
بـالـقـيـظ مـا ذقـنـا الـمـقـيـل ... والـجـيـش نـرقـع في حـفـاه[1]

ويقول حماد الصديد:

يـالـزرف.. يـا دقـاق الـهـيـل ... يـا مـرتـكي فـوق الـحـنـي
اقـهـر قـعـودك عـنـد ركـز الخيل ... ولـك مـزبـنٍ عـنـدي هـنـي[2]

ويقول سعيد الجميشي متغزلاً:

يـا ونّـةٍ.. ونّـيـتـهـا ... والـدمـع مـن عـيـنـي ذرف
عـلى عـشـيرٍ مـرّني ... مـنـزل هـلـه.. دايـم طـرف[3]

وقال الشيخ متعب بن فهد بك الهذال متغزلاً، وقد كرّر قافية العجز:

يـا صـاحـبـي قـل لي هـلا ... والـغـيـظ.. لا يـطـري عليك
الـقـلـب.. مـلـيـانٍ غـلا ... ولابـدّ مـا نـقـبـل عـلـيـك[4]

وقال متعب بن فهد الهذال يتغزل بابنة عمة مها بنت فهد بن دغيم الهذال:

أهـلاً هـلا بـك يـا مـهـا ... يـا عـين ظـبـي الـنـازيـة

(1) تاريخ الدياحين لحمدان المطيري، ص289.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص82.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص139.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص23.

القلب.. يرجح يمّها والعين.. ما هي عازية
اللي خفيفٍ دمّها يا عنز ريمٍ جازية

وذكر السديري أحدية مشابهة منسوبة لحاد من الدهامشة بهذه الصياغة:

يا بنت يا شقرا الذوايب يا عين.. ظبي النازية
القلب من يمّك يهوب والعين ما هي عازية[1]

وقال متعب بن فهد الهذال متغزلاً:

يا ونّةٍ.. ونّيتها ما هي على كثر وقليل
لي عشقةٍ.. مرّيتها ما طبّها مربط عقيل
خشف المها حلّيتها اللي ترتع.. بالمسيل
يا ليتني.. حبّيتها في سنّة المولى الجليل[2]

وقال عوج بن دهام الدوحا الفدعاني العنزي متغزلاً:

ياما حلا شوف الحبيب بايّام.. زمّات الجهل
وانا سقاني صاحبي من ذبّلٍ.. مثل العسل[3]

ويقول حاد من الحريرة من شمر متغزلاً:

الله.. على هويتي اللي هله عيّوا بها
لا وا هني من لايمه اللي حريرٍ ثوبها[4]

ويقول حاد من الفدعان متغزلاً:

سلّم على صافي الثمان عشيره بالسربة دوى
ياما حلا حبّ الشعير ليا قضبته والتوى

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص24.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص24.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص271.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص78.

يفرح ليا قالوا رحيل علّق لواليح الهوى[1]

ويقول حاد من الرولة يشكو رحيل محبوبته عن دياره:

البارحة.. خليّ قريب واليوم بسّ ديارهم
دع بالك الرجم الطويل غديك تطالع نارهم[2]

ويتغزل حاد من الرولة أيضاً، فيقول:

يا خليف وا قلبي غدا ما بين دليّل والرثوع
يا اهطيل لوّ تشوفها ما تلبس الغدفة دلوع[3]

وهذا حاد آخر من الرولة يتغزل، فيقول:

يا ونّةٍ.. ونّيتها باقصى الضماير حايرة
ليتي شناشل طوقها والعب.. على ضمايره[4]

والأحدية التالية تشبه سابقتها حيث يقول شاعرها:

يا ونّةٍ.. ونّيتها والناس ما دريوا بها
يا وا هني من جاضعه بين البريم، وثوبها[5]

ومثله قول الحادي، وقد تساهل في قافية العجز:

يا راعي الحمرا الشنوف وا حلو شبشة راسها
ياما حلا.. حبّ الهنوف وملاعبٍ.. بفراشها[6]

ويتغزل حاد آخر، فيقول:

يا بو ثمانٍ ذبّلٍ، وارهاف عذّابةٍ لبا الهوى

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص201.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص55: عن موسيل.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص201.
(4) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص204.
(5) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص273.
(6) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص82.

وقذيلته ريش النعام ارداف يلعب بها صلف الهوا[1]

وقد نسبها الأمير محمد بن أحمد السديري لأبيه، وهذا لا يرجح لكون سوسن ذكرها في كتابه الصادر سنة 1317هـ، وهو سابق على السديري المتوفى سنة 1354هـ، ولديه عجز البيت الأول: (ذبح لطرّاد الهوى).[2]

ويقول آخر متغزلاً:

يا بو خلاخيل وزميم والخدّ.. برّاقٍ يلوح
ياما حلا قضب البريم والعمر صيّوره يروح[3]

ويقول آخر متغزلاً:

يا عمّي وا بنت الغراوي تبغيني وانا اريدها
واليا تخطّت بالحضاوي خذت قليبي بيدها[4]

ويقول آخر متغزلاً:

يا شوق عطني حبّتك ملكوش غصنٍ توشّع له حرير
يا بو ثمانٍ مثل درّ البوش والخدّ به ريح الذرير[5]

ويتغزل آخر، فيقول:

لي جيت مزبور النهد يا امعيدي سلّم لي عليه
أبو ثمان مجلّيات والقلب.. ملقوعٍ عليه[6]

ويشكو آخر من فراق محبوبته، فيقول:

زلّ الربيع وحودروا للقيظ والغرو ما وقنا عليه

(1) ديوان الشعر العامي لأبرت سوسن، ص75.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص53.
(3) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص183.
(4) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص171.
(5) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص176.
(6) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص191.

يا بو نهودٍ كنّهنّ البيض والقلب وجلانٍ عليه[1]

ويقول آخر، وفي غزله بعض الطرافة:

كم واحدٍ راعي نظر في ذا الهوى تاه الدليل
يرعى خليله بالنظر لو هو عوَر.. ما له مثيل[2]

ويقول حاد عاشق:

يا بنت وا ويلي عليك وانتي بعد ويلك علي
إنتي هلك عيّوا عليك وانا هلي.. عيّوا علي[3]

ويتغزل آخر، فيقول:

يا بنت وا قلبي اشربك شرب القراح بالقايلة
يا بنت والله ما اعرفك مير ان جعودك مايلة[4]

وقد نسبها السديري للشيخ سلطان الطيار، وهو متأخر عن موسيل راوي الأحدية.[5]

ويتغزل آخر قائلاً:

لي صاحبٍ خواتمه عشر يرجس كما مهرة شريف
أبو جديلٍ ينهصر هصر وقذيلته ذيل العسيف
أبو جديلٍ ينشره نشر شعره على متنه يهيف[6]

ويقول حاد متغزلاً:

يا راكبٍ.. همیلعي راعيه ما يومي عصاه
يا من ذكر لي صويحبي يا دايره.. يا من لقاه

(1) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص200.
(2) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص144.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص200.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص84: عن موسيل.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص142.
(6) الخيل عند العرب لأحمد محارب، ص180.

أرعـــى مــع ذويـــــدٍ عـزيـب ... ومـــــزرفـــلٍ.. يـــمّ الـفـلاه
ولا لـقـيـت الاّ.. الـخـلا ... والـــذيـــب جـــلاّفي عـــواه[1]

ويقول آخر:

لي صـاحـــبٍ زيـــنٍ شـقـاح ... حـــلـــوٍ.. ســـواد اعـيـونـهـا
لى فـــرّعـــت عـــلى المـبـطـاح ... الـعـمـر يـرخـص دونـــهـــا[2]

(1) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موسيل، ص320.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص80: عن موسيل.

تكريم الخيل:

كانت الفرس أغلى ما يملك الفارس من متاع الأرض، فهي ركوبته يوم الوغى، وعليها يكر ويفر، ولذا كان العرب يشترون (المهر بمائة ناقة) كما قال الأمير بدر بن عبد المحسن في إحدى قصائده.

وهذا إعرابي فصيح هو أبو الأعور السلمي يصف حصاناً أصيلاً من سوابق الخيل مرتجزاً، فيقول:

مـرّ.. كلمع الـبرق.. سـام ناظره ... تـسـبـح أولاه، ويـطـفـو آخـره
فـما يمـسّ الأرض منـه.. حـافـره[1]

وقد وجدت عدداً من أحديات الخيل العامية التي تدور في هذا المعنى، وانتقيت منها هذه الأمثلة:

قال الشيخ حمد بن جلاب المري يذكر إكرامه لفرسه الأصيلة:

اركـــب عـــلى الـــلي زيّـهـا ... مـثـل الـوضـيـحـي يـــوم ذار
ومـــســـودســـين.. حـذيّـهـا ... وغـبـوقـهـا ســور الـحـوار[2]

وقال محمد بن جابر المري يصف حبه لفرسه:

قـلـبـي تـــولّـــع.. بـالـهـبـود ... والـــنـــفـــس لـحـقـت حـدّهـا
شـبّـهـتـهـا ظـبـي الـنـفـود ... وسـهـيـل لمـعـة خـــدّهـــا[3]

وقال الشيخ فيصل المرضف المري يصف فرسه:

صـديـا كـمـا وصـــف الـغـزال ... والاّ المـهـــاة المـســتـذيـرة

(1) قبيلة آل بن علي العتوب لعبد الله آل بن علي، ص78.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص83.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص36.

يـا زيـنـهـا بـالـدرع والـسروال تـقـدع شـبـا وجـه المـغـيرة[1]

ويقول علي الضويحي السويط يوصي بإكرام فرسه الأصيلة:

يـا عـلي كـاني مـا حـضرت الـسـودا.. زيـدوا بـرّهـا
بـاغٍ.. إلى حـلّ الـلـزوم أجـلا عـن كـبـدي مـرّهـا[2]

ولعلي الضويحي السويط أيضاً في إكرام الخيل يخاطب ولده:

يـا رخـيـص بـرّوا سابـقـي حـطّـوا مـع الـحـنـطـة شعير
والـيـا تـلاقـن سربـتـين مـا هـمّـنـي كـسـب الـبـعـير[3]

يقول علي الضويحي السويط أيضاً يوصي سائسه بسقي فرسه (حميدة) من حليب النوق، وهو خير ما تسقى به الخيل:

احـلـب لـحـمـيْـدة يـا ولـد احـلـب لـهـا وارهـي الـحـلـيـب
نـبـي لـيـا لـحـق الـطـلـب نـفـرق حـبـيـبٍ عـن حـبـيـب[4]

والأحدية السابقة تنسب أيضاً للشيخ فرحان الأيدا من شيوخ ولد علي من عنزة بهذه الصياغة:

احـلـب لـفـريـجـة يـا ولـد احـلـب لـهـا زيـن الـحـلـيـب
بـاغـي لـيـا زان الـطـرد تـفـرق حـبـيـبٍ عـن حـبـيـب[5]

وقال جدعان العرد العنزي يصف حصانه:

غـوجٍ شريـتـه بـالـقـعـود يـا ربّ سـمّـت بي عـلـيـه
إلى ردعـتـه.. بـالـعـنـان مـن الـسـطـر يـرفـع يـديـه
أي لـيـا لـحـق الـطـلـب أطـوّح الـعـاشـق عـلـيـه[6]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص307.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص262.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص263.
(4) الخيل عند العرب لأحمد محارب، ص206.
(5) منتقى الأخبار لخالد القحطاني، ص169.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص56.

ويقول حميّر البلعاسي العنزي مفضلاً الخيل على الهوى والغرام:

مـا اريـد انـا عـشـق الـبـنـات عـشـيـقـتـي.. لـقـيـتـهـا
إلى تـلاقـن سربـتـين عـلـى الـكـمـيـن ارخـيـتـهـا[1]

وتنسب للشاعر سمير بن راشد الشفيع العنزي هذه الأحدية موصياً ولده (حربي) بالاعتناء بالفرس، فيقول:

حـربي اولـدي بـرّ الـفـرس ربـيـع قـلـبـي.. زولـهـا
مـاني مـثـل خـطـو الـولـد الـلي يـروز اعـدولـهـا[2]

والأحدية السابقة قالها سمير على منوال إحدى أحديات معاصره الفارس المعروف شعلان الصران من القشعم، وكان يكنى بأبي حربي، وحفيده (حيال بن حربي بن شعلان) شاعر معاصر التقيته، وسمعت منه بعض الأخبار عن جده، وقد حدثني أبي (يرحمه الله) ببعض أحديات شعلان، ومنها قوله:

حـربي اولـدي بـرّ الـفـرس هـذي الـذيـبـة.. يـعـنـبـوك
والـلـه.. لـولا افـعـالـنـا لـو سلّـمـت مـا وجّـبـوك[3]

وهذه أحدية تنسب لولد الفارس عقاب العواجي، قالها وهو صغير يحدث نفسه بركب الخيل، وأخذ ثأر أبيه:

يـا مـا حـلا ركـب الأصـيـل وتـجـوز لي.. هـذبـاتـهـا
مـع سربـةٍ مـا هـي قـلـيـل عـلـى الـعـدو.. عـيـلاتـهـا

وذكر السديري أنها رويت له أيضاً منسوبة لأبي هذبات الشملاني، كما رواها موسيل منسوبة لحاد من الرولة.[4]

وقال نادي الرهيف الرويلي يرفض بيع فرسه للشريف منتقداً من يفعلون ذلك، ويذكر الشيخ نواف الشعلان:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص90.
(2) الخيل عند العرب لأحمد محارب، ص168.
(3) رواية عن أبي (يرحمه الله).
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص255، وحداء الخيل لأحمد العريفي، ص57: عن موسيل.

لي عـنـدٍ مـا ابـيـعـهـا ... مـا قـدتـهـا عـلـى الـشـريـف
والـلـي يـبـيّـع سـابـقـه ... تـجـارتـه رزّ، ورغـيـف
أبي مـع اوّل لابـتـي ... مـتـقـلّـدٍ.. مـوزر خـفـيف
مـع بـيرقٍ جـيـشـه حـمـر ... نـوّاف نـقّـال الـرهـيـف[1]

وقال الشيخ محمد بن سقيان المطيري يصف فرسه:

قم يا سعيّد واحلب الذيدان ... واحلب لها الوضحا الصعود
يا زين حاركها مع الذرعان ... والـراس.. مـحـرافـه سـنـود
بـاغٍ.. إلى جا للرمك ميدان ... أروي عـلـيـهـا.. كـلّ عـود[2]

ويقول الشيخ سعود الفغم المطيري يصف فرسه:

حـمـرا تـفـصّـل لـلـعـنـان ... الـلـي مـعـروفٍ بـيـتـهـا
أبي.. لـيـا ثـار الـكـتـام ... مع درب الضيق ارخيتها[3]

ومن تكريم الخيل قول الشيخ هابس بن عشوان العبيوي المطيري:

يـا خـالـد واحـلـب لـلـفـرس ... الـبـرّ.. قـدّام الـلـزوم
وان كـان عـلّـقـت الـجـرس ... حـطّـه عـلـى الـشـقـحـا الـردوم
حـطّـه عـلـى نـاقـة نـدا ... لـيـا تـواقـعـنـا الـوسـوم
نـبـرا لـهـا.. عـن ضـدّهـا ... نـرمـي الـعـشـا لـلـي يـحـوم[4]

وأهدي للفارس فهاد بن خلف المقهوي الصعيري المطيري المتوفى سنة 1336هـ حصان من قبل أحد أصدقائه، وكان ذلك الصديق قد قايض الحصان بخمس وعشرين ناقة، فقال فهاد:

الـغـوج معجبني بـزيـن الـذيـل ... وانـا عـلـى الـغـوج انـتـحـيـت

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص88.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص37.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص137.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص113.

باغيه ليا لحقني شليل الخيل ... واطـعـن لـيـا مـنّـي بـغـيـت[1]

وعن فرس الشيخ راكان بن حثلين الحمراء، ذكر الأمير محمد السديري أن الإمام عبد الله الفيصل طلب منه فرساً من مربط الحمراء، فأبى راكان ذلك، وقال:

يـا حـيـف.. يـا ولـد الامـام ... يـبـغـي مـن الـحـمـرا.. قـوّد
أبي.. لـيـا جـت خـيـل (يـام) ... لـيـنـي.. عـلـى مـثـل الـفـهـد
نـبـي نـخـرّب.. هـالـكـمام ... حـتـى.. نـشـيـخ بـهـالـبـلـد[2]

ويقول الشيخ سعد بن حويلة العجمي يصف فرسه الأصيلة:

أركـب عـلـي الـلـي كـنّـهـا ... شـيـهـانـةٍ.. حـلّ الـهـداد
صـفـرا.. عـلـى اوّل سـنّـهـا ... تـلـحـق مـعـيّـلـة الـطـراد
مـا كـلّ مـا جـا عـنّـهـا ... إلاّ يـعـرّضـهـا الـسـنـاد[3]

ويقول سعد بن حويلة العجمي يذكر عنايته بفرسه:

لي سـابـقٍ.. بـدّيـتـهـا ... عـلـى (فـلاحٍ).. بـالـغـبـوق
أبي.. لـيـا هـدّيـتـهـا ... نـرهـي عـلـيـهـم بـالـلـحـوق[4]

وقال الشيخ ناصر بن خليل الهاجري يذكر فرسه:

لي سـابـقٍ.. زيـنـه هـذيـب ... عـقـرت وانـا مـا اصـخـيـتـهـا
صـفـرا مـحـنّـاة الـسـبـيـب ... عـلـى الـبـلا دزّيـتـهـا
شـلـفـاي مـا تـحـيـي الـصـويـب ... مـن ضـدّنـا.. روّيـتـهـا[5]

ومثل ذلك قول حزام بن مشوط من المصارير من قبيلة الدواسر:

شـبـنـان، بـرّ الـغـوج لا تنساه ... احـلـب لـه.. الـمـلـحـا الـردوم

(1) مجلة البواسل، ع19، ص73.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص113.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص129.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص130.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص93.

يـا زيـن غـوجـي، والـرمـك تتلاه ... لى عـرّضـوهـن صحصحٍ واحـزوم
لى صـاح صـيّـاحٍ، وكـلٌّ جـاه ... وقـت المـزاحـم ننصف المظيوم
الـعـايـل الـلي زارنـا جـيـنـاه ... زرنـاه.. في وقـت الـلـزوم[1]

وقال الأمير محمد السديري (الأول) يوصي أيضاً بالاعتناء بفرسه:

احـلـب لـهـا.. عـن الـظـما ... قـبّـاً.. كـما عـنـق الـفـريـد
تـشـدي.. لـقـوّاد المـهـا ... تـزهـا حـوافـرهـا الـحـديـد
تـسـبـق طـيـورٍ.. بـالـسـما ... والـحـق عـلـيـهـا الـلي بعيد
ولا درهـمـت يـمّ الـثـما ... جـمّاحـةٍ تـلـعـا وريـد
تـارد عـلى حـوض الـدمـا ... عـيـبٍ عـلـيـهـا.. مـا تـحـيد
ضرب الـبـنـادق وان حمى ... تـرزم، وأركـبـهـا عـنـيـد[2]

ومن أحديات الشيخ مناحي الهيضل العتيبي، وهو يوصي صانعه، وسائسه بالعناية بسلاحه، وفرسه، فيقول:

يـا حـسـين ورّش حـدّهـا ... حـتـى مـضـاربـهـا تـبـين
كـم سربـةٍ نـحـتـدّهـا ... كـلّ الـقـبـايـل خـابـريـن
قـم يـا الـعـبـيـدي بـدّهـا ... واحـلـب لـهـا الـشـقـحـا السمين
صـفـراً سريـع ردّهـا ... تـخـمـر لـيـا شـدّ الـجـريـن[3]

وقال عوض أبو راسين الحربي:

قم يا حسن احلب لها المشعاف ... احـلـب لـهـا.. الـحـمـرا الـردوم
أبي لـيـا عـدّى الـرقـيـب وشـاف ... خـيـلٍ.. تـنـازا.. بـالـحـزوم
يـا مـسـنـدي، وانـا عـلى المـشراف ... إن جـيـت ابـا اردعـهـا تـزوم[4]

(1) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص23.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص30.
(3) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص94.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص273.

وقال عوض أبو راسين في فرسه (عويّضة):

يـا لـيـت ركـض عـويّـضـة قـد بـان ... سبق النظر يـالـلي تـحـقّ الشوف
لي حـربـةٍ.. صـنّـاعـهـا حـملان ... مـا تـشرب الاّ مـن غـزيـر الجوف
مـضرابـهـا بـالـصـدر يـالـجـذعـان ... والـلـي مكذّبني لابـدّ ايـشـوف[1]

ويقول جريد بن نكثان الحربي:

أخـوي شـارٍ لي أصـيـل ... الـلـه يـطـوّل لي.. بـقـاه
أردّهـا.. قَـفـو الـذلـيـل ... والـعـمـر.. يـاصـل مـنـتـهاه
لـعـيـون مـنـسـوع الـجـديـل ... الـلي عـلى مـتـنـه حـواه[2]

ويقول ابن جعيدان الحربي:

الـحـمـد لـلـه رزّقـت بـحـصـان ... مـا نـاشـهـا بـالـخـشـم نـوش
مـن مـالـده عـطـيـتـه الـسـبـقـان ... مـا يـلـهـج الـحـمـرا الـعـمـوش[3]

وقال الشيخ ضاري بن برغش الطوالة يذكر فرسه السوداء في هذه الأحدية، وقد تساهل في قافية العجز:

سـودايَ جـلـمـدهـا طـويـل ... مـا نـسّـهـا.. دقـل الـغـذا
مـغـذّيـة.. لـطـراد الـخـيـل ... تـركـض عـلى سـوّ الـبـلا[4]

وقال شليويح العطاوي يذكر مهرته، فيقول:

تـضرب بـالاربـع كـلّ ابـوهـن صف ... المـهـرة الـلي بـالـرسـن مـطـواع
إن قامت اطـراف الجموع تصف ... في مـاقـفٍ يـوم الـعـمار تـبـاع[5]

وهذا مسعد الوطارق العتيبي يذكر فرسه:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص273.
(2) قبيلة الوهوب لخضر الحربي، ص240.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص63.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص174.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص161.

لي سابقٍ يدها عطيب ... وابطى علي بروّها
وان ناحرت خيل الحريب ... تطرح عشاها توّها[1]

وقال الشيخ مناحي الهيضل العتيبي عندما جاءه كتاب من أحد الحكام يطالبه بتسليم حصان كسبه في إحدى المعارك:

جاني الكتاب مزرّفٍ بهروج ... لا نيب لا كاتب ولا قاريه
يا بدر مطلوبٍ عليّ الغوج ... والغوج لا بايع ولا معطيه
عنانه.. بلحيانه.. يسوج ... عابيه للهيجا، وانا راعيه[2]

وللشيخ شبيب بن حجنة النفيعي هذه الأحدية يصف فرسه:

لي سابقٍ تسبر نجوم الليل ... تبغى الحرايب.. سرمدا
أخذ الدبش جرعان قدم الخيل ... والرزق.. ساع انّه بدا
تبا خشوم عريقيه، والريل ... وتبغى.. مراة، وثرمدا[3]

ويقول الشيخ جزا أبا العلا العصيمي في تفضيل الخيل على الإبل، فيقول:

لو هي بملكي زينة الحجبان ... شقرا مع الصانع هبود
لاتيّه الفاطر مع الغزلان ... مع درب برّاق الرعود[4]

وقال الفارس بليهيد بن رسّام الثبيتي العتيبي يصف حصانه:

الغوج ليته حاضرٍ قبل امس ... لعلّ زلبات الرمك.. تفداه
لولاي امكّن له.. مشدّ الخمس ... خطرٍ على المصراع من يمناه[5]

وهذا حمدان بن بشر السبيعي من الزكور يصف فرسه، ويذكر فعله على ظهرها يوم القتال، فيقول:

(1) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص89.
(2) بعض مرابط الخيل لتركي القداح، ص67.
(3) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص60.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص64.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص42.

أنا.. على صفراً دجور ... صفراً تصفّ من القرين
أحمي بها راعي الحدور ... وامنع بها.. ذرب اليمين
تركض على صوت السبور ... وتقلط على الجمع الرزين
ويا نوم عيني يالزكور ... من دون جرعات الحنين[1]

ويقول تركي بن راكان السبيعي يصف حصانه:

غوجي شريته بالثمين ... وامّه.. عريبٍ بيتها
اطعن، وارويّ حربتي ... لعيون من حبّيتها[2]

وقال الشيخ فدغوش بن شوية السبيعي يصف فرسه:

باكر ليا جا بالعرب شوباش ... لا حد يجي الفلو الصغير
حمرا تلاقي ذيلها والراس ... هذيك للعود الكبير
باغٍ عليها كسبة النوماس ... لى ضيّح العمر النظير[3]

وقال الشيخ فراج بن مذكر العماني السبيعي يوصي بالعناية بجواده:

يا صانع.. اقطع للجواد ... عشرين واربعة واربعة
صفرا كما ظبي الحماد ... ولها شليلٍ.. ترفعه[4]

وقال الشيخ مسلم بن مجفل السبيعي في فرسه:

يا راجح عطها من حليب الذود ... أبيه.. للصفرا جزا
أبي عليها نطحة الصابور ... إن نار دوّار الخزا[5]

ويقول الفارس خالد بن بندر البراك السعدون في شراء الخيل، وعدم استشارة النساء في ذلك الأمر:

(1) سبيع الغليا لخالد القريني، ص139.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص45.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص288.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص291.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص52.

شريت صفرا من الرمك تزهي جديد اصدارها
مانى مثل خطو الولد دنّق عليها، وشارها[1]

ومن تكريم الخيل هذا الحداء الذي قاله الحاج عبد الله الفضل ويلمسون، وهو بريطاني صاهر البدو، وكان قبل إسلامه يسمى (ريتشارد ويليامسون)، وقام سنة 1938م بإهداء فرس (كحيلة) للملك عبد العزيز آل سعود، وكان خلال الطريق إلى الرياض يرتجز قائلاً:

لو عادلوها.. بالذهب القول، والله ما نبيع
يستاهلك ملك العرب اللي على الشيمة منيع
زيارة أخو نورة طرب قمرا، وليالي ربيع[2]

وهذا حداء مشهور ينسب لأحد الشبان في بادية الأردن يوصي أمه ببرّ مهرته حتى تكبر، ويغزو عليها، فيقول:

يا يمّه برّي مهرتي تكبر، وانا خيالها
واشري لها شفٍّ حمر ومهدّبٍ.. يبرا لها

وتروى الأحدية السابقة بصيغة أخرى هي:

يا يمّه غذّي مهيرتي تسلم، وانا خيّالها
واشري لها سرجٍ جديد وريش النعام اقذالها[3]

ويروى البيت الأول بصياغة ثالثة:

يا ربّ تخلّي امهيرتي تكبر، واصير خيّالها[4]

وهذا حاد من قبيلة بني صخر عندما طلب أهل معشوقته فرسه كمهر لعروسه، فرفض ذلك قائلاً:

(1) رواية عن أبي (يرحمه الله).
(2) الخيل عند العرب لأحمد محارب، ص272.
(3) ديوان الشعر العامي لأبي عبد الرحمن الظاهري، ج3، ص19.
(4) عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا، ص314.

يا طارشٍ لابن جدعان الحمرا.. ما نسوقها
أخير من حبّ الهنوف رفّة شليلي فوقها[1]

وهذا حاد من قبيلة حرب يذكر مهرته من بنات (نصير)، وهو حصان من مربط الحمدانية، فيقول:

من لا تخيّل من بنات انصير يموت، وديته ما قضاه
من فوقهن نرمي العشا للطير بمشلشلٍ عود القنا يبراه[2]

ويقول حاد من الرولة مطالباً عمه بشراء فرس له:

يا عمّ واشتر لي جموح يا بدّ.. ما هي صايرة
لابدّ من يوم يصير فيه القلايع خايرة[3]

وهذه تشبه أحدية نسبها السديري للزبدة من المفضل من شمر، وقيلت في معركة جراب سنة 1915م بهذا النص:

يا قالةٍ تبي تصير تلقى القلايع خايرة
زيزومها.. ولد الأمير خيّال وضح الذايرة[4]

ويقول أحد موالي المهيد:

يا عمّ واشتر لي سبوق والسيف والدرع الحديد
كل هيّةٍ حنّا قفاك وحلّ مركاض العبيد[5]

وقال حاد من السبعة من عنزة يحثّ زوجته على العناية بحصانه:

يا هانة برّي غوجنا لما يجي صدر وقطاه
عليه.. عودٍ يستحي إن دبّرت خيله ثناه[6]

(1) قبيلة بني صخر لخالد المطيرات، ص135، ولديه عجز البيت (الحمرا ما نبيعها)، وما عدلناه أصح قافية ويحمل نفس المعنى.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص154.
(3) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص56: عن موسيل، والحداوي لمحمد السديري، ج1، ص159.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص119.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص196.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص341.

وقال حاد من عنزة يصف فرسه:

لي مهرةٍ تـوّه رباع ... حايل، ولا شبّيتها
بشهود ربٍ حاضرين ... على الحريب ارخيتها[1]

ويقول حاد من شمر مفضلاً ركوب الخيل على ركوب الإبل:

ما اريد انا ركب الذلول ... لو زيّنوا لي اشدادها
أريد انا حمراً شنوف ... حمراً سريع اورادها[2]

ولهذه الأحدية صياغة مشابهة نسبها السديري لحاد من الحريرة من شمر كالآتي:

ما اريد انا ركب الذلول ... لو زيّنوا لي شدّها
أريد انا الحمرا الجموح ... اللي سريعٍ ردّها[3]

وقال حاد من شمر:

الله على الصفرا الصهاة ... تتلّني، واتلّها
متقلّدٍ.. سيفٍ صقيل ... وشلفا تداوي غلّها[4]

وقال حاد من سبيع:

الله على الصفرا العموش ... كنّ المشوبش راسها
منوة شجاعٍ.. ما يهاب ... خيل السرايا داسها[5]

وقال حاد يوصي من لا يستحقون الخيل ببيعها:

يا اهل السبايا اللي مع الأرفاق ... تصّرفوا.. باثمانها
وانا على اللي ما تداني الساق ... عنيت يمّ احصانها

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص179.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص53: عن بلنت.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص79.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص158.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص157.

أردّها، وان دبّر المشفاق ... إن حوّلوا بارسانها[1]

وقال آخر يصف فرسه:

حمراً تحوند حوندة ... كنّ المخايل ذيلها
لى روّحت خيلٍ بخيل ... تفتكّ تالي خيلها[2]

ويقول آخر:

غوجي طفر سبع اجرعات ... والنشمي يوحي من بعيد
لولا الزلل نسمة هوا ... لو مزنة قفّاها رعيد[3]

ويقول آخر:

غوجي تلهله بالسما ... يشبه عصافير الجراد
أشوف قربت خطوته ... من ازبار وكّر بالحماد[4]

وقال حاد يصف فرسه:

لي سابقٍ دايم زهوف ... تاقف على عرقوبها
أبرّها.. برّ الريوف ... حليب نياقي ذوبها[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص194.
(2) الديوان الأثري لشاهر الأصقه، ص191.
(3) مجموعة الأغاني العامية لأنستانس الكرملي، ج2، ص6.
(4) مجموعة الأغاني العامية لأنستانس الكرملي، ج2، ص6.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص205.

تكريم الإبل:

بقيت للإبل مكانتها عند أبناء الصحراء، ولم تغب عن أشعار الحداء حيث كان الفرسان على ظهور خيولهم يتبارون في المعارك للدفاع عن إبلهم التي تعد أغلى ما يمتلكون، وهذه بعض الأمثلة التي اخترتها تدور في هذا المعنى:

قال الفارس لافي بن معلّث الديحاني في حماية إبله:

قم يا ولد، علّق على مسعود ... لا بايعٍ ذودي، ولا مهديه
إن هجّ من شقّ الجهامة ذود ... ألحق.. بجزّارة.. عليه
كم سابقٍ.. مع ثورة البارود ... ركّابها يركض على رجليه
لعيون.. من دقّ الوشام السود ... الذيب يشبع والرخم يتليه[1]

وقال الشيخ محمد بن هندي آل حميد العتيبي:

يا حيسفا يا فاطري ... وخُذت مع نياقٍ عزيب
يا ليتني.. حضرتها ... من فوق مشعثة السبيب
على العبيّة.. كنّها ... عذرا تراعي للخطيب[2]

وقال الشيخ خلف الأذن الشعلان في إبلهم (العليا):

ترعين يالعليا الخطر ... ترعين، والدايس يدوس
ترعين بظلّ احرابنا ... ونشبع الذيب الفروس

كما روى السديري أحدية مشابهة، ونسبها لحاد من العجرش من شمر بهذه الصياغة:

ترعين يا حمّ الذرا ... ترعين والدايس يدوس

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص14.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص42.

واللي يجيك من العدا ... نرميه للذيب الفروس[1]

وقال الشيخ برجس بن مجلاد:

شقحا تهجرع بالحنين ... عن الوخام امهايمة
تنخاك يا ذرب اليمين ... دام الحرايب قايمة[2]

وقال مهجع بن عون الجعفري العنزي يذكر حمايته لناقته:

لي فاطرٍ ترعى المحير ... يا حلو درّ اشطورها
يا ما حلا ذبح العقيد ... ليا لفى.. يدورها[3]

وقال راشد بن ليلي العريفي الظفيري:

ثلاث جوني عندهن ... بلوني.. يبون الطيوح
وشّي حياتي عقبهن ... من غيرهن يا وين اروح؟[4]

ويقول رباح بن فهد بن مريخان الحربي هذه الأحدية في تكريم الإبل بالمرعى الطيب، ولو أدى ذلك للحرب:

غرز العشاير يرتعن ساحوق ... مرباع.. حلوات الحليب
يمّه نسرّح لايقات النوق ... وش عاد لو زعل الحريب[5]

وقال قاطع الهرف الشمري يذكر عنايته بإبله:

ترعين يالشقحا الطيوح ... وعن الخطر ما اردّها
وابرا لها فوق الجموح ... والشلفا نروي حدّها[6]

وقال ابن مصطفى شيخ العبيد من عشائر العراق:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص93، وص239.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص40.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص81.
(4) قبيلة الظفير لبروس إنغام، ص227.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص115.
(6) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص307.

لـعـيـون.. شـعـلٍ روّحـن تـسـمـع بـهـن دنّ الـجـرس
مـا طـبّـهـن نـاقـة عـمـيـل ومـعـذّيـات عـن الـدنـس[1]

قال حاد من بني خالد يحمي إبله:

يـا هـجـمـةٍ جـت تـحـتـدي والمـوت.. يـعـرض دونـهـا
وان زرفـلـن حـيرانـهـا الـعـمـر يـرخـص دونـهـا[2]

وقال شاعر من المِقطة من عتيبة يحاول إثناء الشيخ نجر بن شبيب بن حجنة عن عزمه على بيع إبله، عندما تركوا حياة البداوة، وبدأوا بالاستقرار في الهجر:

يـا نـجـر.. تكفى لا تبيع الـذود مـا اخبلك يـالـلي بالثمن تطريه
ضرّب عـلى شيخة مـن المـاهـود زيـن الـقـوايـم.. راسـهـا تطريه
وان طعت شـاري خيّلوا مسعود صفرا صـهـاةٍ.. فاللقا.. ترهيه[3]

وهذا قول لحاد من الرولة يتعهد بحماية إبله، فيقول:

تـدلّـهـي، وارعـى هـواك يـا حـايـلٍ.. مـع فـاطـري
والـلـي يـردّك عـن هـواك عـلـمـه هـذاك مـا يـنـطـري[4]

ومثله قول حاد من الرولة:

شـقـحٍ.. تـعـوّد لـلـرحـول يـوم الـصـبـي دوهـا لـهـا
تـشره عـلى الـلـي يـطـعـنـون يـوم الـجـنـب.. يـبرى لـهـا[5]

ويقول حاد من الرولة يوصي بالحفاظ على الإبل، ويذكر فوائدها:

يـا نـايـمٍ عـن فـاطـره مـجـهـول عـيـنـه لـلـسـهـر

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص61.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص152.
(3) بعض مرابط الخيل لتركي القداح، ص68.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص118، والأصل: (هذاك علمه ما ينطري)، والتعديل قمت به ليستقيم الوزن.
(5) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص119: عن موسيل.

حـلـوبـتـه.. ركـوبـتـه جـلـوبـتـه يـوم الـدهـر[1]

وقال حاد من شمر:

لي فـاطـرٍ مـا اردّهـا تـرعـى نـواويـر الـنـبـات
كـم سربـةٍ.. نـحـدّهـا إن ذلّ عـشّـيـق الـبـنـات
أبـري لـهـا.. عـن ردّهـا مـن فـوق حـيـلٍ مـكـرمـات[2]

وقال حاد من قبيلة حرب:

عـيـنـاك يـالـشـقـحـا الـطـفـوح يـالـلـي تمـدرا بـالـجـرس
إن مـا حـمـيـنـا لـك جـنـاب وش عـاد نـبـغـي بـالـفـرس؟[3]

ويقول حاد:

عـلـيـك يـالـشـقـحـا الـصـعـود يـالـلـي بـالـريـش مـدلّـلـة
تمـهّـلـي، وارعـي هـواك والـلـي يـجـيـك نـذلّـلـه[4]

(1) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص120: عن موسيل.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص153.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص139.
(4) مجلة المها، ع3، ص47.

مخاطبة غير العاقل:

خلال بحثي في تراث الحداء وجدت بعض الأحديات التي يقوم الحادي خلالها بتوجيه خطابه للديار وبعض الحيوانات التي تشاركه الحياة في ساحات الحروب، وحياة الصحراء، وقد اخترت منها (الديار، والخيول، والإبل، والذئاب، والطيور) كأبرز النماذج لما كانوا يتوجهون إليه في أحديات الخيل، فكانت هذه الباقة من الأحديات:

أولاً- الديار:

قال الفارس لافي بن معلث الديحاني يخاطب نجداً:

يـا نـجـد صـاح الـلـه عـلـيـك ... صـحـتـي عـلـيّ الـقـايـلـة
مـن اوّلٍ.. ابـكي عـلـيـك ... والـيـوم مـا هـي حـاصـلـة[1]

وفي مخاطبة مدينة (هجر) تروى هذه الأحدية للفارس سعد بن حويلة العجمي يذكر دخول الأحساء في الحكم السعودي، فيقول:

يـا هـجـر يـا زيـن الـغـروس ... وخـذتِ مـنّـا الـقـايـلـة
غـدا بـك الـسـبـع الـفـروس ... الـلـي مـضـت فـعـايـلـه[2]

ومثله قول موسى المحمدي السليمي من قبيلة حرب يخاطب أحد وديان قومه، ويفخر في هذه الأحدية بقومه:

يـا وادٍ عـشـبـه تـثـنّـى ... حـلّ الـشـتـا مـا ازيـن ذراك

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص15.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص130.

الـلـي حـمـوك اخـوان بـنّـا ... يـوم الـدخـن عـجّـه غـطـاك[1]

* * *

ثانياً- الخيل:

ومع مخاطبة الفرسان لخيولهم نبدأ مع القول المنسوب للملك عبد العزيز آل سعود خلال معاركه مع ابن رشيد:

يـا سـابـقـي حـرّم عـلـيـك ... شَـبْـوَ الـحـصـان الـلـي عـريـب
بـالـبرُّ انـا بـارهـي عـلـيـك ... مـادام ابـو مـتـعـب حـريـب[2]

وأفاد الأمير محمد السديري أن قائلها هو والده أحمد بن محمد السديري، وقالها على لسان الملك عبد العزيز.[3]

وهذه أحدية مشهورة قالها الفارس الشيخ راكان بن حثلين في معركة الطبعة سنة 1277هـ عند اقتحامه للصفوف، والخروج من المأزق الذي فرض عليه:

يـا سـابـقـي مـا مـن مـنـير ... جـمـعـين والـثـالـث بـحـر
والـلـه لابـوج لـهـا الـطـريـق ... لـعـيـون.. بـرّاق الـنـحـر[4]

ويروى أول الأحدية السابقة أيضاً بصياغة: (يا ربعنا ما من مطير)، و(يا سابقي ما من رفيق)، و(ما من طقيق)، وتروى أيضاً (يا ربعنا وش ذا المضيق)، والأشهر ما سبق في المتن، ورواها إبراهيم القاضي على الشكل الآتي:

يـا ربّـنـا مـا مـن مـطـير ... شـطّـين والـثـالـث بـحـر
نـفـوج بـالـسـربـة طـريـق ... لـعـيـون بـرّاق الـنـحـر[5]

(1) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص20.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص20: عن المارق.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص34.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص113.
(5) خزانة التواريخ النجدية لعبد الله البسام، ج8، ص42.

ومن الطريف أننا وجدنا لدى (ألبرت سوسين) أحديتين على نفس الصياغة يبدو أنهما قيلتا على نمط أحدية راكان، ولكنهما ركيكتا المعنى والمبنى لمجهولين. تقول الأولى:

يـــا ربّـــنـــا مـــا مـــن مـطـير شـــطّـــين، والـــثـــالـــث اصراه
حـــنّـــا خـــــدام لـــلـــوزيـــر وعـــســـاكـــرٍ لابـــــو قـــنـــاه

والثانية:

يـــا ربّـــنـــا مـــا مـــن مـطـير قـــفـــطـــان يـــوقـــف بـــالـــعـــلاه
حـــنّـــا خـــــدّام لـــلـــبـــعـير وعـــســـاكـــرٍ دون الـــبـــنـــاه[1]

وقال عبد الله بن خلف المحرول الحربي:

يـا سـابـقـي شـاريـك مـن عيشان بـعـشرة وحـاديـهـن قـعـود
والـيـا تـلاقـوا الـفـرسـان أقـدم بـهـا يـمّ الـعـمـود[2]

ويقول متلع المهري العتيبي في مناخ الرشاوية مخاطباً فرسه:

يـا سـابـقـي.. يـحـرم عليك النوم والـصـبـح مـركـاضـك عـلـى الـدخّـان
والـلـه لَـعـوضـك فـي نـهـار الـيـوم الـصـبـح لـى جـا لـلـرمـك مـيـدان[3]

ورأيت من ينسب الأحدية السابقة للفارس شويمي بن نشا العصيمي العتيبي، كما نسبها الأمير محمد السديري للفارس عالي الفجري العتيبي، كما نسب أحدية مقاربة للشيخ ناصر بن عقيل، ونسبها أيضاً للفارس بطي الطرّاق الهاجري، وذكر أنه قالها في معركة الطبعة سنة 1277هـ بهذه الصياغة:

يـا سـابـقـي يـحـرم عـلـيـك الـنـوم والـصـبـح.. مـيـرادك عـلـى الـدخّـان
إن جـا نـهـارٍ فـيـه بـيـع، وسـوم نرمي العشا لمخفّق الجنحان[4]

ويقول الشيخ جهز بن هذال بن فهيد الشيباني:

(1) ديوان الشعر العامي لألبرت سوسين، ص75.
(2) أحديات وألقاب لفايز الحربي، ص207.
(3) أحديات وألقاب لتركي القداح، ص81.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص42، وص212 - ج2، ص88.

يـا سـابـقـي مـانـي عـلـيـك بخيل الـبـدو.. نـووا بـالـشـديـد اعـجـال
ان جـا نـذيـرٍ هـاجـدٍ.. بالليل وكـلٌّ لـبـس درعٍ عـلـى مـشـوال
أنـا عـلـيّـه ضـفّ تـالـي الـخـيـل وانـتـي عليك تـوسّـعـين الـبـال[1]

ويخاطب الفارس المعروف فاجر بن شليويح العطاوي العتيبي فرسه ممتدحاً فعالها، وقالها أمام الشريف الحسين بن علي:

يـا مـهـرتي يـالـلي تـشـعّ الـذيـل والاّ.. ذراعـك خـابـرٍ مـاضيه
نـبـي عـلـيـهـا.. عـنـد تـالـي الخيل والجيش الى حـرّف عـلـى تاليه[2]

والأحدية السابقة تنسب أيضاً لأبيه شليويح، والراجح أنها لفاجر.

ويقول الشيخ تركي بن سداح بن محيا العتيبي يخاطب حصاناً اشتراه، ودرّبه بعد أن باعه صاحبه الأول لأنه لم يتمكن من ترويضه:

يـالـغـوج شـاريـنـك مـن المـبـاع يـوم ارخـصـك عـقـب المـطـيـح
نـبـي عـلـيـك ارخـايـة المـصـراع لى دفـلـج الـراعـي.. يـصـيـح[3]

ويقول مشهاب العوهلي السبيعي:

يـا سابقي لى شـاف حـيـفٍ حيف تـاطـا الـحـشـم مـا كـنّـهـا تـاطـاه
يـا زيـنـهـا بـالمـرشـحـة، والسيف والمـلـبـس الـلـي غـالـيٍ مـشـراه[4]

وقال فيحان بن زريبان المطيري في معركة كنزان:

يـا سـابـقـي مـا مـن طـرادٍ زيـن رمـيـة شرودٍ.. مـن بـعـيـد
لى قـال يـا هـبّـاس. نـاد حسين تـشـاوروا ثـم اطـلـقـوا سرهـيـد[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص69.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص285.
(3) بعض مرابط الخيل لتركي القداح، ص69.
(4) سبيع الغليا لخالد القريشي، ص296.
(5) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص88.

وذكر السديري أنها نسبت أيضاً لفيصل الدويش، ونسبت لغيره، وسرهيد هو المدفع.[1]

وقال عياش القروع الجعفري العنزي:

يـا سـابـقـي عـجـل الـهـذيـب — خـلّـك.. مـع اوّل لابـتـي
عـن المـعـارة.. لا تـغـيـب — مـن شـان اروّي حـربـتـي[2]

وقال الشيخ سالم بن شافي الهاجري رافضاً بيع فرسه الأصيلة:

يـا سـابـقـي مـا نـيـب بـيّـاع — لـو قـيـل بـالـفـينٍ.. تمام
أبـغـي لـيـا ذبّـت مـع المـهـيـاع — وذلّـوا.. مـكـثّرة الـكـلام
لـكـنّـهـا مـن بـيـنـهـم مـزّاع — لـعـيـون مـن ردّ الـسـلام[3]

وقال حاد من سبيع:

يـا سـابـقـي حـقّـي عـلـيـك — رفـع المـعـنّـق، والـشـلـيـل
وانـا بـعـد.. حـقّـك عـلي — أقـلـط عـلى هـاب الـذلـيـل[4]

وقال حاد من شمر:

يـا سـابـقـي مـا اكـبـر غـلاك — قـام ايـتـزايـد.. بـالـضـمـير
يـا كـبـر حـظّـي في قـراك — إن حـجـحـجـن خـيـل الأمـيـر[5]

* * *

ثالثاً- الإبل:

وفي مخاطبة الإبل يقول الفارس ذيب بن شالح بن هدلان القحطاني يفخر بفعاله في

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص301.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص275.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص127.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص163.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص182.

هذه الأحدية:

يـا فـاطـري واشـكـي عـلى الجذعان — لـعـلّ فـيـهـم.. مـن يـبـرّق فيك
والاّ، فـحـنّـي وانـخـي الشيبان — وارمـي بـصـوتٍ وازهـمـي راعيك
راعـيـك اظـنّـه ولـد ابـن هـدلان — يـا فـاطـري وامـشي عـلى طـاريـك[1]

ويقول الفارس رباح بن فهد بن مريخان الحربي:

يـا فـاطـري مـا لي جـدا — مـار اطـلـبـي.. ربٌّ رمـاك
تـرعـيـن.. بـاشـنـاق الـعـدى — وارخـصـت عـمـري مـن وراك
مـا لـحـقـنـي.. يمّـك ردا — تمـشـين والـلـه في هـواك[2]

ويقول الشاعر عبيد الشريعيب الشمري يمدح متعب الحدب شيخ الثابت من قبيلة شمر، وولده صعب:

يـا فـاطـري وان قـلّـوا الـفـرسـان — يـحـمـاك.. مـتـعـب ووالـده
لـه مـنـزلٍ في نـازح الـديّـان — شـيـخٍ خـذا الـطـيـب اوحـده[3]

ويقول حاد من شمر:

يـا فـاطـري وش هـيّـضـك — قـمـتـي تـجـرّيـن الـحـنـيـن
لابـدّ مـن رعـي الـطـرف — والمـرتـع الـلي تـشـتـهـين
عـاداتـنـا.. رعـي الـخـطـر — بـقـبٍّ.. يـشـادنّ الـشـنـين
والى تـلاقـن سربـتـين — نـرمـس عـلى وسـط الـكـمـين[4]

* * *

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص110.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص115.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص236.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص171.

رابعاً- الذئب:

يقول ابن سليم، ولعله أمير عنيزة المشهور:

يا ذيب يا عاوي على المرحوم أسهرتنا بعواك.. يا سرحان
كان انت جوعانٍ. فدوك القوم تلقى العشا شيخٍ وبنت احصان[1]

يقول الفارس حثلين بن دغيّم بن هديب الفريدي الحربي يرثي حصانه (عشيش) الذي عقر في إحدى المناسبات، فيقول:

يا ذيب لا تاكل وريد اعشيش طلق اليمين السابق المطواع
عليّ.. ردّة خيلهم، والجيش وعليّ طرحة شيخهم بالقاع[2]

وقال حاد:

يا ذيب يا ذيب النظيم ازعج.. لذيب مشدّقة
كم جادلٍ ترجي الحليل وعقب الطراد امطلّقة

ونسبها البدراني للشيخ محمد الذويبي الحربي برواية مقاربة.[3]

وقال حباب بن هريس العصيمي:

يا ذيب يالي بالعشا عويت دوك العشا بمعيقلات
يا ليتني حضرتهم يا ليت يوم العزاوي بالخوات[4]

ويقول الفارس سفر بن مبارك الغويري الدلبحي العتيبي:

يا ذيب شِعر انص اكبشات واصبر علينا اربع ليال

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص147.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص74.
(3) أحديات وألقاب لفايز البدراني، ص23.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص72.

تلقى.. عمارٍ وافيات بين اليمن واهل الشمال[1]

ويقول خليف بن موطان الفداغي الشمري:

يا ذيب البيضا لا تغيب ارقب على ذيب الهباه
يا مقحم هذي دارنا وديا ركم حمص وحماه
يا مقحم.. بندر عندنا ذيبٍ كلا.. محدٍ كلاه

وذكر الأمير السديري أن أحدية مشابهة رويت له منسوبة للدريعي شيخ قبيلة قيس بهذه الصياغة:

يا ذيب البيضا لا تغيب ارقب على ذيب الهباه
يا متعب رمحة عندنا حنينها.. شقّ الصفاه

ويفيد بأن الفداغة ردوا على الأحدية السابقة بقولهم:

ذيبٍ بالبيضا لا يغيب ربوعنا.. زادوا عشاه
رمحة خذينا ثارها تسعين لحية بالفلاه[2]

وهذا حاد من الشعلان شيوخ الرولة يفخر بانتصار قومه في إحدى الغزوات مخاطباً الذئب الذي يفترس جثث القتلى بعد انقضاء المعركة، حيث أن المنهزمين في معظم الغزوات القبلية لم يكونوا يستطيعون دفن قتلاهم:

يا ذيب.. يا ذيب اذرعات صوّت على ذيب البطين
إن كان عيالك.. مقويات دونك أبو لحية سمين
بشلفا من كفّ ابن شعلان فرّق حبيبٍ.. عن جنين[3]

وهذه أحدية تشبه سابقتها، وفيها يقول حاد من الرولة خلال حربهم مع التوايهة من قبيلة الحويطات:

يا ذيب يا ذيب النفود صوّت على ذيب الجلد

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص140.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص95.
(3) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص100: عن موسيل.

ارع (التياها) بالسنود ما بين الشايب والولد[1]

ويقول حاد آخر:

يا ذيب يا عجل الهذيب اشرف.. على ذيبٍ وراك
يوم الملاقا.. لا تغيب احضر ونرمي لك عشاك[2]

وقال حاد من شمر:

عينيك يا ذيبٍ عوى بين الخواضة والخضر
الذيب نرمي له عشا بخشوم عدلات النظر[3]

وقال حاد من الدواسر:

يا ذيب يا عجل الهذيب ردّ الخبر لاهل الحصاه
ستميّة، وحنّا فريق والطير كثرّنا عشاه[4]

ويقول أحدهم:

يا ذيب يالي بالبطين اعوي، ونرمي لك عشاك
البندق توحي له رطين نشبعك ويشبع به ضناك[5]

* * *

خامساً- الطيور:

وفي مخاطبة الطيور الجارحة التي كانت تنقض على جثث القتلى بعد انقضاء المعارك اخترنا هذه الأحديات:

(1) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص62: عن موسيل.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص161.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص157.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص148.
(5) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص94: عن الصويان.

ونبدأ مع قول شريد الرويل الحميداني:

يا طير الاشعاف حنّا دونك يا رخصنا، وان قلّت الأسعار
نرمي الجنايز كلّها لعيونك ومن ذلّ منّا جعل ابوه بنار[1]

ويقول الشاعر الفارس محمد بن رثوان آل روق القحطاني يبث الحماسة في قومه خلال ذهابهم للغزو:

يا طير يالي فوق فوق يالي ترفرف بالجناح
الحق مع.. اولاد روق عشاك من روس الرماح[2]

وفي مثل هذا المعنى يقول الشيخ حسن المرتعد العنزي:

يالي بجنحانك تحوم بشّر خويّك باللحم
اقبل على راعي القحوم اللي وقع بالملتحم[3]

ويقول نجيب الدهيم من الشعراء النصارى في ريف سوريا:

يا طير يالي باللجاه علّم لنا الطير الغريب
ما دمنا عا قيد الحياه ناطا على خشم الحريب[4]

وقال نجيب الدهيم أيضاً:

يا طير تعارة يال تحوم أشرف على ملكادنا
عشرة ذبحنا والعقيد زودٍ على سدادنا[5]

ورويت الأحدية السابقة بصياغة أخرى، ونسبت لحاد من بني صخر:

طير الشبيكة لا تحوم حوّل على ملكادنا

(1) الخيل والإبل لعبد العزيز السناج، ص85، ورواها لي الأخ مسلط الحميداني (في لهيب النار) بدل (جعل ابوه بنار).
(2) منتقى الأخبار لخالد القحطاني، ص44، وفي الأصل: (أولاد ابن روق)، وما عدلناه أقوم للوزن.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص80.
(4) الشعر النبطي لمنصور الحاتم، ص247.
(5) الشعر النبطي لمنصور الحاتم، ص83.

تـسـعـة وتـاسـعـهـم درويـــش زودٍ عـــلى ســـــدادنـــا[1]

وقال حاد من شمر، وقيل أنها لحاد من المهيد:

يـا طـيـر يـا مـومـي الـجـنـاح يـالـلي عـلى الـسـاقـة تـحـوم
عـــشّـــوك صـبـيّـان الـفـلاح يـــوم الـدخـــن مـثـل الـغـيـوم

وتشبهها أحدية لحاد من شمر بهذه الصياغة:

يـا طـيـر يـا مـومـي الـجـنـاح ســلّـم عـــلى.. نـجـعٍ لـنـا
ســلّـم عـلى ظـبـي الـبـيـاح الـــلي ســلـبـنـا.. كـلّـنـا[2]

الفصل الثالث

موضوعات متعلقة بالحداء

(1) قبيلة بني صخر للمطيرات، ص135.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص81، وص155.

أولاً: حداء الخيل في شعر الحكام والأمراء

بغض النظر عن أغراضها الشعرية، أفردنا هذه المساحة لبعض أشعار الحداء التي تنسب لبعض الحكام والأمراء في المنطقة قديماً تسهيلاً للباحثين عنها، وإن كنا قد أوردنا عدداً من أحدياتهم في أبواب أخرى:

الشيخ سالم المبارك الصباح:

نبدأ مع هذه الأحدية المنسوبة للشيخ سالم بن مبارك الصباح حاكم الكويت المتوفى سنة 1921م حيث يقول يوم الجهراء:

يـا ربـعـنـا.. ضـاع الـجـمـيـل — مـعـروفـنـا.. كـلٌ نـسـاه
مـا يـسـلـم الاّ.. مـن يعيل — والـلـي سـكـت.. كـلٌ وطـاه
يـا ربـعـنـا.. ضـاع الـدلـيـل — والـصـبـر.. مـدري.. وش وراه[1]

ويقول الشيخ سالم أيضاً:

الـلـه.. مـن يـوم يـصـير — عـلـى الـخـلايـق.. كـلّـهـا
يـا مـن لـقـلـبٍ بـه زفـيـر — والـكـبـد.. زايـد غـلّـهـا[2]

ويقول الشيخ سالم أيضاً:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج، ص128.
(2) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص136.

قـطـعـانـنـا.. تـرعـى الـكـحـيـل والـخـيـل.. بـالـصـمـعـا.. تـدوس
لـعـيـون.. مـن قـرنـه طـويـل نـثـنـي.. إلى هـاب الـنـسـوس[1]

* * *

الملك عبد العزيز آل سعود:

تنسب للملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية المتوفى سنة 1953م أحديات قالها خلال رحلته الطويلة لتوحيد دولته، والمليئة بالغزوات والمعارك، واخترنا هنا بعض تلك الأحديات، ومنها قوله يدعو أخويه:

يـا حـيـف.. يـا خـطـوَ الـولـد وش عـاد.. لـو يـلـبـس زبـون؟
إلى الـتـقـيـنـا.. بـالـوعـد يـذل، وربـعـه يـطـعـنـون
نـادوا.. (مـحـمّـد.. مـع سعد) قـولـوا.. يـجـون، ويـركـبـون[2]

وقال الملك عبد العزيز هذه الأحدية بعد دخوله الرياض مؤكداً بأن هذه بداية المشوار ليس إلاّ:

مـهـبـول.. يـا قـايـل: قـضـتْ تـوّه.. عَـمَـر دخّـانـهـا
يـطـرد بـهـا.. ورعٍ صغير وخـيـل.. بـظـهـور حـصـانـهـا

وذكر السديري أنها نسبت أيضاً لحاد من مطير.[3]

وقال الملك عبد العزيز أيضاً:

إلى تـغـدّى وسـط بـيـتـه.. جـاك يـقـول: والـلـه.. مـا دريـت
مـا فـادك الاّ.. مـن سرى مـسـراك يـدري.. إلى مـنّـك دريـت

(1) الفنون الشعبية لعبد الله الدويش، ص136، والصمعا والكحيل من الأعشاب البرية، والنسوس هو الخائف الهارب.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص221.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص224.

سـيـفٍ صـقـيـلٍ.. تـورده يمناك يـقـطـع.. إلى مـنّـك عـديـت[1]

وقال يذكر خصمه الأمير عبد العزيز الرشيد:

قـولـوا.. لابـن مـتـعـب.. نبيه فـوق الـنـضـا، والمـكـرمـات
إن كـان مـا جـانـا.. نجيه ونـشـبـع.. طـيـورٍ حـايمات
ردّ الـنـقـا.. مـنّـا.. عليه قـولـوه.. يـا اهـل المـوجـفـات[2]

وقبل معركة (روضة مهنا) سنة 1324هـ قال الملك عبد العزيز محمّساً جيشه:

يـا عـيـال.. بـرّوا خيلكم وارهـوا.. عـلـيـهـا.. بـالـشـعـير
عـدوّكـم.. قـدّامـكـم لابـدّ.. مـن عـلـمٍ يـصـير
إمّـا لـهـم، وامّـا لـكـم عـاداتـنـا.. نـروي الـشـطـير[3]

وقال الملك عبد العزيز عندما أسر شقيقه سعد لدى الشريف، وتكالبت حوله بعض المشكلات الداخليه:

يـا مـلّ قـلـبٍ.. دكّ بـه هاجوس إن شـاف مـيـلات الـزمـان
كـلٌ تـتـقّـى مـا بـغـى الـنـامـوس قـرب الـحـريـب، وقـلّـوا الـخـلاّن
إن جـا نـهـارٍ.. فيه جدع الروس بالمعركة.. نركض مع الدخّـان[4]

وقال الملك عبد العزيز في حرب الحريق:

إلى طـلـبـنـا.. مـن حـريـبٍ ديـن لـو هـو بـعـيـدٍ.. لازمٍ ننصاه
نـدّب بـعـيـد الـراي.. بـالأدنـين ونـقـدّي الـلـي تـايـهٍ مـسـراه
الـلـي يـعـوّد.. عقب شوف العين يـعـقّـب الـفـنـجـال.. عـن يمـنـاه[5]

وقال الملك عبد العزيز يفتخر:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص225.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص217.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص217.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص220.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص220.

حنّا.. كما نمرٍ.. إلى منّه عدا — والنمر.. ما تومن دغايله
نمشي لصاحبنا.. قدا — واللي يحايلنا.. نحايله[1]

وقال الملك عبد العزيز أيضاً:

حنّا.. إلى ركبتْ.. عراب الخيل — وتقاحص الفرسان.. قدّام، وورا
شهبٍ.. عليها من ذياب الليل — فرسان خيلٍ.. ما تباع، وتشترى[2]

ومما رواه السديري من أحديات الملك عبد العزيز، قوله وهو يودع الرياض بعد المحاولة الأولى لدخولها بعيد معركة الصريف سنة 1318هـ:

يا دارنا.. لا ترهبين — لابدّ.. ما نرجع عليك
أعطيك.. انا العلم اليقين — لو ننتحي.. لازم نجيك[3]

وقال الملك عبد العزيز أيضاً قبل دخوله الرياض:

من نجد.. ما جانا خبر — ينقل لنا.. علم الحريب
لابدّ من.. يومٍ حَمَر — والشمس.. من عجّه.. تغيب[4]

وقال الملك عبد العزيز متحفزاً قبيل دخول الرياض:

يا نجد.. ما جانا منك.. ردّ علوم — واليوم.. انا شفقٍ على المسناد
قالوا: مريحٍ.. قلت: انا المهموم — حتى نقرّر.. للنضا.. ميعاد
نركب على اللي.. نيّهن مردوم — وان روّحن.. مثل القطا الشّراد[5]

وفي أحداث سنة 1325هـ عندما هم الأمير سلطان الرشيد بالاستيلاء على مدينة بريدة قال الملك عبد العزيز أحدية منها:

يا غرسةٍ.. حدر النفود — والعمر.. يرخص دونها

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص225.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص226.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص215.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص216.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص216.

من دونها.. سندا.. سنود — بالسيف.. نحمي ركونها
قولوا.. لسكّان الحيود — بالهرج.. لا يطرونها[1]

وقال الملك عبد العزيز أيضاً محمساً رفاقه:

يا نايمٍ.. تحت العريشة — يا ناسفٍ.. فوقه ذرا
لا تحسبون النوم.. عيشة — الحرب.. زيزومه سرا[2]

وقال أيضاً:

يا سربةٍ.. ما تستريح — دون الحدود.. امصالية
بنحورنا.. نرمي الطريح — ونرخص عمارٍ غالية[3]

ونسبت هذه الأحدية للملك عبد العزيز قوله محمساً بعض رفاقه من كبار السن:

الغوج.. ردّيته بتالي الخيل — يوم ادبحنّ الخيل.. بالفرسان
لعيون.. من ريحه.. زباد، وهيل — شامت عن الجاهل.. تبا الشيبان[4]

ويرى أبو عبد الرحمن بن عقيل أن هذه الأحدية ليست للملك عبد العزيز، ولكنها لأحد خاصته، وهو فهاد الحلاج الذي حادت به جواده في منطقة السر خلال إحدى المعارك، ولم يسيطر على جواده إلا بعد عناء لكبر سنه مع أنه فارس مقدام، فمازحه الملك عبد العزيز بأحدية منها قوله:

خلّى نياقه.. عقب شوف العين — ما به ردى الاّ.. علة الشيبان

فقارضه فهاد بالأحدية السابقة، ويذكر أيضاً أن الملك عبد العزيز قال:

(فهّاد).. راعي رمحة الثنتين — يوم الحكيّة.. باسفل الحيطان
خلّى نياقه.. عقب شوف العين — ما به ردا.. الاّ.. علة الشيبان[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص218.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص225.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص226.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص22: عن المارق.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص223.

فرد فهاد بن بطي الحلاج العتيبي قائلاً:

الـغـوج.. رديـتـه لـتـالي الخيل ... يـوم ادبـحـنّ الـخـيـل.. بالجذعان
لعيون مـن ريـحـه.. زبـاد، وهيل ... شامت عن الجاهل.. تبي الشيبان
أركـيـت مـذلـوق الـقـنـا.. بالحيل ... لـين ادبـحـوا عـنّـا.. مـع الريعان
إمـامـنـا (عـبـد الـعـزيـز).. اسهيل ... مثل الـقـمـر.. نـورٍ عـلى العربان

فقال الملك عبد العزيز: والله ونعم.. يا راعي رمحة.[1]

وقال الملك عبد العزيز أيضاً:

عيبٍ عـلى الـلـي.. يركب المشوال ... ولا يـــروي.. الـرمـح الـطـويـل
مـا كـلّ مـن ركـب الـفـرس.. خيّال ... إن نـهّـضـن.. دهـم الـشـلـيـل[2]

وقال الملك عبد العزيز أيضاً بعد معركة جراب سنة 1915م:

عـيّـوا يـطـيـعـون الـنـصـايـح ... وانـــا عـــن الـــبـــوق.. اتـــدرّا
يـــالـــلي تـــريـــدون الـمـدايـح ... مـا خـيرٍ الاّ.. عـقـب شرّا[3]

وقال الملك عبد العزيز قبل استعادة الأحساء:

يـا (هـجـر).. يـا زيـن الـنـبـات ... لا تـحـسـبـيـنـا.. هـاربـين
إن طـــوّل الـلـلـه.. بـالـحـيـاة ... لا بـــدّنـــا.. لـــك راجـــعـــين[4]

وتنسب إلى الملك عبد العزيز هذه الأحدية، ورأيت الدويش ينسبها لأمير عنيزة زامل السليم حاكم عنيزة:

أحـــبّ الـعـافـيـة، واشريـهـا ... واســـوق عـمـري، والـدبـش
والى عـــصـــوا.. عـذّالـهـم ... ردّيـــت.. لـرقـاب الـنـمـش[5]

(1) مجلة البواسل، ع11، ص53.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص226.
(3) من شيم الملك عبد العزيز لفهد المارق، ج3، ص113.
(4) مسائل في تاريخ الجزيرة لأبي عبد الرحمن الظاهري، ص43. وحداء الخيل للعريفي، ص19: عن المارق، ولديه (جينا إليك راجعين).
(5) من شيم الملك عبد العزيز لفهد المارق، ج3، ص116.

ومن أحديات الملك عبدالعزيز ما قاله رداً على أحدية أخيه الأمير سعد بن عبد الرحمن عندما قال مهدداً ابن رشيد:

يـالـلي تـجـون (ابـــن رشـيـد) ... نـــجـــدٍ.. خـــــذه.. سـلـطـاننـا

فقال الملك عبد العزيز:

ردّوا لـــه.. الـعـلـم الـوكـيـد ... كـسـب الـثـنـا.. عـاداتـنـا
ردّوا لـــه.. الـعـلـم الـوكـيـد ... لابـــــدّ.. مـــن سـطـواتـنـا
كـسـب الـمـعـالي.. بـالـحـروب ... يـا سـعـد.. مـن شـيـماتـنـا[1]

* * *

الملك فيصل بن عبد العزيز:

كان الملك فيصل الذي استشهد سنة 1975م يقرض الشعر في بعض المناسبات، ويحاور بعض خاصته بأشعار القلطة، ومما ينسب له من أحديات الخيل قوله خلال حرب اليمن:

حـرّم عـلـيّ الـنـوم.. مـثـل الـيـوم ... دام الـحـرايـب.. بـالـسـراه
ربـعٍ قـروم، ويـشـتـهـون الـنـوم ... والـقـلـب.. بـه شيٍّ حـداه[2]

وقال الملك فيصل أيضاً خلال حرب اليمن:

يـا طـارشي لـلـسـيـف.. قـل له ... جـوك الـعـوادي.. بـالـحـديـد
كـم واحـــدٍ.. قـفّـوه ظـلّـه ... قـريـب، والاّ.. مـن بـعـيـد[3]

وقال الملك فيصل أيضاً:

يـا طـارشٍ.. يـمّ الإمـام الـعـود ... قـل لـه: بنينا بـالـخـبـوت.. اخيام

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص132، وص222.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص306. ويقصد بحرب اليمن هنا ليست تلك التي حدثت في ستينيات القرن العشرين بل الحرب الأولى التي جرت قبل ذلك بثلاثين عاماً.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص307. والسيف هو سيف الإسلام عبد الله بن يحيى حميد الدين إمام اليمن.

جينا (الحديدة)، و(الزيود) شهود يـوم ادبـــروا.. مـثـل الـنـعـام[1]

وقال الملك فيصل أيضاً يمازح أحد رفاقه:

يا اهل الرمك من شاف لي (لحيان) شـــقـــراه.. كـيـف احـوالـهـا؟
بـاكـر.. إلى جـا لـلـرمـك مـيـدان يـــرخـــي مـتـيـن احـبـالـهـا
يرمي العـشـا.. لمعكّف الجنحان كـــلّ المـــراجـــل نـالـهـا

ويقصد بلحيان.. دخيل الله بن عون العتيبي الذي رد عليه، ويلاحظ ارتباك الرواية من خلال تكرار بعض الأشطر، وقال لحيان:

شـقـراي.. تلحق قـاصر الـذرعـان ومـــــقـــــدّم.. بـحـيـالـهـا
مع ضـفّ شـيـخٍ.. يلطم العـدوان كـــلّ المـــراجـــل.. نـالـهـا
الصبح، وان جـا لـلـرمـك.. ميدان نـــرخـــي.. مـتـين احـبـالـهـا[2]

وللملك فيصل أيضاً هذه الأحدية:

بـارض (الـحـديـدة).. قطّبوا لخيام والـجـمـع الاوّل.. في زبـيـد
وسميّةٍ.. جت من جنوب، وشام هـلّـت.. عـلى جـمـع الـضـديـد[3]

وقال الملك فيصل أيضاً:

قـلـبـي.. تـولّـع بـالـرمـك والـبـيـض.. زيـنـات الـدلال
الـبـيـض.. هـي، ويّـا الـرمـك شـفّـي، وفـرقـاي الـحـلال[4]

وقال الملك فيصل خلال معارك اليمن قبل الاستيلاء على مدينة (ميدي):

الـنـوم.. يـا خـطـلان الايـدي خـلّـوه.. لـعـيـون الـبـنـات
مـا عـاد.. كـود دخـول (ميـدي) نـطـلـب.. مـن المـولى الـثـبـات[5]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص304.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص101، وص304.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص305.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص305.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص306.

* * *

الأمير عبد الله بن علي الرشيد:

كان الأمير عبد الله بن علي الرشيد مؤسس إمارة الرشيد بحائل المتوفى سنة 1278هـ شاعراً، وله بعض القصائد المطولة، ومن أحديات الخيل المنسوبة له الأحدية الآتية، وقالها عندما كسب بعض خصومه عدداً من إبله المشهورة (ذروات):

يـا (بـن زويـمـل).. مـا هـنـاني نوم والـــقـــلـــب.. بـــه شيٍّ حـــداه
ما حسبتْ (ذروة).. ياخذونه قوم وانـــــا.. عـلى قـيـد الـحـيـاه[1]

وقال عبد الله الرشيد في نفس الموضوع السابق يوم الطقطقانة مخاطباً أخيه عبيد:

يـا عـبـيـد.. عيني حـاربـت للنوم من يوم (واوي).. جاب علم الجيش
ما حسبت (ذروة).. ياخذونه قوم وراسي.. عـلى الـدنـيـا.. يعيش[2]

ورأيت العبيد في مخطوطة (النجم اللامع) ينسب الأحدية السابقة لابنه الأمير محمد بن عبد الله الرشيد بهذه الصياغة:

يـا (بـن زويـمـل).. مـا هـجـاني نوم مـن يـوم جـاني عـلـم الـجـيـش
ما احسب (ذروة).. ياخذونه قوم وراسي.. عـلى الـدنـيـا.. يعيش

ورأيت من ينسبها للأمير طلال الرشيد.[3]

* * *

الأمير محمد بن عبد الله الرشيد:

قال الأمير محمد الرشيد المتوفى سنة 1315هـ هذه الأحدية خلال حربه مع أهل القصيم

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص231.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص231.
(3) مضايف شمر على شبكة الإنترنت.

في المليدا سنة 1308هـ:

أنـا احـمـد الـلـه.. طـاب نومي والمـــا.. عـلى كـبـدي قـراح
مـن يـوم شـفـت فـعـول قـومي بـــاولاد عـــلي.. بـالـبـيـاح
لـومـي عـلى الـدنـيـا، ولـومـي ربـعـي.. مـروّيـن الـرمـاح[1]

* * *

الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد:

خاض الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد المتوفى سنة 1906م الكثير من المعارك في حياته حتى قيل أن أهله لم يشبعوا من رؤياه، حتى قضى في معركة (روضة مهنا)، ولذا فلا يستغرب أن تنسب له بعض الأحديات، رغم أنه لم يكن معروفاً بقول الشعر، ومما نسب إليه هذه الأحدية:

لي مـهـرةٍ.. قـفّـوا بـهـا يـا (حـسـين).. وا خـدّه يلوح
إن اقـبـلـت.. ودّي بـهـا وان عـاضـبـت.. خـلّـه تـروح[2]

ويقول الأمير عبد العزيز الرشيد يفخر بشجاعته المعروفة:

يـا اهـل الـرمـك.. مـا لي نطيح أيّـسـت.. مـن بـاقـي الـحـيـاة
راعـي الـجـبـل.. دلّى يصيح والـلـي عـلى راسـه.. رمـاه[3]

وقال أيضاً، وتنسب أيضاً لولده الأمير سعود:

قـولـوا.. لـنـزّال الـحـدود عـن حـدّنـا.. يـنـزح وراه
عـاداتـنـا.. جـدع الـعـمـود والـطـامـح.. نلحقها هـواه[4]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص39، ولديه: فعل قومي.
(2) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص45: عن أبيه.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص227.
(4) حداء الخيل لأحمد العريفي، ص11: عن السبهان.

وقد نسبها السديري للملك فيصل بن عبد العزيز، وشطرها الأخير: (والطير.. نرمي له عشاه).[1]

كما نسب السديري أحدية مشابهة لحاد من شمر بهذه الصياغة:

لى جـيـت.. قـسّـام الـحـدود عـن حـدّنـا.. يـنـزح وراه
هـذي مـفـالي بـكـارنـا من القنطرة.. لخشم الهباه[2]

ويقول الأمير عبد العزيز الرشيد يهدد خصومه:

مـهـبـول.. يـا دايـر (مـنـيرة)؟ دونـه.. مـزاريـق الـرمـاح
مـادام راسي.. دايـمٍ لـه والـلـه.. مـا تـشرب سـماح[3]

ومما ينسب إلى الأمير عبد العزيز الرشيد أيضاً قوله:

شـقـحٍ.. تـواديـهـن غـرَب شـبّ بـقـلـبـي.. نـارهـن
يـلـفـن.. فـيـاضٍ بـالـحـجـر مـتـخـالـفٍ.. نـوّارهـن[4]

وتشبه بدايتها أحدية منسوبة للشيخ مشعان العسكر العواجي العنزي يقول فيها:

شـقـحٍ.. تـواديـهـن غـرَب يـرعـن بـنـا.. قـاعٍ خـصـاب
لـو دونـنـا.. خـصـمٍ حـرب نـرسي لـهـم.. مـثـل الـهـضـاب[5]

وروى لي الأخ علي الصيخان الخالدي عن أبيه عن جده أنه سمع الأمير عبد العزيز الرشيد يحدو قائلاً:

ذيـبٍ عـوى بـديـارنـا وديـار حـيـانـه وراه
إمـا حـمـيـنـا دارنـا والا نـجـوز مـن هـالـحـياه

وقد ذكر الأستاذ حمد السعيدان هذه الأحدية دون أن ينسبها إلى قائل معروف.

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص306.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص160.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص228.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص227.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص58.

* * *

الشيخ بطي بن سهيل آل مكتوم:

ولد الشيخ بطي بن سهيل بن مكتوم آل مكتوم سنة 1851م في إمارة دبي، وتسلم حكم دبي بعد وفاة ابن عمه مكتوم بن حشر سنة 1906م، وكان حاكماً عادلاً محباً للعلم والأدب يحرص على وجود الأدباء والشعراء في مجلسه، ودارت بينه وبينهم الكثير من المساجلات حتى توفى سنة 1913م.

وقال الشيخ بطي هذه التغرودة حين عزم على زيارة إمارة أبو ظبي:

يا راكبٍ حمرا.. موذّف زورها — لي في كواميخ الشداد امهورها
أطرت عليًا دار، وابغي ازورها — اللي مقاطعها.. شمالي خورها
هلها سنادي هم حجابي، وسورها[1]

وقال الشيخ بطي بعد وفاة الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان، وأهدى أبناءه بعد وفاته حصانه المسمى (ربدان) إلى الشيخ أحمد بن عبد الله المعلا حاكم أم القيوين في ذلك الوقت، ولم يعجب ذلك بطي، فقال هذه الأحدية:

أخطيت.. يالي معطٍي لحصان — وتريد من غيره.. سند
ليت المنايا ما عدت (ربدان) — من يوم (زايد).. في اللحد
مركوب شيخ.. مطوّع السحلان — شيخٍ.. يهابه كلّ احد

(1) التغرودة: مفرد تغاريد، وهي من فنون الشعر النبطي في دولة الإمارات على بحر الرجز (كل شطر ثلاث تفعيلات مستفعلن، والثالثة مستفعل).
وهذا تعريف بالتغرودة للكاتبة نورة السويدي بمجلة الصدى الإماراتية: (كان البدو يرددونها، وهم على ظهور المطايا أي الجمال، ولابد أن تكون التغرودة قصيدة قصيرة تتناول موضوعاً واحداً فقط. تبدأ مع بدايته، وتنتهي مع انتهائه من خلال أبيات قصيرة جميلة، وكل شطر فيها مستقل كأنه بيت ينتهي بروي واحد يلتزمه الشاعر في كل بيت.
ومن أشهر التغاريد تغرودة الشاعر حميد الهالة النعيمي:
يا راكب شقرا ربيّة.. نورها = ناحف، وخليا من اللحوم امتونها
سلّم، وبلّغ رمستي مضمونها = بنت الدهر.. ألفت تسوق اظعونها

نركب على اللي قينها.. ما لان — لي ما تعثور.. في نكد

فأجابه الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان:

يا شيخ.. تكفى الهمّ، والأحزان — ما مات.. من خلّف ولد
ياما عطينا.. غاليات اثمان — عجلات.. في ردّ السند
لي قينهن.. يرقع على الصمّان — يبطي عجاجه.. ما ركد
خيل مغذيات.. وسط اعمان — مطلاقهن.. شروى الرعد
عادات اهلنا.. من زمان — يكرّمون اللي شهد
كلّه لعينا.. لابس السبهان — بو مضحكٍ.. كنّه برد[1]

* * *

الشيخ علي بن جاسم آل ثاني:

يقول الشيخ علي بن جاسم آل ثاني الملقب بجوعان في أحدية له يوم (القلايل) يفخر بقومه (أولاد نفيع)، وهو لقب يجمع عدداً من عشائر قطر، وهي: (آل ثاني، وآل بو كوارة، والسودان، والمهاندة، وآل عطية، والموالك):

قطعانا.. ترعى النقيع — بوسومنا، ولحالها
تبرى لها.. سربة (نفيع) — واللاش.. ما يبرى لها
من دونها.. اليوم الشنيع — تبكي البنيّ.. ارجالها[2]

(1) رواية عن الأخ سلطان العميمي.
(2) القول المختصر في أنساب قبائل قطر لعلي آل ناصر، ص47.

ثانياً: الهوبال والعوبال

(الهوبال) و(العوبال).. ضربان متقاربان من الشعر البدوي يعيد الحداء إلى علاقته القديمة بالإبل، فيرتجل راعي الإبل أبياتاً قليلة العدد خفيفة الوزن ليطرب نفسه، وإبله، ومنه ما يقال عند ورد الماء.

وغالباً ما يكون هذا الضرب على وزن خفيف: (مستفعلن مستفعل)، وهي تتخذ من الشطر الواحد وحدة مستقلة بقافية ثابتة، وليست على نظام الشطرين.

ولدينا مثال يعود إلى العصر النبوي يدل على أن الحداء والأراجيز لها علاقة قديمة بورد الماء، فقد روي في عمرة الحديبية أن الصحابي ناجية بن جندب الأسلمي كان يقف على القليب يميح على الناس يومئذ، فجاءته جارية من الأنصار بدلوها، وقالت:

يـا أيّـهـا المـائـح.. دلـــوي.. دونكا إنّي رأيـــت الـنـــاس.. يحمدونكا

فقال ناجية، وهو في القليب يميح على الناس:

قـد عـلـمـتْ.. جـاريـةٌ يمانيـة أنّي أنـا المـائـح، واسـمـي ناجية

وطـعـنـةٌ ذات رشـــاشٍ واهـيـة طعنتها تحت صـدور الـعـاديـة[1]

والوزن في شعر الهوبال ينزاح في صورته العروضية من بحر الرجز ليقترب شيئاً، فشيئاً من بحر المتدارك بجرسه: (فعلن.. فعلن.. فعلن)، وهو على صورة قريبة من الرجز حيث أنه على نفس وزن: (مستفعل.. مستفعل)، وعلى وزن: (مستفعلن مستفعل) أيضاً.

وأورد الباحث أحمد محارب الظفيري نماذج متعددة من الهوبال الشبيه بالحداء، ومن ذلك قول أحدهم يتغزل، فيقول شاكياً فراق محبوبته:

قُـلـيـبـي.. مـع رحـيـل الـيـوم حـالـوا بـيـنـي، وبـيـنـه.. قـوم

(1) أسد الغابة لابن الأثير، نسخة الكترونية.

ويقول آخر يحدو إبله مرتجزاً:

العصر.. مال الظلي فاتت حراوي خلي
هو غيظ، والاّ اتغلّي؟

ويحدو أحد الرعاة متغزلاً:

حبّيني، والجمل يرعى يا ريقك.. يا لبن درعا

ويفرق الباحث طارق السلطان بين الهوبال والعوبال، رغم أن المسمى الثاني غير مشهور لدى غيره من الباحثين، فيذكر أن (الهوبال) هو غناء يخص مسير الإبل في الصحراء، ويقوم الراعي بغنائه كي يحكم السيطرة عليها أثناء السير، فهي تأنس لصوته، وتتجمع من حوله، ولا تتفرق في الصحراء، بينما (العوبال) هو غناء يؤدى أثناء سقاية الإبل، فعند ورود الإبل على الماء يؤديه الراعي، أو يتبادل راعيان الغناء بترداد بينهما، وإذا كانوا أكثر من راع يجتمع كل اثنان، ويتبادلان الغناء.[1]

ويذكر أحمد الظفيري أنه «خلال عملية سقي الإبل ترتفع أصوات الرجال مغنية بلحن حداء القليب (حداء الورد) حيث يتبادل الرجال فيما بينهم أغنيات الحداء على نفس اللحن، وعلى نفس المنوال، فيطربون أنفسهم، وتطرب إبلهم، ويطرب، ويستأنس، وينتعش كل عرب القطين (الحي) عند سماعهم لأصوات الحداة المتجمهرين حول البئر، وتطرب غاية الطرب نساء وفتيات الحي عند سماعهن لغناء الحداء لذلك نجد كل واحدة منهن تأخذ قربتها أو قدرها، وتذهب إلى حداة البئر ليملئوا لها القربة بالماء».

ومن النماذج التي ذكرها الظفيري قول بعضهم:

هبّ الهوا.. شمالي هلا.. يا ريح الغالي
هبّ الهوا.. من قبلة ينبت.. شتيل، وربلة
هبّ الهوا.. من غربي يا زين ريحة حبّبي
هبّ الهوا، واحياني ريحة هلي، وخلاّني

ومن حداء الآبار قول أحدهم:

(1) أغاني العمل لطارق السلطان، نسخة الكترونية.

وضحا.. تحضّ حوّير عليه.. حلايا نويّر
وضحا.. تحضّ احواره عليه.. حلايا سارة
وضحا.. سنامه يوضي عليه.. حلايا موضي

ومن قولهم عندما تقف على (بئرهم) فتاة تحمل قربتها، وتطلب منهم ملئها بالماء:

الزين.. توّه جانا وقّف.. على مسنانا

وقولهم:

يا مرحبا.. حيّيتي أبرك لييالي.. جيتي

ومن حداء القليب أيضاً قولهم:

يا لابس الوبريّة تسوى عشر.. مع ميّة
مثلك.. ما شافت عيني دبُّ الدهر.. موليّة[1]

ويذكر الكاتب سليم بن دهيم الشراري أمثلة جميلة من حداء الإبل أثناء سيرها، ومنها قولهم:

المقفي.. وين انا وياه عيّا، وآنا أنهاه

أما حداء الآبار، فيقسم إلى نوعين: (حداء، ورجز)، ويذكر أن شعر الحداء يغنيه متلقياً الدلو أثناء انتظارهما له من قاع البئر إلى حين الإمساك بها، بينما شعر الرجز يخص المرحلة التي تلي تلقيهما للدلو، أي منذ أخذهما بعراقيها حتى يفرغانها في الحوض، ومن شعر الحداء (المرحلة الأولى) قولهم:

أم السنام الشايح توابقت للمايح
تحسب ولدها طايح

وقولهم:

وردن.. عشاير (نورة) الهجلا، والمقصورة

(1) مقالة للباحث أحمد محارب الظفيري في مجلة الكويت، يناير 2012م.

وردن.. من النوازي من مرتع الجوازي

ومن شعر الرجز (المرحلة الثانية) قولهم:

يا ويل اللي ما هو تيح إن صار الما.. شلافيح[1]

وأورد طلال السعيد نماذج من الهوبال رواية عن الشاعر غالي الذايدي منها قولهم:

أرحب.. يا زولٍ جانا كنّه.. حدا اقربانا
نحسبه من عربنا أثره ولد اقصرانا

وقولهم:

هذا اولدي.. ما هو ردي يوم العوا.. حشّ، وروا

ويذكر أنه عند أول حركة الإبل متجهة إلى المرعى أو عائدة منه إلى منازل أصحابها، فإن الراعي يناديها بنداهة أو دواهة تعرفها الإبل، فتسير، وتتبعه، ولكل راعي نداهته الخاصة التي تعرفها إبله كقول أحدهم: (ولد هي.. ولد هي)، وقول آخر: (واحو ولد.. واحو ولد) أو: (ها عشم.. ها عشم) أو: (هيدو هي.. هيدو هي).[2]

ومن لطيف شعر الهوبال ما رواه السويداء في فتافيته:

هبّت هبوب الشمال وجتنا.. بريحة طيبه
سحم الشوارب.. راحوا صارت.. على بو شيبة

وأيضاً:

هبّ الهوا.. شمالي جانا بريح الغالي
واللّه.. لافديه بمالي وبكلّ.. ما يطرا لي[3]

ومن الهوبال ما رواه نعوم بك شقير حين قال: «رأيت التياها على بئر نخل ينشدون الحداء لإبلهم، وهم يسقونها، وكانوا ينشلون الماء اثنين»، ومما سمعه منهم:

(1) مجلة المها، ع3، ص46.
(2) الموسوعة النبطية الكاملة لطلال السعيد، ج2، ص129.
(3) فتافيت لعبد الرحمن السويداء، ج2، ص133.

يا مرحبا.. يا بلنا حين ما رويناا.. شلنا

وقولهم:

يا مرحبا، وارحابي وتسوق فيها اركابي

وقولهم:

يا واردين.. اع الما عنيق المها.. يا سلمى

وقولهم:

يا حِسن.. طليّ، وشوفي زين الخيال.. اوقوفي

وقولهم:

عشّيرك.. يا ريّا على الركايب.. عيّا

وقولهم:

ذودٍ.. بلا حيراني عسكر.. بلا ديواني

وقولهم:

عليّ ريّ الفاطر لمّا يطيب الخاطر

وقولهم:

عليّ.. مترويها وازرع جمايل فيها

وقولهم:

واللي يرنّ اسواره نحلب لها الخوّارة

وقولهم:

يا بو خديّد ابيض ريّض على المي.. ريّض

وقولهم:

الـــحـــرص.. يـــا خـيّـالـة مـــن نـــومـــة الـقـيّـالـة

وقولهم:

وش تـشـتـهـي، وتـذوقـي؟ مـشـمـش عـلـى بـرقـوقـي

وقولهم:

يـــا بـــو شـنـيّـف فـضـة والـــهـــرج عـنّـه غـضّـه

وقولهم:

مـــا هـــدّني، واضـــنـــاني غـيـر انـــت.. يـالـفـيـداني

وقولهم:

يـــا امّ شـنـيّـف لاويـتـه لـيـش الـنـذل.. هـاويـتـه؟

وقولهم:

يـــا بـــو قـنـيـع مـحـجّـر والـــزيـــن.. تـــوّه صـدّر

وقولهم:

يـــا بـــو قـــرون اطـــوالي لا تـــعـــاشر الـبـطّـالي

وقولهم:

إن كـــان ودّك خـــدّي تـــعـــال، والـــصـــق حـــدّي

وقولهم:

يـــا ربّ.. سـلّـمـهـا لي مـــن كـــل فـــجٍّ خـــالي

وقولهم:

الـــشـــايـــب الـــقـــبّـــاني عـــن مـلـعـبـي عـــدّاني

وقولهم:

يـــا بـــيـــر.. يـــا مـلـيـاني يـــا مـلـعـب الـصـبـيـاني

وقولهم:

يـــا طـيّـبـة.. يـــا طـابـة غـضـيـان.. جـوه اصـحـابـه[1]

ومثل الهوبال قول إحدى النساء:

حـــوّل.. يـا راعـــي الـشـقـرا حـــوّل، واعـطـيـنـي اعـلـومـك

إن كـــانـــك.. عـاشـق غـيري لا، والـنـبـي.. مـا لـومـك[2]

ومن أمثلة الهوبال في نجد ما يقوله رعاة الإبل أثناء سقيها من الآبار، ومنه قولهم:

مـــا يـــزّي ركـايـبـهـم إلاّ الـــعـــود.. شـايـبـهـم

وقولهم:

صـبّ الـقـلـص.. لـشـعـيـلـة كـم درهـمـت مـن لـيـلـة

وقولهم:

تـهـايـقـت.. لـلـمـايـح تـحـسـب ولـدهـا طـايـح

وقولهم:

مـن ورد المـا.. بـرجـال.. شرب ومـن ورد المـا.. بـحـبـال.. تعب

وقولهم عندما يقل الماء في البئر، فينزل أحد الأشخاص إلى القاع ليغرف من الماء، ويضعه في الدلاء، فيقول أحد الأشخاص الموجودين بأعلى البئر، وبنغمة خاصة:

غـــرّافـــنـــا.. يـجـيـنـا عـــلـى خـشـيـمـه.. طـيـنـا[3]

(1) تاريخ سبنا لنعوم شقير، ص346.

(2) أخلاق الرولة وعاداتهم لألويس موزيل، ص271.

(3) مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال والأشعار النجدية لعبد الرحمن المانع، ج2، ص146.

ثالثاً: من الفنون المقاربة للحداء في بعض الأقاليم

الحجاز:

عرفت قبائل الحجاز حداء الخيل، كما عرفته بقية القبائل، وقد أوردنا في الفصل السابق عدداً من أحدياتهم، ولكننا وجدنا لدى بعض قبائل الحجاز وتهامة فناً فلكلورياً يسمونه (الحداء) أو (الحداية)، ويسمونه أيضاً (الزامل) أو (الزومالة)، وغالباً ما يكون في المناسبات، ومنه ما قاله أفراد من قبيلة سليم عندما نزلوا في جوار الشيخ عمرو القبع من شيوخ العوازم من الروقة، وحدث أن تعرض حلالهم لبعض الأذى، فتوجهوا للقبع بهذه الأحدية يشتكون إليه، وقالوا:

حنّا حدانا الدهر من دارٍ، واحَلنا — جينا عـلى شيخين لـين انّـا نزلنا
نـبـا نـقـاطـر لـلـبـيـوت الـلـي تبنا — ســلام.. لابـد الـسـنـين.. لها عديل
فيما مضى مـوج البحور يمـوج عنا — واليوم.. جانا نامس الديرة، واكلنا
يا عمرو عطنا الفسح، والاّ كم عنا — ما تستوي عميا يكود لها دليل[1]

وهذه (زومالة) حديثة قالها الشاعر عبد الله بن حامد السفري الحربي في إحدى مناسبات قبيلته:

الحفل هذا حفلنا.. مبروك يا حرب النشاما — طلّت على الشاشات مثل النور جلّاي الظلاما
والبيض منّا للرجال.. اللي لهم قدر، ومقاما — اللي سعت بجهودها.. تشكر على مرّ السنين

والثانية:

(1) منتديات بوابة قبيلة عتيبة الهيلا على شبكة الإنترنت.

اللي يجيب الطايلة عند العرب يعطى وساما — والبندقية من لوازمها.. الذخيرة، والحزاما

وانتم، وحنّا لو تبعّدنا المسافة يالكراما — في اللازمات نوب، وانتم مثلنا يالغانمين[1]

وفن (الزامل) كما يعرفه علي بن حمران هو: «لون شعبي من الألوان الشعبية في المملكة العربية السعودية في المنطقة الجنوبية. يؤدى في المناسبات، وتبدأ غالبيتها بالسلام».

ويصف طريقته بأن مجموعة من الرجال يجتمعون، وينظم لهم الشاعر بيتان مناسبان، ويقومون بترديدها حتى يحفظونها، ويجيدون لحنها، ثم يرفعون الصوت، ويتجهون نحو (ملفاهم) كما يسمونه، ويكونون في صف واحد بخطوات بطيئة مرددين الزامل حتى يصلوا، ويكون أمامهم اثنين أو ثلاثة منهم يقومون بالعرضة أمام الصف بالبنادق أو الخناجر، ثم يقومون بإطلاق النار، وذلك من الطرفين: (الضيوف والمستقبلين لهم).

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن حمران للزامل، وجاءت على بحور العرضة، وقد تأتي على بحور مختلفة كما في هذا الزامل:

يا سلامي عليكم عدد ما طاف بالبيت العتيق — يا رجالٍ بفعل الطايلة.. راجحٍ ميزانها

نحمد الله.. بني عمّي حزامي، وستر الرفيق — الظفر من طبايعها، وفعل الكرم عنوانها[2]

ومن هنا نعرف أن فن (الزامل) هو أقرب للعرضة الحربية منه إلى (حداء الخيل)، ولكن تسميته بالحداء لدى البعض دفعتنا للتعريف به، وتجدر الإشارة إلى أن (العرضة) تسمى لدى بعض حاضرة الكويت (الحدوة)، وهي تسمية تشير إلى العلاقة اللصيقة بين فني العرضة والحداء، وهي علاقة موضوعية (من حيث الموضوع)، وقد تكون (شكلانية) أحياناً عندما تستخدم العرضة بحر الرجز في بعض أشعارها، فيتشابه حينئذ الفنّان شكلاً وموضوعاً، وسبق أن أوردت أمثلة لذلك فيما سبق كما في نص للصغير، وآخر للبواردي.

وسنعرف الزامل كما هو معروف في بلاد اليمن في مبحث قادم.

* * *

(1) شبكة قبيلة حرب على شبكة الإنترنت.
(2) القول الشامل في فن الزامل لعلي بن حمران، ص49.

اليمن:

وفي بلاد اليمن يقترب فن الزامل من حداء الخيل في بقية أنحاء الجزيرة العربية، ومن أمثلته قول أحد المتزملين يخوّف أعدائه:

يـــالـــلي تمـــنّـــى حـربـنـا — مـــن حـربـنـا مـا تـسـتـفـيـد

مـــا حـربـنـا الا (ثـايـبـي) — ورصـــاص مـن بـطـن الـحـديـد[1]

ويقول شاعر مراد يعلن الصلح مع كومان:

نـحـنـا وكـــومـــان اصـطـلـحـنـا — والـــحـــرب دفـــنّـــا حـسـيّـه

والـــحـــرب قـــانـــون الـقـبـايـل — مـــا عـــيره الاّ مـــن نـسـيّـه

ويقول شاعر يدعى الدياني يزمل مرحباً بالضيوف:

حيّـا بكم جمعاً جميعاً كلّكم — سـادة، ودولـة، والقبايل، والقرار

رحّـب بكم ساخط وخـوره والجبل — الحيد ذي صابر على من جا، وسار

ويذكر الباحث صالح الحارثي في كتابه (الزامل في الحرب والمناسبات) أن «الزامل أيضاً فن جماعي تؤديه مجموعة كبيرة من الرجال في نسق تشكيلي رائع يتكون من صفوف كبيرة، وعريضة أو كراديس، ومجاميع صغيرة متتالية أو متعاقبة، ومتتابعة تصاحب أحياناً برقصات حربية بالسلاح، وغالباً ما يكون المتزملون في هيئة حربية رائعة».[2]

والزامل في بلاد اليمن متعدد البحور والألحان، وله أغراض متعددة، فيقال في الزفاف والمواكب، وقد يجيء بشكل محاورة كما في هذا المثال، حيث يقول الأول:

حيّـا بـكـم يـا ذي، ولمـتـو عندنا — عدّة حبوب الكوم ذي الـذاري ذرا

سـبـحـان ذي لمّ الـقـبـل كـلاّتـهـا — الفسل، والاّ ذي مـسـوّي لـه فرا

فيأتيه الرد:

(1) الثايبي نوع من البارود.
(2) الزامل في الحرب والمناسبات لصالح بن أحمد الحارثي، مواضع متفرقة.

اللـه يحيّـي كـلّ مـن حيّـا بنا كـلٌّ يخذ لـه ثـوب فـوق المشقرا
وانـتـو سلامـي يالوجيه المسفرة يستاهلونه كـل سرحـان اسحـرا

ومن الزامل المطابق لحداء الخيل قولهم:

واللـــه لـــو نـحـنـا قـلـيـل مـــا خـصـمـنـا إنّـــا نـجـيـه
بـالـخـيـل.. زيـنـات الـوقـيـل والـهـجـن زيـنـات الـوجـيـه

وقول آخر:

بـــارق بـــرق مـــن عـنـدكـم واســقــى الـبـلايـد عـنـدنـا
غـصـن الـقـنـا مـن عـنـدكـم والـقـاطـفـي مـن عـنـدنـا

ويقول شاعر يدعى الفرجي ينتقد ثورة 1948م في اليمن:

(صنعا) تحنّت، واحجرت ثمّ ادبرت والكفر من تحت الكوافي، والعميم
ما دام جيت انته سلَم، واحنا سلَم واللـه يخارجنا مـن اشـوار المليم

ولأهل اليمن استخدامات للحداء تشبه الهوبال، فهذا الراعي يقول عن تحميل الإبل بالأحمال:

الـعـيـس يـا جـمّالـهـا مـا احـنـا عـبـيـد الاّ لـهـا
مـا احـلا شـدود احبالـهـا حـتـى تـحـطّ احـمالـهـا
كـمـن ولـد جـمّالـهـا

أو يقولون:

أربـعـة شـلّـوا جـمـل والـجـمـل مـا شـلّـهـم

أو قولهم عند ورود الماء:

وارد المـــا.. وارده يـا حـــلا.. يـا وارده[1]

* * *

(1) الزامل في الحرب والمناسبات لصالح بن أحمد الحارثي، مواضع متفرقة.

العراق:

غني عن القول أن في العراق بادية، وقبائل كثيرة مارست حياة الغزو والقتال لقرون عديدة، وبالتالي فإنها لم تنفصل عن بقية القبائل في الجزيرة العربية في شعرها، وفلكلورها، ومن هنا أوردت فيما سبق الكثير من الأحديات التي قيلت في بادية العراق، ولكننا سنحاول هنا البحث عن تواجد (الحداء) موضوعاً أو شكلاً في تراث أبناء الريف والمدن في العراق.

ومن أقرب فنون الشعر في العراق من الحداء هو فن (الدارمي) الذي يتخذ من الرجز وزناً له، ولا تزيد أبياته في الغالب عن البيتين والثلاثة فقط، وينظم ارتجالاً، ولكنه يختلف عن الحداء في أمور أساسية أهمها أنه أقصر وزناً من الحداء حيث أن وزنه عروضياً هكذا:

مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفْ مـسـتـفـعـلـن مـسْ

ويختلف الدارمي عن الحداء أيضاً في أنه ينظم غالباً في موضوعات العشق والشكوي والبكائيات، ونادراً ما تأتي مقطوعاته في الحماسة والفخر، وأغلب ما يكون نظمه لتسلية النفس، والترويح عنها، ولا علاقة له بالحروب والغزوات من قريب أو بعيد.

ومن أمثلة الدارمي قولهم:

لا يـا قـلـيـل الـذات يـالـــ مـا تـوافي
حـسـبـا لي.. بـالـشـذّات تـحـضرني.. حـافي

وقولهم:

الـقـلـب.. لمـتـه، ونـام ش يـنـيـم الـعـيـون؟
يـبـكـن، وهـم اهـنـاه لـو شـالـوا.. اشـلـون؟[1]

ومن القصائد العراقية المشهورة على وزن مقارب لحداء الخيل قصيدة (المجرشة) للشاعر البغدادي عبود الكرخي، والتي عارضها الكثير من الشعراء حتى أصبحت نمطاً شعرياً منفصلاً معترفاً به، وأولها قول الكرخي:

(1) الغزل في الشعر الشعبي لجاسم الشواي، ص44.

ذبّيت روحي.. ع الجرش وادري الجرش.. ياذيها
ساعة، واكسرْ المجرشة والعن أبو راعيها[1]

* * *

بلاد الشام:

علاوة على ممارسة (حداء الخيل) لدى القبائل البدوية المقيمة في بلاد الشام، والتي يعد شعرها امتداداً طبيعياً لشعر الجزيرة العربية، ولا يمكن فصله عن الحداء المعروف في الجزيرة، وقد أوردنا فيما سبق الكثير من الأحديات التي قيلت في بوادي الشام، ولكن للحداء صيت كبير في حواضر الشام أيضاً، وفي قراها، فهم يغنونه في الأعراس، ومناسبات العزاء حتى يومنا هذا، وينظم أيضاً في أوقات الحروب بل ويسمونه هناك (الحروبي) لتفريقه عن الهجيني.

ومن الشعراء المتميزين في شعر الحداء في القرى الجنوبية من سوريا.. الشاعر نجيب الدهيم المتوفى سنة 1944م، وقد عاش سنوات من حياته في المهجر بالولايات المتحدة الأمريكية، وأبدع فيها كثيراً من شعره، ومن قوله في (الحروبي) أي الحداء هذه الأبيات التي يبث فيها أشواقه إلى قريته (خبب)، ويذكر ما تتعرض له من غزوات وقتئذ بعد مقتل ابن عمه (جريس الدهيم) في إحدى تلك الغزوات، فيقول:

يا نجم.. حيث انّك سريع سلّم.. على صبوة خَبَب
نعميك.. لو صار الفزيع نشامى.. يلبّون الطلب

وقوله:

يا طير.. يالي باللجاه علّم لنا.. الطير الغريب
ما دمنا عا.. قيد الحياه ناطا.. على خشم الحريب

وقوله:

يالي تريدون النهاب طبّ البلا.. بدياركم

(1) مجموعة في الأغاني العامية لعامر السامرائي، ج1، ص147.

من كوننا.. بارض المصاب حال الندامة.. حالكم

وقوله:

يا طير تعارة.. يالـ تحوم أشرف.. على ملكادنا
ذبحنا عشرة، والعقيد زودٍ.. على سدادنا

وقوله:

غربي جدل.. خيلٍ تجول ومجرّدات.. لحربنا
والباشا.. بجمعه يصول جابو السعد.. لقربنا
والي بحرايبنا.. جهول ندعي مناخه.. عندنا
حنّا على الباغي.. نقول دمّ الأعادي.. شربنا[1]

ومن حدائهم في بلاد الشام خلال زفاف العرسان قولهم:

بارودتي.. ما بيعها لو وزّنوها.. بالذهب
يوم الحرايب.. يومها بخنا.. بتاريخ العرب[2]

ويقولون أيضاً:

يا شيخ.. قوم اكسي الفرس لبّادةٍ.. بعذوقها
(شوبند) بالمنحر.. جرس رمح المرايش.. فوقها

وقولهم:

يا شيخنا.. جانا النذير وتولّفوا.. بكبارنا
دعنا على العدوة.. نسير من فوق.. سرج امهارنا
عاداتنا.. نعزّ الدخيل والي يحتمي.. بديارنا

وقولهم:

(1) الشعر النبطي لمنصور الحاتم، ص130.
(2) الشعر النبطي لمنصور الحاتم، ص146.

يـــا شـيـخـنـا.. حـــرٌّ.. هـدر مـنـه الـــبـــوادي.. خـايـفـة
يـــاطـــا.. عـــلى خـشـم الـبـشر مـــادام نـفـسـه.. شـايـفـة[1]

وفي قرى سوريا يرد العاملون في الحصاد أبياتاً من الحداء لبث الحماس في نفوسهم، ومن ذلك قولهم:

يـا شـيـخ.. نـــزّال الـطـرف لا تـرحـل.. ان جـاك الـنـذيـر
حـنّـا حـمـاتـك.. لا تـخـاف وبـالـبـاز.. عـجـلات الـذخـيـر

وقولهم:

(حـديـثـة).. وش لـك عـنـدنـا؟ تمـشي عـلـيـنـا.. بـالـظـلام
وان قـــدّر الـلـه.. نـذبـحـك وبـــ صـــيرة.. نـبـنـي لـك مـقـام

وقولهم:

(نـصـيـب).. يـا بـنـتٍ طـمـوح عـــيّـــت.. عـــلى طـلّابـهـا
والـيـا حـمـى.. ظـهـر الـطـمـوح نـرمـي الـلـحـم.. باجـنـابـهـا

وقولهم:

قـولـوا.. لـفـتـنـة.. لا تصيح ولا تـلـطـم عـلـى خـدّهـا
وان اسـعـف الـمـولى الـكـريـم لـــ نـبـكي (صـيـتـة).. نـدّهـا

وقولهم:

يـا الـلـه طـلـبـتـك.. يـا جليل شـقـرا.. ذهـــوب.. مـحـجّـلـة
مـع سربـــةٍ.. مـا هـي قليل قـلـب الـضـعـيـف.. اتـرجّـلـه

وقولهم:

الـبـارحـة.. حـيـن الـعـصـر وانّ الـغـزالـة.. واردة
والـخـدّ.. يـا لـيـت الـتـمـر والـطـول.. نـخـلـة جـاردة

(1) الشعر النبطي لمنصور الحاتم، ص164.

وقولهم:

الـبـارحـة.. حـيـن الـمـنـام طـرت عـلـيّـه.. ديـرتي
يـا مـا حـلا.. حـبّ الـوشـام مـن خـدّك.. يـا عـشـيرتي[1]

وفي الرثاء أثناء تشييع الموتى يقولون في بلاد الشام أحديات مثل قولهم:

يـا سـلـيـمـة.. يـا شـيـنـة.. ارفـقـي مـا تـاخـذي.. كـود الـمـلـيـح
وابـــو ثـنـيّـة.. تـبـرقـي يـا هـذا.. يـا الـوجـه الـفـلـيح

وقولهم:

يـا حـيـف.. يـالـسـنّ الـضـحـوك يـا سـقـطـتـه.. يـا اجـبـالـهـا
يـا ربّ.. عـلـيـك الـعـوض تـبـعـث لـنـا.. مـن ابـدالـهـا

وقولهم:

يـا حـيـف.. لـلـغـصـن الـرطـيـب يـا عـشـرتـه.. مـا طـوّلـت
أسـافـة.. يـا شـمـسـك تغيب عـلى الـضـريـح.. اتـحـوّلـت[2]

وهذا مثال على الحداء في بلاد الشام للشاعر فندي المتني:

يـا امّ الـوحـيـد.. ابـكي عليه والمـــوت.. مـا يـرحـم حـدا
لابـــدّ.. مـا تـنـعـي عـلـيـه إن كـان الـيـوم، والاّ غـدا
بـالـروح.. مـا بـخـلـنـا عليه نـفـديـه.. لـو صـحّ الـفـدا
الـثـار.. مـا نمـنـا عـلـيـه بـشـارة.. خـذيـنـا مـن الـعـدى
عـدوّنـا.. راحـت عـلـيـه وبـحـذاه.. غّـنـيـنـا حـدا[3]

وعرف الدروز الذي يقيمون في جبل العرب جنوبي سوريا بشعر الحداء خاصة خلال مصادماتهم مع الأتراك والفرنسيين، ومن قولهم عندما انتصروا على سرية تركية أرسلت لهم

(1) موقع درعا نت على شبكة الإنترنت.
(2) الشعر النبطي لمنصور الحاتم، ص222.
(3) منتدى جبل العرب على شبكة الإنترنت.

سنة 1896م بقيادة الضابط محمد جارودي:

صفرا (جارودي).. غرّبت قوطر.. يحثّ اركابها
يا محمّد.. خبّر دولتك حنّا.. خذينا اطوابها[1]

ومن حداء الدروز في ساحة المرجة بدمشق تحت راية علم الثورة العربية سنة 1918م قولهم من شعر معدّي المغوّش:

عرش المظالم.. انهدم والعزّ.. طبّ ابلادنا
راحت عليكم.. يا عجم خوض المعارك.. دابنا
حنّا حماتك.. يا علم باروا حنا، واكبادنا[2]

وخلال ثورتهم على الفرنسيين سنة 1925م قال الدروز بعد فشل حملة أرسلت إليهم قرب (عرمان):

البارحة.. جانا خبر ربّك.. فتل دولابها
(عرمان).. سالت ع الكفر ذبح العراضي دابها
سربة ملح.. توطا الخطر حسّ المصوّت.. جابها
حملة غدت.. مثل الشجر يوم ان غوى.. حطّابها
ما ظلّ منها، ولا نفر تشالخوها.. اذيابها
المقرن القبلي.. انتصر حزٍّ.. خبطها، وصابها[3]

وقالوا أيضاً خلال الثورة على الفرنسيين:

يا (فرنسا).. والله ما نطيع ونهوش.. دون ديارنا
لعيون.. زغردة البنات ذبح العساكر.. كارنا[4]

وقد نسبها السديري للشيخ عجلان بن رمال الشمري بهذه الصياغة:

(1) بنو معروف في التاريخ لسعيد الصغير، ص346. وقوطر أي عاد منهزماً. والأطواب هي المدافع.
(2) سلطان باشا الأطرش لحسن البعيني، ص57. وبنو معروف للصغير، ص358.
(3) بنو معروف لسعيد الصغير، ص379.
(4) بنو معروف لسعيد الصغير، ص391.

يا شين، والله.. ما نروح نهوش.. دون ديارنا
لعيون.. من قرنه يلوح ذبح السواري.. كارنا[1]

وهذه أحدية مشهورة قالها صياح الأطرش خلال ثورتهم على الفرنسيين يذكر قائد الثورة سلطان باشا الأطرش:

يا ديرتي.. مالك علينا لوم لا تعتبي.. لومك على من خان
حنّا روينا اسيوفنا من القوم ما نرخصك مثل الردي بأثمان
لابدّ ما تذهب ليالي الشوم وتعتزّ فتية.. قادها سلطان
وان ما تعدّل حقّنا المهضوم يا ديرتي.. ما احنا إلك سكّان

وقد تغنت بهذه الأحدية ابنة عم الشاعر المغنية أسمهان (بنت فهد بن فرحان الأطرش) في أحد الأفلام المصرية.

ورد على هذا الحداء الشيخ محمد الجرمقاني قائلاً:

حيّاك.. يا علمٍ لفانا اليوم من عزوةٍ.. قيدومها سلطان
حيّه.. عدد.. مزن البرد، ونجوم حيثه.. صدر من نخبة الشجعان
يا صاحبي.. مالك علينا لوم لومك على اللي بالقضية.. خان
حنّا وقعنا.. بالشرك، وهموم وانتم على عقب الرمك.. عقبان[2]

ومن حداء الدروز قول معدّي المغوّش هذه الأحدية، وأرسلها للأمير فيصل بن الحسين:

يا مير.. ما ودها سكوت لازم.. تزور بلادنا
لابدّ عا (جلّق).. تفوت وتشوف.. عجّ طرادنا
عيال الجبل.. حيٌّ ثبوت يفني العدى.. ملكادنا
من مصر لساحل بيروت لنجد .. لبغدادنا
لأجلها.. نحيى، ونموت ونحمي.. حمى أجدادنا

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص239.
(2) بنو معروف لسعيد الصغير، ص427.

رجـال الـعـرب.. أهـل البخوت بـالـسـيـف.. نـحـمـي امـجـادنـا[1]

ومن طريف شعر الحداء قول حاد من أهل البقاع في لبنان خلال حكم الشريف فيصل لسوريا، وزيارته للبنان:

جـيـوش الـعـدى.. مـنـصـدّهـا وبـرصـاصـنـا.. مـنـردّهـا
(فـيـصـل).. أمـيـر بـلادنـا و(بـاريـس).. تـلـزم حـدّهـا

فلما هزم فيصل، وخرج من سوريا مخلوعاً بمدافع الفرنسيين قال حاد آخر شامتاً به، ويرد على الأحدية السابقة:

يـا مـيـر.. وش لـك بـالـحـروب؟ وفـرنـسـا.. مـانـك قـدّهـا
هـذي دول.. بـدهـا دول راعـي الـغـنـم.. مـا يـردّهـا[2]

ومن ظريف الحداء في لبنان قولهم:

ديـغـول.. خَـبرّ دولـتـك بـاريـس.. مـربـط خـيـلـنـا

وفي البيت السابق تحريف لصياغة أحدية حقيقية لها قصة أوردها سلام الراسي في أحد كتبه حيث ذكر أن الزعيم الوطني عبد اللطيف بك الأسعد رشح نفسه للنيابة متحدياً سلطة الانتداب الفرنسي المتمثل بالمستشار الفرنسي في جنوب لبنان (الكومندان باشكوف)، فاستقبله الحادي في بلدة بنت جبيل قائلاً:

(بـاشـكـوف).. خـبرّ دولـتـك سـلـطـانـنـا.. عـبـد الـلـطـيـف
(بـاريـز).. مـربـط خـيـلـنـا ورصـاصـنـا.. قـلّـط جـنـيـف

ورغم ذلك، فقد خسر عبد اللطيف الانتخابات بتدخل من الفرنسيين، وبقي زعيماً شعبياً، وعندما توفي جاءت الجماهير تبايع ابنه (أحمد بك) في قصرهم المعروف بدار (الطيّبة) بقول حادييهم:

مـات الـزعـيـم.. عـاش الـزعـيـم أحـمـد بـدار الـطـيـبـة

وجاءت إحدى البلدات، ولعلها (عيناتا) تندب في مأتم عبد اللطيف الأسعد، وهي

(1) سلطان باشا الأطرش لحسن البعيني، ص47، وبنو معروف لسعيد الصغير، ص357.
(2) في الزوايا خبايا لسلام الراسي، ص238.

تنشد:

عـجّـلـت يـا (عـبـد الـلـطـيـف) بـالـبـيـن، وجـنـوبـك رهـيـن
بـعـدا.. الـقـضـيـة مـعـلـقـة وع الـعـهـد.. نـحـنـا بـاقـيـن[1]

ومن الحداء المتعلق بالفرنسيين قول حاد من الفدعان من عنزة يبدي إعجابه بمصادمات قبيلة شمر مع فرقة من أعوان الاستعمار يقودهم ضابط الاستخبارات الفرنسية (لاروش):

(يـا روش).. وش لـك بالطنايا؟ يـا شـيـن.. تـوازيـهـم.. وزا
هـذولا.. مـا هـم شـوايـا كـل يـوم.. تـحـطـحـطـهـم جـزا
الـرقـة.. سـوّوا بـك سـوايـا والـغـولي.. مـا عـمـره.. غـزا[2]

وفي فلسطين ينظم الشعراء الحداء في الأعراس، وله أنواع عندهم منها: (العادي، والمربّع، والمثّمن، والفرعاوي)، وعند قفلة ردّة الحداء يردّ الجمهور على الحادي بجملة معينة مثل: (يا حلالي.. يا مالي)!

ومنه قولهم على بحر المتدارك القريب من الرجز:

مـهـري في الـهـيـجـا.. لـو ثـار ثـورة، والـعـتـمـة.. مـفـروده
ويـن عـيـون.. تـشـوف الـنـار؟ هـبَّـت.. مـن بـوز الـبـارودة

ومما يروى من الحداء في لبنان ما قيل عندما سافر الأمير مصطفى أرسلان إلى الأستانة، وعاد منها بفرمان إسناد قائمقامية الشوف إليه، فاستقبله الحادي قائلاً:

سـيـف الإمـارة.. بـيـدنـا وربّ الـسـما.. بـيـزيـدنـا
ورمـاحـنـا.. عـلْـيـت بـنـود مـن فـوق.. هـامـة سـيـدنـا

ويحكى أن المحتشدين تدافعوا حتى تساقطت الرماح أمام حوافر حصان الأمير، فغيّر الحادي البيت الثاني قائلاً:

ورمـاحـنـا.. خـرّوا سـجـود قـدّام.. هـيـبـة سـيـدنـا[3]

(1) القيل والقال لسلام الراسي، ص115.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص189.
(3) الحبل على الجرار لسلام الراسي، ص104.

* * *

مصر:

عرف بدو سيناء شعر الحداء بالطبع كما عرفته بقية قبائل الجزيرة العربية، ورددوا الأحديات على ظهور خيلهم، ومما يروى قول حاد من سيناء:

يـا بـيـض.. لا تـبـكـن عـلـيـه هـذي الـعَـمار.. امـقـدّرة
والـلـي يمـوت.. خـلّـه يمـوت خـلّـه.. يـزور المـقـبرة[1]

وذكر الباحث عبد العظيم الفرجاني أن لدى أهل البادية في مصر نوع من الغناء يسمونه (الحداء) يقال خلف الإبل خاصة في السفر أو أثناء العمل بغرض إطرابها، والترويح عنها، والدعاء لها أثناء العمل الشاق، والسفر الطويل في الصحراء، وهو بيت واحد من الشعر مقفّى الشطرين بنفس القافية، ومن أمثلته قولهم:

سـايـق عليك الـلـه.. مـا تمـوّحـي يا مفرحة الصغار.. يـوم تروّحي

ومنه أيضاً:

يا من يحدّرها.. على حيّ العرب مع خلصة المتعة.. مع طيّ القرب

ومنه:

الـبـل هـبـيـلـة.. مـا تـهـاب الليل حجّب عليها.. يا شديد الحيل[2]

وتجدر الإشارة إلى أننا وجدنا في الشعر العامي المعاصر في مصر أشعاراً توافق حداء الخيل من حيث الوزن ونظام القافية كما نعرفه في الجزيرة العربية، وهذا مثال طريف للشاعر المصري المعروف فؤاد قاعود:

المـجـتـمـع.. زيّ الـرصـيـف وسـخ، وعـايـز يـتـكـنـس
في نـاس بـتـعـرق.. ع الـرغـيـف ونـاس بـتـعـرق.. م الـتـنـس[3]

(1) ديوان الشعر العامي لأبي عبد الرحمن الظاهري، ج3، ص19.
(2) قبائل العرب في مصر لعبد العظيم الفرجاني، ص126.
(3) مذكرات القاجومي لأحمد فؤاد نجم، ج2، ص193.

* * *

بلاد المغرب:

رغم أن الإضاءة الإعلامية الأولى للشعر النبطي كانت في بلاد المغرب عبر ما ذكره ابن خلدون من نماذج شعرية إلا أننا الآن لا نجد ما يسعفنا من معلومات عما يتغنى به المسافرون في بوادي الصحراء المغربية أو ما يرتجزه فرسانهم في وقت المعارك، وقد أجريت دون جدوى بحثاً جاداً عن ذلك في مختلف المراجع والمواقع الالكترونية لعلي أحظي بشيء من ذلك.

ومن قليل ما وصلت إليه أن المجاهد الليبي عمر المختار كان يرتجز عند بداية معركة الرحيبة ضد الطليان، والتي وقعت في يوم العيد:

جـيـتـوا.. فـ عـيـد، ويـوم سعيد إن عشت سعيد، وان مت سعيد

وهذا قريب من حداء الخيل في الجزيرة العربية (مجزوء الرجز).

وذكر أن المختار بعد انتهاء مفاوضاته مع الطليان في منطقة القيقب، وكان يريد بعث الحماسة في جنوده أمر أحد المجاهدين بأن يغني، فلما سأله بماذا يغني.. رد المختار: غن، وقل:

أجـــواد.. راكـبـين الـخـيـل عـلى ديـنـا.. مـا.. انمـايـنـو[1]

أي لا نماين على ديننا، وهذا مثل حداء الجزيرة العربية، وإن اختلفت اللهجة.

وأجدها مناسبة هنا للإشارة إلى فن يشبه الحداء من حيث الشكل حيث يقال ارتجالاً في الغالب، ولا يتعدى البيتين بوزن قصير، وهو فن (المربعات) الذي تنسب أقدم نماذجه، وأشهرها إلى الولي الصوفي ابن عروس، والمشتهر شعره في تونس وليبيا ومصر، ووزنه يأتي على التقطيع العروضي:

مـسـتـفـعـلـن فـاعـلاتـن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلاتـن

(1) عمر المختار نشأته وجهاده لعقيل البربار، ص155.

وهو بذلك قريب من بحر المجتث ووزن الهجيني القصير (الشمالي) ناقصاً سبباً خفيفاً، ومن أمثلته قول ابن عروس:

ما يرقد الليل.. مغبون ولا يقرب النار.. دافي
ولا يطعمك شهد مكنون إلاّ الصديق الموافي

وقوله:

لا تسلك الطرق وحدك بحر المحبّة غوارق
وامشي مع اللي يودّك واترك هوى اللي يفارق

ولعل أشهر مربعات ابن عروس قوله:

لابدّ من يوم معلوم ترتدّ فيه المظالم
أبيض.. على كلّ مظلوم أسود.. على كلّ ظالم[1]

ومن المربعات أيضاً ما يردده أبناء البادية في ليبيا إلى يومنا هنا، ومنه قول بعضهم:

عيب الجمل.. قلّة النقل وعيب الحصان.. الحرانة
وعيب الولد.. خفّة العقل أطلع جوارح لسانه

ويقول بعضهم في ليبيا في وصف الناقة:

يا زينها فوق الادوار وحيرانها في السماحي
كحيلة تبي عشب نوّار ولا فيه غير المداحي

وقولهم في الحروب:

سوقن رسم.. عند اهلنا يا ريتنا.. حاضرينا
إمّا غبينا، ومتنا والاّ الثنا.. جايبينا[2]

وعند قبيلة (أولاد علي) أكبر القبائل البدوية في غربي مصر، وليبيا يقيمون في الليلة

(1) ابن عروس لمحمود الهندي، ص81.
(2) حضور المرأة الليبية في المأثور الشعبي لأحمد النويري، ص106.

السابقة للزفاف (السامر)، وهو ما يطلق على حلقة كبيرة من الرجال والشباب الذين يكوّنون (الصابية)، وهم يصفقون، وأمامهم (الحجالة) من الفتيات، ويأخذون بإنشاد بعض الأغاني المعروفة بـ (الشتاوات) مثل:

يا بو جمّة.. ريش نعام ما خلّيت العقل ينام

أو يقولون:

يا خالق الطير.. اسامي سهّل.. قسمة عين الدامي

وكانت العروس تحمل فوق الجمل داخل (القرموز) أو الهودج، ومعها رفيقاتها من الفتيات بينما تجتمع مجموعة من الشباب يجرون في قفزات جميلة من مؤخرة الزفة حتى يصلوا أمام الجمل الذي يحمل العروس.

ويتوقف السير كله لسماع أغاني الشباب التي تتحدث عن العروس، وجمالها، وأدبها، وعريسها، وعراقة أهلها ثم يوجهون الكلام إلى مجموعة (الحجالات) المرافقات للعروس، وتكون هذه فرصة للشباب للتعبير عن حبهم، وينشرون شباك الغزل، والحديث عن الحب، والهجر، والغرام.[1]

(1) النظم والعادات الاجتماعية عند البدو لهانم السيوي، ص352.

رابعاً: النساء وشعر الحداء

كان للنساء إسهام في حداء الخيل رغم أنهن في الغالب لم يكن يمتطين صهوات الخيول في المعارك، ولكنهن كن يلجأن للحداء في بعض الموضوعات لسهولة نظمه، وغنائية موسيقاه أو يستخدمنه لبث الحماسة في المقاتلين أثناء المعارك، وقد اخترت من شعرهن هذه النماذج:

نبدأ مع الشريفة عمشا بنت ناصر آل غالب تحمس فرسان قومها خلال حربهم مع البقوم، وتعد أشجعهم بالزواج منها، فتقول:

من يقطع الفرجة على (البعّاج) يصير.. للشيخة.. حليل
ماريّته.. رمحه يجي.. منعاج يقلط.. إلى هاب الذليل[1]

ومثلها هيا المبارك الشلوية الحارثية التي كانت تحمس أبناء قومها على القتال، فتقول:

اردوا.. كما ورد الظمايا الموت.. اخير من الحياة
يا خايفين.. من المنايا من جاه.. سوّ الموت.. مات
الموت.. ما خلّى الصبايا نجل العيون المترفات
ربعي.. ليا جات القضايا أهل الفخر، والطايلات

وذكر السديري البيتين الثاني والثالث من الأحدية السابقة لحاد مجهول.[2]

ومن حداء النساء المشهور قول طرفة آل سليم ابنة أمير عنيزة خلال وقعة المطر بين جيش الإمام فيصل بن تركي بقيادة ابنه (عبد الله)، وأهل عنيزة سنة 1279هـ، وهي بأحديتها تستنجد بأبناء عمومتها من قبيلة سبيع الموجودين ضمن جيش الإمام، ويذكر أنه كان لهذه الأحدية أثر في الصلح بين الطرفين حيث توسط السبعان في حقن دماء أهل عنيزة، والاستجابة لدعوة ابنة عمهم حين قالت:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص270.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص150.

يا من يداوي.. علّة الوجعان ومشاعفه.. مع الونين.. صياح
يا (سبيع).. يا كسوة العريان يا كسوتي.. يوم انّ ثوبي طاح
أقصى بني عمّي.. هل الوديان وادنى بني عمّي.. قطين ارماح[1]

ويقول سليمان الحديثي: «أن سبيعاً تأثرت بهذين البيتين حتى أنهم قطعوا شيئاً من بساط عبد الله بن فيصل الذي يجلس أو ينام عليه إشعاراً بتأثرهم من حصارهم لبني عمهم، فاضطر عبد الله بن فيصل إلى السعي بالصلح مع أهل عنيزة».[2]

ومما ينسب للدحملية أو لمويضي البرازية قولها تذكر الشيخ برجس بن مجلاد في أحدية من النوع القصير كالآتي:

خيلٍ.. حداها (برجس) تسعين.. بسّ لحاله
(الحميدي) جانا.. نايز و(ابو عمر).. يبرا له
رزّ العلم.. يا علوى لا رحم ابو.. من شاله
ليتي حليلة (برجس) واصير انا.. أمّ عياله[3]

ويشبه ذلك شعر ينسب لامرأة تمدح فيه الشاعر نمر العدوان:

تهيا.. لمن تهيا له لعزوته، وارجاله
(ابن عدوان) النشمي يا ذاعر الخيّالة
ياللي.. حديت المليّة حداهم.. بسّ لحاله
ليته.. ولد عمٍّ لي والاّ انّي بنت الخالة
البيض.. يمّه.. اطمحن يا الله ان تحيّي فاله
وا وا هنيّ.. لـ (وضحا) باللي قليل ارجاله
يا ليت انّه.. حليلي واصير انا.. امّ اعياله[4]

(1) سبيع الغليا لخالد القريشي، ص179، والحداوي لمحمد السديري، ج1، ص147.
(2) أنساب قبيلة سبيع وأخبارها لسليمان الحديثي، نسخة الكترونية.
(3) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص83، والفنون الشعبية للدويش، ص140.
(4) نمر العدوان شاعلا الحب والوفاء لروكس العزيزي، ص58.

ومما يشبه ذلك ما نسبه السديري لبنت ابن كريدي شيخ الخزاعل عندما انتصر عليه الشيخ برجس بن مجلاد:

أبـــو كـلـمـة.. صـــاح الـغـبـن مـلـــهـــوف.. ولـــد كـريـــدي
مـــا يـقـعـدهـــا.. بـــالمـصراع دقّـــــة عـــرقـــوب مـعـيـدي
خـيـــلٍ.. حـــداهـــا (بـرجـس) مـــا تـنـحـسـب.. بـــالإيـــدي[1]

وقالت وضحا الهدبا المطيري تذكر الفارس شليل بن نجم العتيبي رغم العداوة بين قبيلتيهما:

يـا يمّـــه.. انـا شـفّـي (شـلـيـل) وبـاقـي الـعـرب، والـلـه.. مـا بـاه
يـا لـيـتـنـي لـــه.. مـارتـين والاّ.. حـــزام في حـشـاه
إمّـــا اذبـــحـــوني.. يـا دلـيـل والاّ.. الـحـقـوا قـلـبـي.. هـواه

وذكر السديري أن (شليل بن نجم) خطبها بعد ذلك، وتزوجها، بينما يذكر الحديثي أنها لم تتزوج من شليل بل تزوجت أحد أقاربه.[2]

وقالت بنّا بنت ملاقي المسطّح الشمري تتوجد على قومها بعدما توجهوا شمالاً:

قـفّـوا شـــمالٍ.. ربـعـنـا وكـبـدي تـقـل.. يـصـلاه نـار
ودّي أزوغ بـشـوفـهـم إن اقـبـلـوا مـثـل الـحـرار
يـا زيـــن مـيـلـة عـقـلـهـم الـيـا اركـبـوا قـبّ الـمـهـار[3]

وهذه فتاة أخرى نجدية تتمنى الزواج من أحد الفرسان الشجعان، فتقول:

يـا يمّـــه.. سـومـي حـبّـتـي عـلـى مـــروّيـــن الـــرمـــاح
مـــن زمّـــتـــي.. مـا حـبّـنـي ولـد الـــردي.. رخـو الـجـنـاح

وذكر السديري أن الأحدية السابقة رويت له بهذه الصياغة أيضاً:

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص8.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص118.
(3) مجلة قطوف الإماراتية، ع18، ص89.

يـا يمّـــا.. بـرخـص حـبّـتـي لـلـغـوش.. مـرويـن الـرمـاح
ولـد الـــردي.. مـا ذاقـهـا كـوبـان.. مـيّـال الـجـنـاح[1]

ومثل الأحدية السابقة ما ينسب لفتاة من أهل رنية تحمس فرسان قومها، فتقول، (ولاشك بأنها تكذب في وعدها لهم!):

الـلـي يـريـد.. لـحـبّـتـي يـقـلـط.. ليـا هـاب الـذلـيـل
أسـقـيـه انـــا.. مـن ذبّـلـي غـصـبٍ عـلـى خـشـم الـحـلـيـل[2]

وقد لطّف بعض الرواة الشطر الأخير، فجعلوه: (ردٌّ على فعل الجميل)!

وقالت الرسيمية من الظفير:

أبـــوي.. عـــرّب مـنـسـبـي ســـمّاني.. نـــوّارة عـرب
الـلـي يـريـد.. يـحـبّـنـي كـحـيـلان.. مـرفـوع الـحـجـب
والـلـه.. مـا يـقـرب حـروقي كـوبـان.. مـهـلـوس الـذنـب[3]

وتقول فتاة من قبيلة آل مرة حينما تقدم لخطبتها أحد الأمراء أحدية من اللحن القصير:

يـا يمّـه.. مـا ابـغـى الـشـيـخـان مـا لي.. بـرفـع الـبـابـة
شـفّـي.. ولـد عـمٍّ لي حـرٌّ.. عـلـى مـركـابـه[4]

وهذه فتاة من الحوازم من قبيلة حرب تحمس فرسان قومها، فتقول:

والـلـه.. لاهـدّ الـجـدايـل واقـشّ.. عـن خـدّي حـيـاه
حـتـى يـجـيـنـي.. عـلـم طـايـل ربـعـي.. مـطـوّعـة الـعـصـاه[5]

وتقول أخرى من الحوازم تحمس فرسان قومها، وتتمنى لو كانت رجلاً:

يا ليت ما وصفي وصوف اللي تحنّى وصفي من اللي ينقلون المثمنات

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص152.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص161.
(3) الخيل عند العرب لأحمد محارب، ص171.
(4) الدرة من أخبار قبيلة آل مرة لمحمد المري، ص127.
(5) من مرويات ابن قابل للأحمدي، ص164.

حتى انتخي من دون ربعي، واتثنّى واضرّب العايل دروب العايلات[1]

وقالت إحدى الشاعرات تذكر الشيخ سعد بن مهرس الحارثي، وابن عمه حجيل:

اللي يبي الحبّة.. قبال الليل من مبسم.. حلو نباه
يقدم على سربة سعد، واحجيل وان طرّف التالي.. حماه[2]

ومن الحداء القصير القريب من بحر المتدارك قول فتاة حجّرها ابن عمها، فتوجهت بشعرها إلى ثلاثة من شيوخ القبائل والأمراء، وهم: (سلطان السويط، وطلال الرشيد، وفنيطل الوجعان) ليفكوا حجرها حيث قالت:

أنا دخيلة (سلطان) والاّ (طلال) بحايل
والاّ (فنيطل الوجعان) حامي تالي الدبايل

فقاموا لنجدتها، وأرسلوا إلى ابن عمها يعرضون عليه ما يريد من الجاه والمال حتى فك الحجر، وسمح لها بالزواج ممن تحب.[3]

وقالت فتاة من الأسلم من شمر تستنجد بالأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد:

(عبد العزيز).. يا عزوتي يا بو علوم.. بيّنات
أمشي، واقصرّ خطوتي مصلوخةٍ.. بين البنات[4]

ومن حداء النساء في تفضيل الشجعان، وتحميسهم قول امرأة تطلب من زوجها تطليقها:

يا شوق.. طلّقني، واروح حبلك.. على حبلي لوى
شوقي.. إلى ركب الجموح يعشّي الذيب الى عوى
اللي يطوّح للطريح يجوز له.. كلّ الهوى[5]

(1) من مرويات ابن قابل للأحمدي، ص164. والشاعرة هي ابنة شيخ الحوازم (ابن عبد المطلوب).
(2) الفريس لمجموعة، ص117.
(3) مجلة البواسل، ع14، ص34.
(4) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص196.
(5) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص170.

خامساً: قصص من تراث الحداء

اخترت هنا بعض الأحديات التي تتضمن قصصاً لطيفة، وإن كان لكثير من الأحديات التي أوردتها سابقاً قصص ومناسبات قيلت فيها، ولكن ما يدرك كله لا يزهد في بعضه:

راكان في حبس الأتراك

في الفترة بين عامي (1288 - 1294هـ) تمكنت قوات الأتراك من سجن الشيخ راكان بن حثلين في سجونهم القريبة من بلاد الصرب، ولم يطلق سراحه إلا بعد مشاركته الشجاعة في حربهم، وتمكنه من قتل واحد من شجعان الصرب، وهو الذي يسميه راكان في شعره بـ (العملاق).

وهذا الشيخ راكان بن حثلين يصف للإمام سعود بن فيصل آل سعود في هذه الأحدية ما تعرض له خلال حبسه لدى الأتراك، فيقول:

يا بو هلا ليتك تشوف حطّوني العسكر نظام
يقودني قود الخروف العسكري ولد الحرام
الصبح ماكولي رغيف وبالليل ما ذوق المنام

ويكمل راكان أحديته بعد أن أطال وزنها يصف محاربته مع الأتراك ضد الجيش الروسي (المسقوف)، فيقول:

وانصفني الله بدولة المسقوف من فعلهم.. راحوا نعام
واسترهق (الباشا) بكلّ الخوف طير المذلّة.. فوق راسه حام
طلبت منّه.. يعمل المعروف يطلق سراحي باوّل الأروام

من فوق زرقا كنّها الشاحوف خيّالها.. فعله جديد، وعام
برزت للعملاق، وهوّ يشوف وبغى الهرب منّي ولا ينلام
ها ثم خطفته والصفوف اوقوف مستاسره.. حيٍّ.. بغير اعدام[1]

وقد وجدنا هاتين الأحديتين مدموجتين، وقد أصلح وزنهما، وحذفت بعض الأبيات، وأضيفت أخرى لدى ابن فردوس في كتابه (تاريخ العجمان)، ولا أشك في أن ذلك من عمل راوية معاصر أراد أن يضيفهما لشعر راكان حيث جعل الأبيات كالآتي:

يا بو هلا ليتك تشوف حطّوني العسكر نظام
يقودني قود الخروف العسكري ولد الحرام
استرهق الباشا بخوف تسهر عيونه ما تنام
طلبت منّه بمْعَروف في ساعةٍ ما من كلام
برزت انا بين الصفوف كنّي مع صبيان يام
جيته على مثل الشفوف بغى الهزيمة، والسلام
لحظات والعبد امخطوف وربعه غدوا مثل النعام
عليه يصفقن الكفوف نهارهم.. كنه الظلام
مركاضنا تر فيه انوف نفرح ليا ثار العسام
والعود دارب وامعسوف لى ركب وانشقّ الكمام[2]

* * *

الشاعر والشريف

روي عن شاعر جاء إلى شريف مكة عون الرفيق في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكان يكره الشعر، ويرفض الاستماع إلى مدائح الشعراء فيه، فقام ذلك الشاعر، وهو من

(1) مخطوطة لباب الافكار لمحمد اليحيى، ص781.
(2) تاريخ العجمان في قديم الزمان لفهد الفردوس، ص96.

الشيابين من قبيلة عتيبة بالدخول على الشريف، وألقى الأبيات الآتية:

سلام عليك يا شريف أعطاك ربّي العافية
كفاك الله شرّ البلا والبيّنة، والخافية
عندي حريم بلا هدوم وكلّ الخلايق دافية
عطني دراهم، واشتري والاّ.. ثيابٍ ضافية

وقد جزّأ الشيباني إلقاء الأبيات ببطء، فكان يسكت بين شطر وآخر، فحينما سلّم. رد عليه الشريف السلام، وفي الشطر الثاني. قال الشريف: (آمين)، ولم يكتشف أن ما يقوله الشيباني هو شعر إلا في النهاية، فأمر له بما طلب.[1]

* * *

دعوة أم

يحكي روكس العزيزي في (معلمته) قصة عن عجوز أقامت وابنتها الشابة في جوار شيخ اسمه (نواش)، ولكن ذلك الشيخ طمع في البنت الشابة، وأراد اغتصابها، ولما عجز عن ذلك رماها ببندقيته، فأصابها في يدها، وعادت البنت تصيح، وتستنجد، فلما سألوها أخبرتهم بالحقيقة.

ولما عجزوا عن الاقتصاص من الشيخ رحلت العجوز وابنتها عنهم، وبدأت سمعة (نواش) تسوء بين قومه، فرحل عنه بعضهم، وبقي البعض الآخر.

وفي تلك الأثناء رحل (نواش) مع مماليكه للقنص، فرأى بيت شعر فقير لامرأة مملوكة مع ابنها الصغير، فقام بأخذ الولد الرضيع من حضن أمه، ورماه بين الطيور والكلاب، فنهشته، وصاحت الأم الثكلى، وقالت:

يا ربّ شفت اللي جرى ما ظنّ.. شبهٍ له جرى
ربّيتهم.. لمّا طغوا مالك عليهم مقدرة؟

(1) شعراء عتيبة لمحمد العصيمي، ج2، ص436.

فـلا انـت غـايـب نـرتـجـيـك ... بـل حـاضر اعـيـونـك تـرى
مـا ظـلّ لي دمـعٍ يـذوب ... ولا حـسّ وسـط الـحـنـجـرة
قـلـبـي كـمـا فـرخٍ يـلـوب ... يـا مـرتـقـب بـين الـورى
يـا ربّ تـفـنـيـهـم فـنـي ... تـجـعـل نـزلـهـم.. مـقـبرة
مـا ظـنّ مـظـلـومٍ يخيب ... يـا مـعـتـلي عـيـنـك تـرى

ويحكى أن هذا الدعاء لم يخب، فسرعان ما سقط (نواش) عن فرسه على صخرة، فتناثر دماغه، وحل وباء بقومه الذين بقوا معه حتى أفناهم، وأصبحت (منازلهم) مقبرة كما دعت العجوز في حدائها.[1]

* * *

العاشق المقدام

شاب يدعى (عاتق الشمري) كان يعشق فتاة من قبيلته اسمها (دليّل)، ولكنه لم يستطع الاقتران بها لوجود أبناء عم لها يرغبون بها، وفي أحد الأعياد زار عاتق ديار محبوبته لعله يظفر منها بنظرة، فصادف أن جاءهم غزو، ففزع القوم، ولكن الشيخ الجربا منعهم من ملاحقة الغزاة بسبب كثرة عددهم، ولكن عاتق ركب فرسه، وصار يحدو بهذا اللحن القصير قائلاً:

يـا بـو بـشـت رفـروفي ... هـبّ الـهـوا.. نـاطـحـني
يـا مـن يـقـول.. لـدلـيّـل ... بـهـاك الـروض اتـنـاطـحـني
يـا لـيـت دلـيّـل تـنـظـر ... يـوم الـقـوم اتـلاوحـنـي

وبالفعل لحق عاتق بالقوم مع بعض الفرسان حتى تمكنوا من رد ما كسب منهم.

ويقال أن الشيخ سأله عن كلمات أحديته أثناء المعركة لأنه لم يوضحها، فقال عاتق: (لا تفضحني بوسط شمر لأن أبناء عمها معنا)، فلما علم الشيخ بذلك ذهب إلى والدها، وأقسم

(1) معلمة للتراث الأردني لروكس العزيزي، ص199.

عليه أن يزوج عاتق من محبوبته، فكان له ما أراد.[1]

* * *

هاتف الخادمة

ذكر شاهر الأصقة قصة غريبة عن خادمة سمراء لدى الدوشان شيوخ قبيلة مطير تدعى (فاطمة)، وكانت تأتيها رؤى غريبة، ففي سنة 1928م جاءها هاتف في منامها يقول لها (من بحر الرمل):

بـشـرّي الـوادي المـسـين ... بـالمـزون المـردفـات
وعـلّـمـي الـقـلـب الـفـطـين ... بـالـلـيـال الـلايـعـات
وعـلـمـي الـنـاس الـغـافـلـين ... بـدنـيـا مـا فـيـهـا نـبـات

وفي تلك السنة هطلت الأمطار، وفي السنة الأخرى 1929م جاءها الهاتف بهذه الأحدية:

يـا شـيـخـنـا دايـم نـظـير ... يـا ويـل مـن بـقـعـا وراه
ويـا حـيـسـفـا ولـد الأمـير ... يـرعـى المـدرّع.. في ذراه

وبالفعل خلال فترة قصيرة قتل الشيخ عبد العزيز بن فيصل الدويش خلال المعركة المعروفة خلال ثورة الأخوان.[2]

* * *

نجر المطوع

كان لسعيدان مطوع نفي نجر يهرس به البن، ويبدو أنه نجر عجيب حيث رغب بشرائه أكثر من شخص، ومنهم دغيليب بن خنيصر، وشارع الوهاب الدماسي، ولكنه رفض ذلك، وقال

(1) من آدابنا الشعبية لمنديل الفهيد، ج6، ص109.
(2) قاموس البادية لشاهر الأصقه، ص373.

فيه على بحر الحداء:

النجر سامه شارع الوهاب سامه، وكثّر.. مار انا عيّيت
الله.. لا يتكل على الأسباب إن كان بعت النجر بعت البيت[1]

* * *

الفتى الشجاع

ومن القصص اللطيفة عن الشجاعة والإقدام ما روي عن الفارس محمد بن شالح بن هدلان، فقد حدث أن غزوة وقعت على بعض قحطان، فخرج الشيخ شالح بن هدلان لركب جواده، ويلحق بالقوم، ولكن ابنه محمد سبقه، وامتطى صهوة جواد أبيه، فأمره والده بالنزول من الجواد لأنه ما زال صغيراً على المعارك قائلاً: (اليوم ما هوب يومك يا ولدي) نظراً لصغر سن محمد، ولكن محمد أصر على ذلك، فسمح له والده بعد أن أعطاه الرماح التي اشتراها، فلحق محمد بالقوم، والتحم بالمعركة، فجندل اثنين من الأعداء، وأصاب ثالثاً بعد أن انكسر فيه الرمح الأخير، واستطاع هو وبقية الفرسان إرجاع الإبل.

وهكذا عاد محمد بن شالح يتقدم الفرسان ممسكاً بأعنة ثلاث قلائص من الخيل.

وعندما علم الشيخ حسن بن سفران القحطاني لم يصدق أن محمد بن شالح لم يجندل إلا اثنين، وصوب ثالثاً لأنه كان يتوقع أن محمد سيجندل أكثر من ذلك لمعرفته بشجاعته الفائقة رغم صغر سنه، وعندما علم محمد بذلك قال حادياً:

تعذّروا لي من الأمير رمحي من الجبّ انكسر

(1) مخطوطة لباب الأفكار لمحمد اليحيى، ج2، ص488.
ولسعيدان قصيدة ثانية من الشعر النبطي على بحر المسحوب، ولا بأس من إيرادها حيث يقول:
نجر المطوّع.. يوم سامه دغيليب = قالوا تبيعه قلت نجري ما ابيعه
أي إلى جونا هل الفطر الشيب = أجواد مرفقهم عدوّ الشريعة
أوّل قراهم.. دلتين، وترحيب = ترحيبةٍ سهلة بنفس رفيعة
ما ناب احبّ اللي بجنبه عذاريب = طبيعة.. يا حيّهاً من طبيعة
ولم يسكته سوى قول صديقه اللدود الشاعر عبد الله بن سبيل عندما رد على الأبيات السابقة ساخراً:
اللي يجي يمّه هل الفطر الشيب = شرقٍ عن الهيشة.. يسار الرفيعة
والا (المطوّع) كل هرجه تكاذيب = واليا بغى ما هيب ترقة تطيعه
الأدب الشعبي لعبد الله بن خميس، ص466.

إليا ركبنا اللي ظهير ما نطعن الاّ في النحر
لعيون من نهده صغير يطمح ليا ردّ الخبر[1]

وقد نسبها السديري لذيب بن شالح، ولديه أولها: (العذر منّك.. ياالأمير).[2]

* * *

اعتذار فارس

كان الفارس كشمر بن زقم الصلال الفضلي معروفاً بالشجاعة حتى أنه قتل القائد التركي محمد مراد في حربه مع سعدون باشا بن منصور السعدون شيخ المنتفق سنة 1903م، وقال حادياً:

حنّا فكّينا ناقته ودّوا لشوّاقة.. بشير
ذبحنا محمد مراد وش عاد لو زعل الوزير

وذات يوم غضب سعدون باشا على فارسه كشمر الذي رحل، وأقام عند الثوير من الرفيع، وذهب معهم إلى سعدون رغم التحذيرات بأن سعدون قد يقتله إن رآه، ولما وصل كشمر جلس خلف صيوان سعدون باشا، وصار يحدو:

قالوا: يهينك لا تروح والقلب.. عيّا.. لا يطيع
اذكر.. فعولٍ ماضيات وارحم بعبدك لا تبيع

ثم حدا كشمر ثانية، وهو يقترب من مجلس سعدون باشا:

ارحم وسامح يا امحفوظ والعفو.. يا ستر البنات
يامّا.. ردّيته.. قفوكم يوم السبايا مقفيات

فقال سعدون باشا: (ونعم.. امخبور يا كشمر. اجلس)، وعفا عنه.[3]

(1) ديوان الشيخ الفارس شالح بن هدلان لخليل بن ذيب.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص111.
(3) جريدة الرأي العام، أول أغسطس 2002م.

* * *

رازق الثمانية

يروي حمدان المطيري في كتابه (تاريخ الدياحين) قصة إنسانية جاء فيها شاهد من الحداء، وهي عن (جويعد الديحاني)، وكان مسافراً بزوجته، وأبنائه الستة الصغار، وفي الطريق أنهكهم التعب، وأعياهم الجوع حتى اضطر جويعد لذبح بعيره الوحيد الذي يحملهم على ظهره لإطعامهم، وأخذ قطعة من لحم البعير، وترك زوجته، وأبناءه عند (رس الحضاري) قائلاً لزوجته: (انتظريني يومين فقط، فإن مضت دون أن أرجع إليك، فاعلمي أنني قد مت، وعندئذ عليك أن تتصرفي، وتنقذي نفسك، وأطفالك، وسوف تجدين الدياحين على الجريسية (70 كم غرب الحضاري).

وودع جويعد زوجته، وأطفاله، وهو يدعو قائلاً:

يـالـلـه يـا الـرب المـجـيـب يـا رازق الـثـمـانـيـة
يـا رازق.. ضـبـعـة، وذيـب مـع سـتـة الـحـصـانـيـة

وتكتمل القصة بأن جويعد استطاع حيافة إبل كثيرة بعد أن تمكن من إغراء الكلب الذي يحرس الإبل بقطعة اللحم التي حملها معه حتى قتله، وعاد بعد ذلك إلى زوجته، وأولاده يسوق تلك الإبل.[1]

* * *

طلاق شعري

لم يجد الشيخ ذعار بن سعدى شيخ الوهوب من قبيلة حرب طريقة أجدى من الحداء لتطليق زوجته بعد أن غضب عليها، فأرسل إليها هذه الأبيات:

يـا طـارشٍ.. قـل لـلـمـوح تـرى الـوعـد تـسـعـين عـام

(1) تاريخ الدياحين لحمدان المطيري، ص248.

طـلاق، ولمـثـلـي تـروح تـخـيّري بـين الأنـام
لـو كـنـت انـا فـيـهـا شـحـوح عـلـيّ ردّتـهـا حـرام[1]

* * *

ثأر الضيوف

نزل ضيوف عند رجل من قبيلة الدواسر، فجاء أفراد من قبيلته، وقتلوا ضيوفه لثأر سابق، وحين علم الدوسري بذلك استشاط غضبه حتى قتل منهم خمسة فرسان، ثم غادر دياره، وحينما لاح له البرق تذكر أهله، وانتجاعهم للربيع إلا أنه آثر ظهر جواده على وطنه، فقال حادياً:

كـلٌّ رقـد، وانـا اشرب الـدخّـان والـنـوم مـا والـلـه عليه اغضيت
أركـب عـلى الـلي جـدّهـا رمـهـان يـرعـى بها الـذود المـطـرّف هيت
كـلّـه لـعـيـنـا.. ذبـحـة الضيفان ذبـحـوا وتـالي سـورهـم بالبيت
ذبـحـت منهم خمسة الـفـرسـان ذبـحـتـهـم، والـظـهـر.. مـا صلّيت
الـبرق لاح، وحـالـت الـعـربـان وانـا عـلى ركـب الـجـواد اشفيت[2]

(1) الحداوي لمحمد السديري، ج1، ص108.
(2) الحداوي لمحمد السديري، ج2، ص145، وذكر سليمان الحديثي أن بعض هذه الأحدية روي منسوباً لمارق بن عرّوج اللامي.

سادساً: الحداء في الشعر المعاصر

هذا، وقد استمر شعراء القصيدة العامية في وقتنا الحالي في استثمار النمط الفني لشعر الحداء، ومن أجمل الأمثلة لذلك هذه القصيدة المعنونة (بنت الكحيلة) للأمير خالد الفيصل، وهي عبارة عن أحدية وزناً وموضوعاً كما نرى في نصها الآتي:

بـنـت الـكـحـيـلـة.. مـهـرتي ... وخـيـالـتـي.. مـن كـلّ اصيـل
ألـقـى عـلـيـهـا.. طـربـتـي ... بـين المـعـنـق، والـشـلـيـل
صـدر، وقـطـاة.. فـلـوتي ... الـعـنـق، والـسـاق الـطـويـل
وقـع الـحـوافـر.. نـغـمـتي ... وحـداتـنـا.. رجـع الـصـهـيـل
أبـوي، وجـدّي.. قـدوتي ... لـو مـا لـهـم عـنـدي مـثـيـل
بـالـديـن.. تـفـخـر عـزوتي ... والـرمـح، والـسـيـف الـصـقـيـل
مـاكـر حـرارٍ.. ديـرتي ... مـا في (هـل الـعـوجـا).. ذلـيـل[1]

ولغنائيته استخدم وزن الحداء في كثير من الأوبريتات الغنائية، ومن ذلك قول الأمير بدر بن عبد المحسن في أوبريت (فارس التوحيد) الذي كتب بمناسبة مرور مائة سنة على دخول الملك عبد العزيز مدينة الرياض:

وقّـف عـلى (المـصـمـك).. وحيد ... صـامـت.. تـهـزّه عـبرتـه
يـودّع اطـراف الـجـريـد ... والاّ.. مـعـارف مـهـرتـه[2]

وقوله في موقع آخر من الأوبريت:

أقـبـل عـلى الـسـيـف، وجـلـس ... يـخـطّ.. في الـرمـل بـعـصـاه
وخـذا مـن الـغـربي.. نـفـس ... ريـحـة زهـر نـجـد.. فـ هـواه

(1) الديوان الثاني خالد الفيصل.
(2) فارس التوحيد لبدر بن عبد المحسن، ص11.

وقوله:

هـواجـسـه.. مـثـل الـهـبـوب تـسـكـن لـهـا سـاعـة، وتـهـيـج
ومـراكـبٍ تـبـحـر جـنـوب تـدوّر اكـنـوز الـخـلـيـج[1]

وقوله:

إن حـاربـوا.. لـجـل الـحـيـاة لـلـمـوت.. شـبّـوا اسراجـهـم
ولى كـبـرّوا.. لـجـل الـصـلاة غـطّـى الـجـزيـرة.. احـجـاجـهـم[2]

كما استخدم الأمير سعود بن عبد الله قبل ذلك وزن الحداء في معظم أجزاء أوبريت (مولد أمة)، ومن ذلك قوله:

قـلـبـي... تـولّـع بـالـريـاض حـبٍّ ورثـتـه مـن الـجـدود
يـا صـفـحـة.. نـاصـعـة الـبـيـاض زرعـتـي الـصـحـرا.. ورود[3]

وقوله:

(أجـا وسـلـمـى).. جـيـتـهـا و(حـايـل).. بـهـا هـنّـيـتـهـا
أرضٍ بـهـا (حـاتـم) ربى أرض الـكـرم.. سـمّـيـتـهـا[4]

وقد استخدمت صيغة الحداء في قصائد مطولة بعيدة عن موضوعات الحداء كمحاولة من بعض الشعراء للتحليق في أوزان غير مطروقة، ومن ذلك قول الشاعر طلال العبد العزيز الرشيد في قصيده منها:

لى مـن غـدا قـلـبـي.. يـدي تمـدّني، واصـافـحـك
ولى مـن غـدا قـلـبـك.. خلي مـا بـه لـزوم اصـارحـك
مـا بـه عـطـش.. كـود الـسـلام إن سـلـهـمـت.. ذوابـحـك[5]

(1) فارس التوحيد لبدر بن عبد المحسن، ص17.
(2) فارس التوحيد لبدر بن عبد المحسن، ص18.
(3) مولد الأمة لسعود بن عبد الله، ص12
(4) مولد الأمة لسعود بن عبد الله، ص9.
(5) طواريق النبط لإبراهيم حامد الخالدي، ص61.

كما استخدم الشاعر الكويتي حمود البغيلي وزن الحداء في كثير من أشعاره المعروفة بالملحوظات، والتي ينشرها على الصفحة الأخيرة من جريدة القبس منذ سنوات، وقد اخترنا بعضها، ومن ذلك قوله:

عـيـون.. يـاكـلـهـا الـسـهـر تـفـكـيرهـا في دارهـا
وعـيـون.. امـانـيـهـا مـهـر لـصـغـارهـا، وكـبـارهـا
وعـيـون.. دمـعـتـهـا قـهـر تـشـكـي عـظـيـم اسرارهـا
وعـيـون.. في نـصـف الـشـهـر تـبـكـي عـلـى ديـنـارهـا
وعـيـون.. داخـلـهـا نـهـر يـطـفـي ظـمـا زوّارهـا
وعـيـون.. مـرقـدهـا دهـر مـا عـانـقـتـهـا افـكـارهـا[1]

وقوله:

احـذر مـن الـشـيـخ الـحـلـيـم ومـن الـفـقـيـر اذا اغـتـنـى
واوصـيـك.. لا تـرافـق لئيم حـتـى، ولـو شـفـت الـعـنـا[2]

وقوله عندما برزت ظاهرة (المد الأحمر) في الكويت مما أدى لنفوق كثير من الأسماك:

مـا فـيـه تـحـلـيـلٍ صـحـيـح مـدّ الـتـلـوّث.. مـا انـدحـر
كـلٌّ عـلـى الـثـاني يـصـيـح الـلـه يـعـيـنـك.. يـا بـحـر[3]

وفي حالة غربة يقول البغيلي:

شـوفـك، وتـفـكـيرك.. بـعـيـد والـنـجـمـة.. حـاضـنـهـا قـمـر
غـريـب في لـيـلـك.. وحـيـد ضـيّـعـت في الـغـربـة.. عـمـر[4]

ويقول:

خـطـوة.. عـلـى الـدرب الـصـحـيـح تـسـوى مـلايـيـن الـخـطـا

(1) قصائد متحركة لحمود البغيلي، ص14.
(2) قصائد متحركة لحمود البغيلي، ص71.
(3) قصائد متحركة لحمود البغيلي، ص112.
(4) قصائد متحركة لحمود البغيلي، ص118.

لا تـاخـذ، وتـصـبـح شحيح عـــوّد يـديـنـك.. لـلـعـطـا[1]

ويقول:

الـصـيـف.. مـا يـصبـح ربيـع وحـنّـا الـوفـا.. طـبـعٍ لـنا

إن مـا تـكـاتـفـنـا.. جـمـيـع بـالـعـون.. ضـعـنـا كـلّـنـا[2]

ويقول في ملحوظة طريفة:

نـــثرت حَـــبّـــك.. لـلـنـمـل والـنـاس مـن حـولـك تـشوف

وضـاع الـجـمـل.. بـالـلي حمل ولا بـقـى غـيـر.. الـخـروف[3]

وأختتم الكتاب بذكر بعض الأحديات التي قلتها (الكلام لمؤلف هذا الكتاب)، فقد وجدت في الحداء جمالاً في نظم بعض الأشعار، وأذكرها هنا لتوضيح مدى إمكانية استغلال هذا النوع الشعري الجميل في كتابة الشعر، والترويح عن النفس بشعر يطرب الأذن، فمن ذلك قولي:

الـهـمّ هـمّـك.. يـا ولـد لـو غـابـت، وضـاقـت عليك

إن اظـلـمـت.. مـالـك جلد وان شـعـشـعـت.. مـحـدٍ يبيك

وقلت أيضاً:

سـهـيـل.. بـــوّاب الـشـتـا والـــوســـم.. جـــلّاب الـزهـر

والـــروح.. مـــدري.. مـن متي؟ قـــفـــرا.. ونـاسـيـهـا المطـر

وقلت في ابنتي الكبرى (هلا):

الـســكّـر الـلي بـه حـلا بـالـقـلـب.. لـو سـكّـر نبات

مـا هـوب أحـلى مـن (هـلا) شـيـخـة.. عـلى كـل البـنـات

وقلت أيضاً:

(1) قصائد ملغومة لحمود البغيلي، ص35.
(2) قصائد ملغومة لحمود البغيلي، ص66.
(3) قصائد ملغومة لحمود البغيلي، ص139.

الـصـيـف جـانـا.. ملتهب الـلـه يـسـهـل.. جـيّـتـه

والـطـوز ابـن عـمـه.. لفا مـع الـرطـوبـة.. خـيّـتـه

والـنـاس.. ضـيّـق.. صـدرهـا وبـعـض الـضـمـايـر.. ميّتة

المـخـطـي نـغـفـر زلـتـه بـس انـتـذكّـر.. سـيّـتـه

كـل شي يـهـون لـهـالـوطـن الـلي شربـنـا.. مـيّـتـه

والـلي لـيـا ضـاق الـزمـن نـامـن، ونـغـفـى بـفـيّـتـه

المصادر والمراجع

إبراهيم حامد الخالدي: طواريق النبط، الكويت، 2000م، ط1

إبراهيم حامد الخالدي (إشراف) ومجموعة من المحررين: الفريس، المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، 2004م، ط1.

ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، نسخة الكترونية.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ط1

ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، نسخة الكترونية.

ابن الشجري، الأمالي الشجرية، نسخة الكترونية.

ابن عبد ربه، العقد الفريد، نسخة الكترونية.

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، نسخة الكترونية.

ابن كثير، السيرة النبوية، نسخة الكترونية.

ابن منظور، لسان العرب، نسخة الكترونية.

ابن هشام، السيرة النبوية، نسخة الكترونية.

أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، نسخة الكترونية.

أبو الحسن محمد بن هلال الصابي: الهفوات النادرة، دار الأوزاعي، لبنان، 1982م.

أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، نسخة الكترونية.

أبو عبد الرحمن الظاهري: مسائل في تاريخ الجزيرة العربية، دار الأصالة، الرياض، 1993م، ط1.

أبو عبد الرحمن الظاهري: ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، دار العلوم، الرياض، 1986م، ط1.

أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، نسخة الكترونية.

أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، نسخة الكترونية.

أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار المعرفة، بيروت، 1949م.

أبو هلال العسكري، الأوائل، دار البشير، طنطا، 1987م، ط1.

إحسان عباس، شرح ديوان لبيد بن ربيعة، وزارة الإعلام، الكويت، 1962م.

أحمد العريفي: حداء الخيل، مطابع الفرزدق، الرياض، 1409هـ ط1.

أحمد فؤاد نجم: الفاجومي، مكتبة مدبولي، 1993م، ط1.

أحمد محارب: الخيل عند العرب عز وكبرياء، الكويت، 2000م، ط1.

أحمد النويري: حضور المرأة الليبية في المأثور الشعبي، مطابع أديتار، إيطاليا، 1990م.

أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1997م، ط2.

ألبرت سوسين: ديوان الشعر النبطي للجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، منشورات الجمل، كولونيا، 2007م، ط1.

ألويس موسيل: أخلاق الرولة وعاداتهم (ترجمة د. محمد السديس)، مكتبة التوبة، الرياض، 1997م، ط2.

أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، د.ت.

أنستانس الكرملي، مجموعة من الأغاني العامية العراقية، دار الشؤون الثقافية، بغداد،

1999م، ط1.

بدر بن عبد المحسن: فارس التوحيد، مهرجان الجنادرية، 1419هـ.

بروس إنغام: قبيلة الظفير (ترجمة عطية الظفيري)، الرياض، 1995م، ط2.

الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، نسخة الكترونية.

تركي القداح، بعض مرابط الخيل وأخبارها عند قبيلة عتيبة، الرياض، 2006م.

تركي القداح، أحديات وألقاب من قبيلة عتيبة، مطابع الحميضي، الرياض، 1426هـ، ط1.

ثامر العامري، موسوعة العشائر العراقية، مكتبة الصفا والمروى، لندن، 1992م.

الجاحظ، البيان والتبيين، نسخة الكترونية.

جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ ولا رقم للطبعة.

جرجي زيدان، تاريخ الآداب العربية، ج1، دار الهلال، القاهرة، دون تاريخ ولا رقم الطبعة.

جاسم الشواي، الغزل في الشعر الشعبي، بغداد، 1987م.

حسن البعيني، سلطان باشا الأطرش، معرض الشوف الدائم للكتاب، 2001م، ط2.

حسن المقبل، الحسنة حماة الشنبل وأسود النقعة، 1412هـ.

حمدان المطيري، تاريخ الدياحين، الكويت، 2000م، ط1.

حمد الجاسر، من سوانح الذكريات، دار اليمامة، الرياض، 1426هـ.

حمد السعيدان، الموسوعة الكويتية المختصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1983م، ط2.

حمود البغيلي، قصائد متحركة، الكويت، 1997م.

حمود البغيلي، قصائد ملغومة، الكويت، 1996م.

حميد السعدون، إمارة المنتفق، دار وائل، عمّان، 1999م، ط1.

حميد السعدون، حكايات من المنتفق، مكتبة الذاكرة، بغداد، 2010م، ط1.

خالد الصويغ، مخطوطة في الشعر النبطي.

خالد الفيصل، الديوان الثاني، مازن للطباعة، أبها، 1991م.

خالد القريشي، سبيع الغلبا، الكويت، 2002م، ط2.

خالد القحطاني، منتقى الأخبار من القصص والأشعار، مطابع الفرزدق، الرياض، 1994م، ط1.

خالد المطيرات، قبيلة بني صخر، دار الكتب العربية، الأردن، 2000م، ط1.

خضر الحربي، قبيلة الوهوب من حرب، الكويت، 2011م، ط2.

خلف بن حديد، آل هذال، الكويت، 2005، ط1.

الخليل الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ط1.

خليل بن ذيب بن هدلان، ديوان الشيخ الفارس شالح بن هدلان، 2005م.

خير الدين الزركلي، ما رأيت وما سمعت، مكتبة المعارف، الطائف، 1398هـ.

ابن دريد: جمهرة اللغة، نسخة الكترونية.

روكس العزيزي، معلمة للتراث الأردني، وزارة السياحة، عمّان، 1981 - 1986م.

روكس العزيزي، نمر العدوان شاعر الحب والوفاء، شركة الربيعان، الكويت، 1997م.

سعد الجنيدل، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية (عالية نجد)، دار اليمامة، الرياض، 1997م.

سعد الصويان، حداء الخيل، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، 1988م.

سعد العصامي، ديوان الشيخ الفارس جهز بن شرار، 2007م.

سعود بن عبد الله، مولد أمة الشاعر والنشيد، مهرجان الجنادرية، 1410هـ.

سعود بن محمد الهاجري، شيوخ وشعراء، دار فواصل للنشر، الرياض، 2002م، ط1.

سعيد الصغير، بنو معروف في التاريخ، دار علاء الدين.

سلام الراسي، في الزوايا خبايا، بيروت، 1974م.

سلام الراسي، القيل والقال، نوفل للنشر، بيروت، 1998م، ط2.

سلام الراسي، الحبل على الجرار، بيروت، 2005م.

سلطان السهلي، ضميمة من الأشعار القديمة، منشورات الجزيرة، الكويت، 2000م، ط1.

سلمة الصحاري، الأنساب، مطبعة الألوان، 2006م، ط4.

سليمان الحديثي، أنساب قبيلة سبيع وأخبارها، نسخة الكترونية.

سليمان النقيدان، من شعراء بريدة، مطابع المنار، القصيم، 1409هـ، ط1.

شاهر الأصقه، الديوان الأثري، الكويت، 1984م.

شاهر الأصقه، قاموس البادية، الكويت، 1998م، ط1.

شباط الظفيري، الذكريات الخالدة، البيرق للطباعة، 1985م، ط1.

شفيق عبد الجبار الكمالي، الشعر عند البدو، كتب للنشر، بيروت، 2002م، ط2.

شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام، نسخة الكترونية.

شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة الكترونية.

ابن شيبة، المصنف، نسخة الكترونية.

صالح بن أحمد الحارثي: الزامل في الحرب والمناسبات.

صالح المسلط، قبائل الجبور الزبيدية القحطانية، دار علاء الدين، دمشق، 2000م، ط1.

طارق السلطان، أغاني العمل، نسخة الكترونية.

طلال السعيد، الموسوعة النبطية الكاملة، ذات السلاسل، الكويت، 1987م، ط1

طلال الشمري، عقود الجواهر في المختار من تراجم فرسان العرب الأواخر، ج1، مطبعة السيوف الذهبية، الكويت، 2006م.

عامر السامرائي، مجموعة في الأغاني العامية لأنستاس الكرملي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 2002م.

عباس العزاوي، عشائر العراق، انتشارات الشريف الرضى، قم، 1411ه.

عبد الرحمن بن زيد السويداء، فتافيت من المواقف والطرائف والتنكيت، دار السويداء، الرياض، 2006م، ط3.

عبد الرحمن المانع، مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال والأشعار النجدية، الرياض، 2006م، ط1.

عبد الرحيم مطلق الأحمدي، من مرويات ابن قابل، دار المفردات، الرياض، 1998م، ط2.

عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، دار قرطاس، الكويت، 1999م، ط3.

عبد العزيز السناح، الخيل والإبل عند قبيلة مطير، 1419ه، ط1.

عبد العزيز الفيصل، شعراء بني عقيل وشعرهم، شركة العبيكان، الرياض، 1408ه، ط1.

عبد العظيم الفرجاني، قبائل العرب في مصر، دار غريب، القاهرة، 1997م.

عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، نسخة الكترونية.

عبد اللطيف الدليشي، الأمثال الشعبية في البصرة، بغداد، 1971م.

عبد الله البسام، خزانة التواريخ النجدية، دون مكان الطبع، 1999م، ط1.

عبد الله الدويش، الفنون الشعبية، مطابع القبس، الكويت، 1985م، ط1.

عبد الله الدويش، ديوان حمد المغلوث، ذات السلاسل، الكويت، 1982م.

عبد الله بن خميس، الأدب الشعبي في جزيرة العرب، مطابع الفرزدق، الرياض، 1402ه، ط2.

عبد الله بن خميس، أهازيج الحرب أو شعر العرضة، مطابع الفرزدق، الرياض، 1989م، ط2.

عبد الله بن عبار، موجز تاريخ أسرة الطيار وقبائل ولد علي، 1998م.

عبد الله آل بن علي، قبيلة آل بن علي (العتوب).

عبد الملك الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، المكتبة العصرية، صيدا، 2003م، ط1.

عبد الملك العصامي، سمط النجوم العوالي، نسخة الكترونية.

عطا رفعت، الأغنية الشعبية، مطبعة الجاحظ، بغداد، 1985م، ط1.

عقيل محمد البربار، عمر المختار نشأته وجهاده (أعمال الندوة العلمية التي عقدها مركز دراسة جهاد الليبيين)، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، 1983م، ط2.

علي أبو زيد، شعراء تغلب في الجاهلية، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 2000م.

علي بن حمران، القول الشامل في فن الزامل، 1424ه، ط1.

علي الفياض وعلي المناعي، محمد بن عبد الوهاب الفيحاني، المجلس الوطني للثقافة، الدوحة، 2005، ط1.

علي شداد آل ناصر، القول المختصر في أنساب قبائل قطر، ط1، الدوحة، 2007م.

فايز الحربي، أحديات وألقاب من قبيلة حرب وغيرها، 1991م، ط1.

فايز الحربي، قصص وأشعار من قبيلة حرب، الرياض، 1418هـ، ط1.

فهد الفردوس، تاريخ العجمان في قديم الزمان، مطابع القبس، الكويت، 2006م.

فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، الرياض، 1980م، ط2.

محمد الأحمد السديري، الحداوي، الرياض، 2009م، ط1.

محمد بن أحمد السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

محمد بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، دار عبد العزيز آل حسين، الرياض، 1418هـ، ط3.

محمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت.

محمد جدوع، التاريخ والعجيلي، نسخة الكترونية.

محمد الشرعبي العنزي، البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1996م.

محمد دياب الأتليدي، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، نسخة الكترونية

محمد العبيّد، النجم اللامع للنوادر جامع (مخطوط).

محمد العصيمي، شعراء عتيبة، مطابع المدوخل، الدمام، 1995م، ط1.

محمد العظم، القبائل العربية في بلاد الشام، 2006م.

محمد كشاش، الرجز في العصر الأموي، عالم الكتب، 1995م..

محمد المري، الدرة من أخبار قبيلة آل مرة، الكويت، 2001م، ط1.

محمد منير لكود، لكود القشعم، سوريا، 2003م، ط2، نسخة الكترونية.

محمد النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء العلوم، بيروت، 1986م.

محمد اليحيى، لباب الأفكار في غرائب الأشعار (مخطوطة)، 1387هـ.

محمود الهندي: ابن عروس (السيرة. اللوحات. النصوص)، دار قباء، القاهرة، 2000م.

المعافي بن زكريا، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، نسخة الكترونية.

منصور الحاتم، الشعر النبطي (أضواء على القصيدة الشعبية)، دار عشتروت، دمشق، 1999م.

منديل بن محمد آل فهيد، من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، الرياض، 2003م، ط4.

الميداني، مجمع الأمثال، نسخة الكترونية.

ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، نسخة الكترونية.

ناصر الدين الألباني، مختصر صحيح البخاري، نسخة الكترونية.

النشابي الأربلي، المذاكرة في ألقاب الشعراء، نسخة الكترونية.

نعوم شقير، تاريخ سينا، دار الجيل، بيروت، 1991م، ط1

هانم السيوي، النظم والعادات الاجتماعية عند البدو.

يحيى الحجوري، ضياء السالكين في أحكام وآداب المسافرين، نسخة الكترونية.

يعقوب سركيس، مباحث عراقية، شركة التجارة، بغداد، 1948م.

الدوريات:

مقالة بجريدة الرأي العام، أول أغسطس 2002م.

مجلة المختلف (ع160، ص116) - ملف وسم بمجلة المختلف، سبتمبر 1999م.

مجلة الكويت (يناير 2012م)، مقالة بعنوان (حداء الإبل.. أصل أراجيز العرب وأهازيجهم) لأحمد محارب الظفيري.

مقالة على شبكة الإنترنت بعنوان (رحلتي مع الأراجيز بصحبة الأستاذ أمجد طرابلسي رحمه الله) للدكتور عبد الهادي دحاني.

مجلة البواسل (ع: 1، 4، 5، 6، 11، 14، 19، 33، 35، 52).

مجلة قطوف الإماراتية (ع: 18، 21، 29، 67).

مقالة لأحمد البحيري بجريدة الاتحاد الإماراتية (1 ديسمبر 2011م).

مجلة المها (ع3)

مقالة للكاتبة نورة السويدي بمجلة الصدى الإماراتية.

مواقع الكترونية:

(الموسوعة الشعرية: المجمع الثقافي بأبي ظبي (قرص مدمج) - شبكة العراق الثقافية - شبكة قبيلة حرب - مضايف شمر - منتديات البدارين - منتديات قبيلة عتيبة – منتديات بوابة قبيلة عتيبة الهيلا - منتديات قبيلة الفضول - - منتديات ملتقى الظفير الرسمي - منتدى جبل العرب - موقع المنصور السعدون - موقع درعا نت).

رسائل:

(الأخ طلال الموعد الشمري - الأخ ماجد بن سليمان العتيبي - الأخ سعيد بن محسن الغامدي - - الأخ درباس المجدل الخالدي - الأخ علي الصيخان الخالدي).

روايات

(أبي يرحمه الله - الأخ سلطان بن بخيت العميمي - الأخ مسلط بن غازي الحبشان الحميداني - الأخ قيس بن جذع السعدون – الأخ طلال الموعد الشمري - الأخ طلال بن خرصان العجمي).

الفهرس

مقدمة 5

الباب الأول: حداء الإبل 11

الفصل الأول: الحداء والرجز. تعريفه ونشأته ومشروعيته 11

أولاً: تعريف الحداء 13

ثانياً: نشأة الحداء 23

ثالثاً: الحداء من الوجهة الشرعية 31

الفصل الثاني: حداء الإبل والرجز في العصور الأدبية المتعاقبة 35

أولاً: حداء الإبل والرجز في العصر الجاهلي 37

ثانياً: حداء الإبل والرجز في العصر النبوي 43

ثالثاً: حداء الإبل والرجز في العصر الراشدي 55

رابعاً: حداء الإبل والرجز في العصر الأموي 60

خامساً: حداء الإبل والرجز في العصر العباسي وما بعده 71

الباب الثاني: حداء الخيل 75

الفصل الأول: حداء الخيل.. تعريفه وأوزانه وأغراضه وأساليبه 75
أولاً: تعريف حداء الخيل 77
ثانياً: أوزان حداء الخيل 83
ثالثاً: أغراض وأساليب حداء الخيل 87
بث الحماسة 89
أولاً: بث الحماسة في النفس 89
ثانياً: بث الحماسة في الآخر 94
الفخر 106
أولاً: الفخر بالنفس 106
ثانياً: الفخر بالقبيلة وقوتها 112
التهديد 129
التحذير 140
التحريض 144
وصف الانتصار على الأعداء وأحداث المعارك 147
طلب النجدة وإجابتها 157
المدح 161
الهجاء 174
النقائض والمساجلات في الحداء 179
أولاً: النقائض 179

ثانياً: المساجلات الودية 190
الرثاء 196
النصح 198
الحكمة 203
الاستئذان 204
الشكوى 205
الدعاء 209
المداعبات 212
الرمزية 215
الغزل 218
أولاً: الغزل أثناء القتال 218
ثانياً: الغزل الصرف 225
تكريم الخيل 231
تكريم الإبل 244
مخاطبة غير العاقل 248
أولاً: الديار 248
ثانياً- الخيل 249
ثالثاً- الإبل 252
رابعاً- الذئب 254

خامساً- الطيور 256

الفصل الثاني: موضوعات متعلقة بالحداء 259

أولاً: حداء الخيل في شعر الحكام والأمراء 261

الشيخ سالم المبارك الصباح 261

الملك عبد العزيز آل سعود 262

الملك فيصل بن عبد العزيز 267

الأمير عبد الله بن علي الرشيد 269

الأمير محمد بن عبد الله الرشيد 269

الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد 270

الشيخ بطي بن سهيل آل مكتوم 272

الشيخ علي بن جاسم آل ثاني 273

ثانياً: الهوبال والعوبال 275

ثالثاً: من الفنون المقاربة للحداء في بعض الأقاليم 283

الحجاز 283

اليمن 285

العراق 287

بلاد الشام 288

مصر 296

بلاد المغرب 297

رابعاً: النساء وشعر الحداء 300

خامساً: قصص من تراث الحداء 305

راكان في حبس الأتراك 305

الشاعر والشريف 306

دعوة أم 307

العاشق المقدام 308

هاتف الخادمة 309

نجر المطوع 309

الفتى الشجاع 310

اعتذار فارس 311

رازق الثمانية 312

طلاق شعري 313

ثأر الضيوف 313

سادساً: الحداء في الشعر المعاصر 315

المصادر والمراجع 321